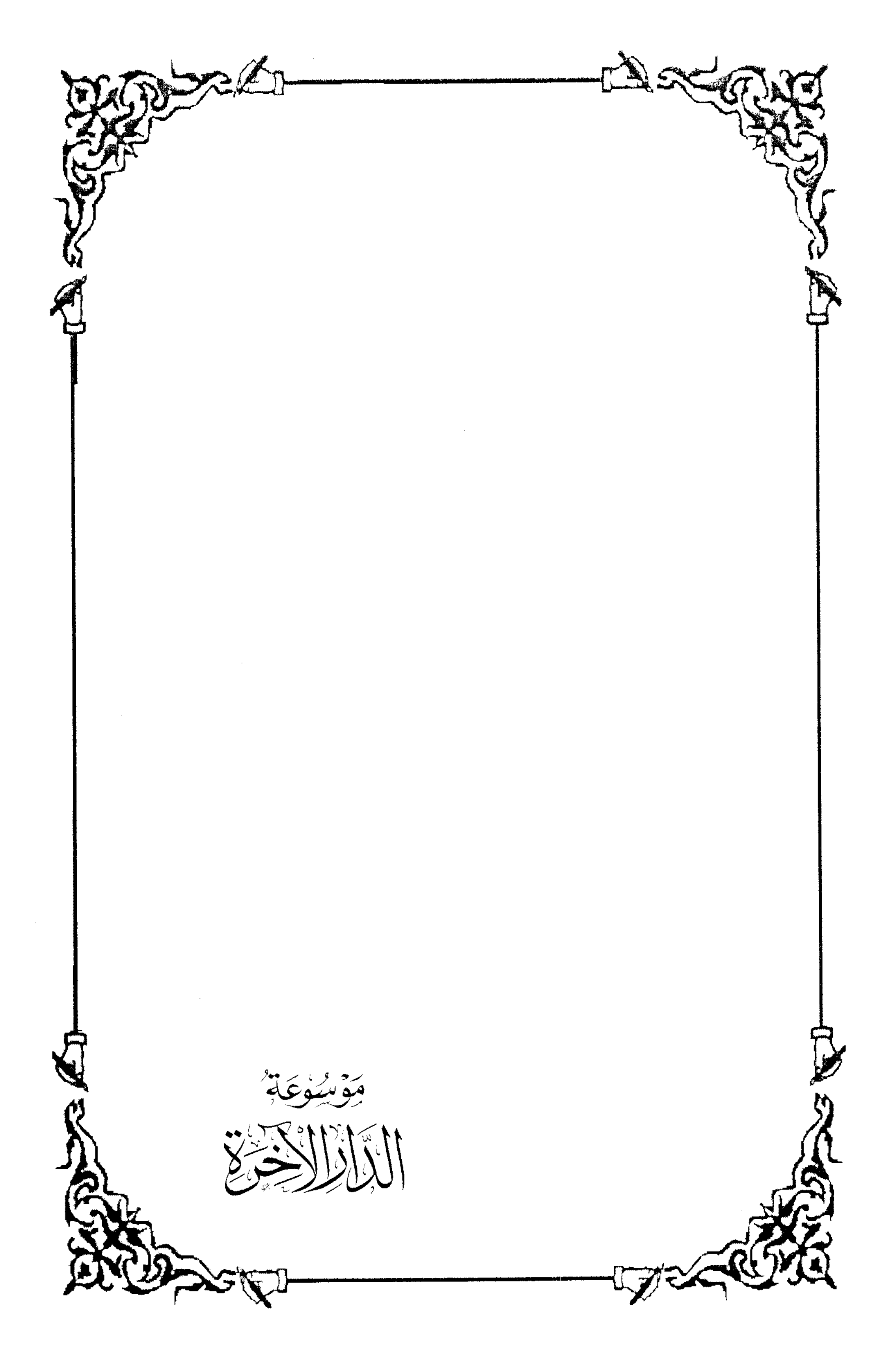


فتن آخر الزمان - الموت وسكراته - نعيم القبر وعذابه - أشراط الساعة
البعث والنشور - الحساب - الميزان - الصراط - الجنة والنار

تأليف

د. عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة


موسوعة
الدار الآخرة

رقم الإداع

٢٠٠٧/٢٦٣٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

أخي الحبيب:

الإيمان باليوم الآخر وما جاء فيه من الأهوال، والأوجال، والحساب،

والميزان، وتطاير الصحف، والمرور على الصراط، وغير ذلك من أمور العقيدة التي أخبر بها النبي ﷺ كل ذلك ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد ولا إسلامه إلا باعتقادها ، وذلك لما جاء في حديث جبريل الصحيح المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ؛ حيث عرّف الإيمان بقوله ﷺ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(١)].

ومع أن الإيمان بالآخرة من المسلمات والأمور الضرورية في دين الإسلام فقد رأينا في هذه الأيام من يشكك المسلمين في تلك الثوابت .

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن من مسائل العقيدة المسلمة التي لا خلاف فيها أن القبر أول منزل من منازل الآخرة؛ فإذا نجا منه العبد كان ما بعده أيسر منه، وإذا لم ينج منه العبد كان ما بعده أشد منه ؛ وذلك بنص حديث النبي ﷺ[(٢)].

فالقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، والناس في قبورهم إما منعمون وإما معذبون.

وما ورد من ضغطة القبر، وفتنة سؤال الملكين، وغير ذلك من ضيقه وانفساحه، وانفتاح باب منه إلى الجنة، أو إلى النار وغير ذلك كله مما تلقته

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان" (١٣٣/١- ط: الشعب).

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: القبر أول منازل الآخرة (٢٣٠٩)، وابن ماجه في الزهد أيضًا، باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٧)، وانظر صحيح الترمذي (ح١٨٧٨)، وصحيح ابن ماجه (ح٣٤٤٢)، وقال: "حسن"، وقد أخرجه المصنف -رحمه الله- في شعب الإيمان (ح٣٩٧) من طريق أبي نصر بن قتادة، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن سعد الحافظ، ثنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم البوشنجي، ثنا أحمد بن حنبل، ثنا علي بن عبدالله المديني، ثنا هشام بن يوسف، عن عبدالله بن بحير القاص، عن هانئ مولى عثمان.

الأمة بالقبول، ولم ينكره أو يطعن فيه إلا أهل الزيغ والضلال.

هذه المسائل كلها كانت ولا تزال من مسلمات العقيدة التي يدين بها كل مسلم لله رب العالمين، ويعتبرها من أركان الإيمان الواجب على المسلم الإيمان بها لأنها من أمور الغيب ، ومن أمور الآخرة التي أخبر بها الوحي ؛ ولذا وجب الإيمان بها .

ولكن نبتت نابتة في هذه الأيام لا هم لها سوى تشكيك المسلمين في مسلمات عقيدتهم، وأصول دينهم.

ونظرًا لما أحدثه الحديث عن الدار الآخرة وأهوالها، وما فيها من الجنة والنار، والحساب، والميزان، والصراط، ونعيم القبر وعذابه، وغير ذلك من صحوة لدى كثير من الناس؛لا سيما الشباب من الفتية والفتيات الذين هم أرق الناس قلوبًا ، وأكثرهم حمية فثاب كثير منهم إلى رشدهم، وأفاق جم غفير من غفلتهم، فامتلأت قلوب أهل الزيغ والضلال غيظًا، فقاموا مذعورين مشدوهين، يشككون الناس في بعض هذه الأمور كتشكيكهم في عذاب القبر، وينكرون ما ورد منه في سنة النبي ﷺ مدعين أن عذاب القبر غير مذكور في القرآن على حد زعمهم الباطل .

هذا فضلاً عما يدعيه فريق آخر من أن الحديث عن الدار الآخرة إنما هو مخطط لتغييب شباب الأمّة، وصرفهم عن العمل والسعي والبناء واللحوق بركب الحضارة حتى يظلوا متأخرين متخلفين .

وهذا ما حفزني على أن أكتب في هذا الموضوع الخطير الذي هو أحد أركان هذا الدين الحنيف،ولا أخشى في الله في ذلك لومة لائم، بل أحتسب

أذيعت في القنوات الفضائية العديد من المسلسلات والبرامج التي ورد فيها الاستهزاء بعذاب القبر وإنكاره، والزعم بأنه غير مذكور في القرآن ولا دليل عليه فيه.

اللوم والأجر فيه على الله تعالى.

وإيمانًا مني بحاجة القراء إلى إعادة صياغة هذه القضايا بلغة عصرية مناسبة وفق عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك دونما زيغ أو تحريف، لذا فقد استجبت لما طلب منّي وألح فيه إخواني الأفاضل من الناشرين والقرّاء حتى قضى الله تعالى بتيسيره فكان تمام هذا الكتاب بحوله وقوّته .

وقد حرصت فيه على عرض هذه القضية عرضا مشوقا إلى الدار الآخرة يرغب القارئ في نعيمها ، ويربطه بالله تعالى ، ويعلق قلبه بعفوه ورحمته ، وذلك بخلاف العرض السائد لهذه القضية ، ذلك العرض الذي يركز على عناصر التخويف والترهيب في الحديث عن الدار الآخرة ، فحرصت . بحمد الله تعالى أن يكون حديثي عن الدار الآخرة حديث ترغيب لا ترهيب ، وحديث تفاؤل وأمل لا حديث إحباط وملل ، لذا سميته نزهة المشتاق إلى بلاد الأشواق .

ولله الحمد في الأولى والآخرة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، أسأله سبحانه أن يجعله مباركا نافعا لي ولعباده، موصلا إلى طاعته ورضاه في الدنيا والآخرة . آمين ، آمين ، وصلّ الله على النبي الأمين ،وصحابته الميامين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

عبد الحميد هنداوي

لماذا الحديث عن الآخرة؟

إن المسلم اليوم يعيش واقعًا عجيبًا يبعده كل البعد عن التطلع إلى آفاق الدار الآخرة، ويحجب بصره وبصيرته عن رؤية حقائقها، والوقوف أمام مشاهدها، واستجلاء مواقفها العديدة التي تنتظر العبد، ولابد له أن يقف فيها في يوم لا ريب فيه، حيث يقف العبد موقف الإدانة والمحاسبة والجزاء.

وفي هذا الواقع العجيب -الذي يعيشه المسلم في هذه الأيام -تتضافر الملهيات والمغريات، وتجتمع الشواغل والمهمات، ويصرف الناس عمدًا عن التفكير في الدار الآخرة أو الالتفات إليها سواء بالمرغبات أو المرهبات. عناصر عديدة شتى قد اجتمعت وتضافرت لتصرفك عن التفكير في الدار الآخرة أو الالتفات إليها.

فتنة المال

فالناس ما بين مضيق عليه مغبون، أو منعم مفتون! فالسواد الأعظم من الناس قد ضُيق عليهم في أرزاقهم فلا يكادون يحصلون قوتهم إلا بشق الأنفس وجهدها فتراهم منشغلين ليلهم ونهارهم بتحصيل قوتهم، يعملون ويكدحون، ولا يجتنون من ثمار عملهم إلا فتات موائد الأثرياء، وأصحاب الأموال الذين يسخرون الفقراء في ملء خزائنهم، وبناء حصونهم.

فأمثال هؤلاء المطحونين قد انشغل عامتهم بتحصيل حاجتهم العاجلة - مما يسدون به رمقهم ويسترون به عورتهم - عن الالتفات إلى الآخرة أو التفكير في أمرها إنهم ليس أمامهم فرصة ولا سانحة للتفكير فيما وراء لقمة عيشهم.

إنهم دائمًا مشغولون بقوت يومهم، وإن حصل لهم ذلك القوت بالكاد

باتوا يؤرقهم الخوف والقلق ألا يجدوا قوت غد.

أما الموسرون فقد ذاقوا لذة النعيم وفتنوا به، ورأوا أن ذلك بفضل جدهم وحسن تدبيرهم في جمع المال وتحصيله، وقالوا كما قال إمامهم قارون من قبل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾(١).

ورأوا أن هذا المال هو إلههم ومعبودهم الأعظم، وأنه على كل شيء قدير، يقول للشيء كن فيكون، وظنوا أنه مهما أرادوا من شيء فإن المال قادر على صنعه وتحصيله، ولذا فهو الإله الذي لا ينبغي لهم أن يتوانوا عن خدمته وعبادته؛ فإنهم متى ما أهملوا أمره وضيعوا خدمته تفلت من أيديهم، وتخلى عن نصرتهم.

فلا سبيل إلى النعيم إلا به!

ولا سبيل إلى القوة إلا به!

ولا سبيل إلى السلطان إلا به!

ولكن لا سبيل إلى المال إلا بعبوديته، والتفاني في خدمته، والاجتهاد في طلبه وتحصيله، والتفكر في آلائه بالليل والنهار، والتسبيح بعد أوراقه، والتحميد بذكر صفاته، فصاروا يذكرونه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وصارت آلة الحاسب، وسماعة الهاتف في يد أحدهم كمسبحة العابد الذاكر. وقد أعجب هؤلاء ما هم فيه من النعيم، ورضوا بأن يكونوا لهذا المال عابدين، وله خادمين.

وصدق الله تعالى إذ يقول عن هؤلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ(٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ

---

(١) القصص:٧٨.

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

هذا كله نوع واحد من الملهيات والفتن التي تفتن العباد وتصرفهم عن التفكر في آخرتهم.

إنها فتنة المال، فتنة السراء والضراء! إنها فتنة اليسر والعسر التي يبتلي الله تعالى بها عباده ليرى من يصبر أو يجزع ومن يشكر أو يكفر.

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ(١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ(١٦) كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا(١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ .

ويأتي القرآن بالعلاج الناجع لهذه الفتنة، ألا وهو تذكر الآخرة، فيقول: ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ .

إذا تركنا تلك الفتنة جانبًا، فمثلها أو أعظم منها فتنة أخرى، وهي فتنة الاختلاط وافتتان الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

وقد قال ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" . ومن

يونس: ٧-٨.

الفجر: ١٥-٢٠.

الفجر: ٢١-٢٤.

أخرجه البخاري في "النكاح"- (٥٠٩٦)، ومسلم في "الذكر والدعاء"، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء- (٢٧٤٠).

أعظم أسباب هذه الفتنة:

تبرج النساء وسفورهن وتفننهن في إظهار مفاتنهن ومواضع الزينة منهن حتى يستملن الرجال، ويوقعنهم في حبائلهن.

وتعظم آثار فتنة الاختلاط على غير المتزوجين من الشباب.

فتنة الأزواج:

أما المتزوجون فإن فتنة الرجال بالنساء والنساء بالرجال التي نبه عليها النبي ﷺ يكون لها في حقهم معنى آخر بالإضافة إلى فتنة الاختلاط وما يخشى من جرائه من الفاحشة.

وذلك أن للمتزوجين فتنة أخرى من جهة ابتلاء كل واحد من الزوجين بصاحبه، فالرجل مبتلى بامرأته، والمرأة مبتلاة بزوجها.

وقد يصل ابتلاء الرجل بامرأته حدًا يصير فيه عبدًا مطيعًا لرغباتها وأهوائها، وهو ما أخبر الله تعالى به في كتابه حيث قال: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، قال ابن عباس -عندما سأله رجل عن هذه الآية فيما أخرجه الترمذي -:هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، أن يأتوا رسول الله، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا...﴾[٢].

أما فتنة المرأة بزوجها وابتلاؤها به فمن جهة عصيانها له في طاعة الله، أو

---

(١) التغابن: ١٤.

(٢) أثر ابن عباس أخرجه الترمذي في "التفسير"- (٣٥٥٠)، وغيره، وأورده الشيخ الألباني في صحيح الترمذي - (٢٦٤٢)، وقال: "حسن".

طاعتها له في عصيانه. وقد تكون فتنة المتزوجين بعضهم ببعض من فتنة السراء أو فتنة الضراء، ولكنها على أية حال فتنة عظيمة تصرف الكثير من الأزواج عن التفكر في أمر الآخرة والالتفات إليها.

فتنة الإعلام:

ومن الفتن العظيمة التي صرفت الناس عن التفكر في أمر الآخرة -بل لعل لها النصيب الأعظم في ذلك- وسائل الإعلام بصورها المختلفة من الإذاعة والتلفاز ودور السينما والمسرح والجرائد والمجلات التافهة التي تحاول شحن عقل القارئ أو السامع بكل غث وسمين لاسيما بعد دخول الأجهزة الحديثة في بيوت المسلمين من أجهزة الفيديو والدش وغيرها.

لقد دمرت تلك الأجهزة والوسائل البقية الباقية من عقول البشر، وشغلت تلك المساحة الضيقة جدًا من التفكير التي كان من الممكن أن تتبقى لهم بعد تلك الشواغل التي سبق ذكرها.

ولكن قد امتلأت العقول والقلوب وأترعت بالباطل حتى طفحت به فلم يكتف الناس أن يكونوا سامعين للباطل مشاهدين له بل صاروا فاعلين له مقلدين إياه بصورة تلقائية غير واعية.

سبب كتابة هذه المقدمة:

لعل في هذا التمهيد بذكر ما آل إليه واقع المسلمين اليوم ما يبرر أن نجدد الكتابة في هذا الموضوع الذي كثرت فيه الرسائل قديمًا وحديثًا.

ولعل كثرة هذه الرسائل إنما تعبر عن حاجة المسلمين إلى مثل هذه التذكرة.

كما تعبر عن إقبال كثير من المسلمين -الذين سئموا الباطل وملوه- على ما فيه نفعهم وخيرهم في الدنيا والآخرة. والحق أن كثرة الرسائل وتزاحمها في هذا

الجانب لا تضر لكثرة الحاجة إليها، خاصة إذا ما تنوع الأسلوب واختلفت الطريقة من كاتب إلى آخر.

فقد يميل بعض القراء إلى طريقة المناقشة المنطقية الهادئة، وقد يميل بعضهم إلى الطريقة الخطابية ذات النبرة العالية.

وقد يستهوي البعض قراءة المجلدات والمطولات في هذا الجانب، وقد تقف حاجة البعض أو الكثير عند مطالعة رسالة قصيرة موجزة كرسائل هذه السلسلة.

ومن ثم فإن كثرة المصنفات وتنوعها في هذا الباب وغيره من أبواب العلم لاشك أنه نافع ومفيد لاسيما إذا كان في أمر تعم به البلوى، ويحتاج إليه كل مسلم، كما في هذه المهمات التي تمثل ركنًا ركينًا من عقيدة المسلم، ألا وهي الإيمان باليوم الآخر.

وقد عرف النبي ﷺ الإيمان: "بأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

ماذا يعني الحديث عن الآخرة؟

رغم أن الحديث عن الآخرة يعد حديثًا عن ركن عظيم من أركان الإيمان فقد ظهر في زماننا هذا -من ضعاف الإيمان- من يعد الحديث عن الآخرة سمة ومظهرًا من مظاهر التخلف والتأخر؛ وذلك لأنه يدعو -في نظره- إلى إهمال أمر الدنيا أو الزهد فيها، وترك عمارتها، مما يؤدي إلى تأخر المسلمين وتخلفهم عن اللحوق بركب الحضارة والتقدم.

والحق أن هذه دعوى مغرضة باطلة، لا يروجها إلا كل أفاك أثيم، من الذين امتلأت قلوبهم بحب الدنيا، فرضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، ويئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

وسبب إعلانهم تلك الدعوى الباطلة هو امتلاء قلوبهم بالغيظ والحقد على هؤلاء الذين قد أقبلوا على أمر الآخرة فتأهبوا لها وأعدوا لها عدتها، بينما هم منهمكون في الدنيا، منشغلون بها ليلهم ونهارهم، ويعلمون أنهم ليس لهم في الآخرة من نصيب، ومع ذلك فهم يكرهون كل الكراهية أن يظهروا أمام الناس في صورة المقصرين المفرطين؛ فإذا بهم يشنعون على من يتحدث في أمور الآخرة ويصفونهم بأنهم مثبطون للناس أو مخدرون لهم بتلك الأمور عن العمل والسعي للدنيا، أو أنهم مرهبون منفرون للناس، دعاة إلى التقاعد والانصراف عن الجد والاجتهاد، راضون بالدّنيّة في أمر دنياهم، قانعون بحقير العيش.

ثم إذا بهم يطيلون في دعوى أن العمل عبادة، وأن الإسلام قد حث على السعي والعمل.

ثرثرة فارغة:

والحقيقة أنه لا طائل من تلك الثرثرة الفارغة؛ إذ لا تعارض على الحقيقة في الإسلام بين أمر الدنيا وأمر الآخرة، فالإسلام لم يحرم السعي والعمل والضرب في الأرض ليكسب الناس أقواتهم ومعاشهم؛ بل إنه جعل الدنيا مدرجة للآخرة، ووسيلة معينة على أمرها؛ وسببًا للتقوى على طاعة الله وابتغاء رضوانه ورحمته في الدنيا والآخرة.

إنها وصية محمد ﷺ:

وكيف يعيب علينا هؤلاء الغافلون المغفلون أن نكثر ذكر الموت وقد أمرنا سيدنا رسول الله ﷺ أن نكثر ذكره وأوصانا بذلك، وفاضل بين الناس بحسب ذكرهم للموت، وجعل أكيس المؤمنين وأنصحهم لنفسه أكثرهم للموت ذكرًا، وأشدهم له استعدادًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت"[١].

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأحسنوا عليه الثناء، فقال النبي ﷺ: " كيف كان ذكر صاحبكم للموت؟" قالوا: ما كنا نسمعه يذكر الموت. قال: "فإن صاحبكم ليس هناك"[٢].

ويشهد لهذا الحديثِ الحديثُ التالي:

عن ابن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سئل: أي المؤمنين أكيس، قال: "أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس"[٣].

وقد صح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"[٤].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وكان حامد القيصري يقول: كلنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا،

(١) "صحيح" أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم، وانظر صحيح الجامع- (ح١٢١٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي في "الكبرى" وغيرهما، وقال الهيثمي في "المجمع"- (١٠/٣٠٩): "رواه البزار، وفيه ضعف".

(٣) "صحيح" أخرجه ابن ماجه والحاكم والطبراني وغيرهم، وانظر الصحيحة (١٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري في "الرقاق"- (١١/٢٣٧)، (ح٦٤١٦) وغيره.

وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى منها خائفًا، فعلام تفرحون؟! وما عسيتم تنتظرون؟! الموت؟! فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً.

وقال شميط بن عجلان: من جعل الموت نصب عينيه، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها[١].

قال ابن مسعود ﵁: السعيد من وعظ بغيره. وقال أبو الدرداء ﵁: إذا ذكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم[٢].

وحكي في قِصر الأمل أن امرأة حبيب أبي محمد قالت: كان يقول لي - يعني أبا محمد- إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا، واصنعي كذا وكذا، فقيل لها: أرأى رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم.

وعن إبراهيم بن سبط قال: قال لي أبو زرعة: لأقولن لك قولاً ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتني نفسي أن أرجع إليه[٣].

وعن عبدالله بن مسعود ﵁، أن نبي الله ﷺ قال: "استحيوا من الله حق الحياء" فقلنا: يا نبي الله، إنا لنستحيي. قال:" ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين- لابن قدامة- (ص٥٥٤).

(٢) مختصر منهاج القاصدين- لابن قدامة- (ص٥٥٥).

(٣) المصدر السابق- (ص٥٥٨).

(٤) الحديث أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وعزاه المباركفوري (١٥٥/٧) إلى أحمد

شبهة وجوابها:

فهذه وصايا النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان بالإكثار من ذكر الموت، وقد كان هذا دأبهم وشأنهم الذي أفلحوا بسببه وسجلت به أسماؤهم في عليين.

ولكن قد يقول المغفلون المشنعون علينا بالإكثار من ذكر الموت، إن الإكثار من ذكر الموت والآخرة يزهد الناس في الدنيا ويحقرها في أعينهم ويهونها لديهم، وبذلك يدعون العمل والسعي لعمارة الأرض.

فنقول لهم، قد صدقتم في ذلك!

ولكنها كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه!.

وتصديق كلامكم ما قاله الحسن البصري رحمه الله حيث قال: "فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب[1] فيها فرحًا؛ وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها".

ولكن نقول لكم: مهلاً مهلاً، ورويدًا في تشنيعكم وتلبيسكم على عباد الله أمر دينهم!.

فالحق أن ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي ﷺ وهدي أصحابه وتابعيهم من الحث على ذكر الموت والآخرة، والإكثار من ذكرهما ما أريد به ترك العمل ولا التهاون في عمارة الأرض، ولا دعوة المسلمين إلى التقاعد والتخاذل والتخلف عن ركب الحضارة وعمارة الأرض.

والحاكم واللفظ له، والبيهقي، وقال الحاكم في المستدرك: (٣٢٣/٤) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال مخرج جامع الأصول بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(١) أي: عقل.

كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[١].

فأمر الله تعالى أن نعد لأعداء الإسلام ما استطعنا من قوة، ومعنى ذلك أنه مهما تقدم أعداء الإسلام في وسائل القوة والتكنولوجيا الحديثة التي يتمكنون بواسطتها من السيطرة على المسلمين وأراضيهم ومقدساتهم، فإن على المسلمين أن يعدوا لهم من وسائل القوة والتكنولوجيا الحديثة أقصى ما يمكن أن تناله أيديهم وهو ما يوحي به التعبير القرآني: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

فإذا كان تعلم تلك التكنولوجيا والتوصل إلى تلك الوسائل المتطورة مما هو في استطاعة المسلمين بدليل استطاعة أعدائهم له، فإنه يجب على المسلمين على سبيل الوجوب المؤكد أن يتفوقوا على أعدائهم إلى أقصى حد ممكن في صناعة تلك الوسائل المتطورة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

إذن فأين الدعوة إلى التخاذل والتقاعس والتخلف يا من تشنعون علينا بالإكثار من ذكر الآخرة؟! كيف؟ والقرآن مليء بالدعوة إلى العمل والسعي والاجتهاد؟

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

وتأمل هذه الآيات -فيما آتاه الله تعالى آل داود من الملك والقوة، وما أمرهم به من العمل والاجتهاد في عمارة الأرض وإصلاحها واتخاذ وسائلها المتاحة لديهم في عصرهم-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) التوبة: ١٠٥.

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١].

هذا إذًا كتاب الله تعالى يدعو إلى العمل وعمارة الأرض.

وأما السنة النبوية الشريفة فيكفي في ذلك حديث النبي ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[٢].

وقد طبق ذلك أصحاب النبي ﷺ والصالحون بعدهم فكان الواحد منهم يراه الناس شيخًا كبيرًا وهو يزرع من الشجر ما لا يثمر إلا بعد سنين عديدة، ليأكل منها الناس من بعده.

إذن لا تعارض في الإسلام بين أمري الدنيا والآخرة! ولا تعارض بين الحث على الإكثار من ذكر الموت والآخرة، وبين الحث على العمل والجد والاجتهاد!

وقد يقول أحد هؤلاء المشنعين: كيف ذلك والأمران متضادان متعارضان؟!

ونقول لهذا الجاهل: كلا ليس هناك تضاد ولا تعارض! فإن كل ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من ذم الانشغال بالدنيا والانهماك فيها والإقبال عليها إنما هو فيمن انحصرت همته في طلب الدنيا لذاتها، لا لأجل الاستعانة بها على تحقيق مطالب الدين، ومقاصد الشريعة.

---

(١) سبأ: ١٠-١٣.

(٢) "صحيح" أخرجه أحمد في مسنده والبخاري في "الأدب المفرد"، وعبد بن حميد من حديث أنس، وانظر صحيح الجامع (ح ١٤٢٤)، وانظر الصحيحة (ح٩).

فأما من اجتهد في طلب الدنيا للاستعانة بها في طاعة الله وأمر الآخرة فهذا هو السعيد الذي قد أحاط بأسباب السعادة وأقطابها.

وهنا نعود لنجيب على السؤال الذي طرحناه آنفًا:

ماذا يعني الحديث عن الآخرة إذًا؟

إن الحديث عن الآخرة لا يعني أن نهمل الدنيا ولا أن نضيعها ولا أن نترك العمل والسعي وعمارة الأرض؛ بل إن المطلوب من المسلم فقط هو أن يصلح نيته في طلب الدنيا، فيجعل طلب الدنيا لأجل الآخرة، لا لأجل تحصيل متعها ولذاتها الفانية دون عمل واستعداد ليوم لا ريب فيه.

وتأمل قول الله تعالى -في نصح المؤمنين الصالحين- لقارون وأمثاله: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ الله لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[1]. إذًا فليس المراد هو ترك الدنيا وإهمال أمرها وإنما أن يبتغي العبد بها الدار الآخرة فتكون الدنيا عونًا له على أمر آخرته، ومرضاة ربه سبحانه.

نعم إن الحديث عن الآخرة يثبط النفس عن طلب الدنيا!

ولكن عن أي الدنيا يثبط؟

إنما يثبط عن الدنيا بلهوها وزخارفها ومتعها الزائلة! أما تحصيل خيرها والجد في عمارتها بطاعة الله تعالى: فليس للحديث عن الآخرة مقصود ولا جدوى سوى ذلك! فكيف يقال: إنه دعوة إلى التخاذل والتخلف؟

ألا ترى إلى قول الله تعالى في سورة الحديد: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ**

---

(١) القصص: ٧٧.

شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ألا ترى كيف امتن الله تعالى على عباده بإنزال الحديد وتسخيره لهم وما جعل فيه من المنافع والفوائد الدنيوية، ثم انظر كيف أنه أرشدهم إلى المقصد الأعظم من إنزاله ألا وهو تسخيره لنصرة دين الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾.

إذًا فأي دعوة إلى العمل والاجتهاد واستغلال المنافع التي خلقها الله تعالى أعظم من ذلك؟!

ولقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة في تحصيل الدنيا وابتغاء الآخرة فكان منهم المثرون من التجارة كعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكن ماذا كانوا يصنعون بأموالهم؟ كانوا يجعلونها في سبيل الله وفي منافع المسلمين وحاجاتهم والآثار والأخبار في ذلك عنهم أكثر من أن تحصى.

والآن وقد انكشف لك باطل هؤلاء المغرضين، وبان لك من الأمر اليقين، فعلمت أن ذكر الآخرة لا مضرة فيه على العباد أو البلاد، بل فيه كل الخير والإسعاد، فلا ضير أن نلخص لك هنا أهم الفوائد التي يحصل عليها من يكثر من ذكر الآخرة:

ثمرات ذكر الآخرة:

١-الانتباه من الغفلة، والتيقظ للغاية التي خلق العبد لأجلها ألا وهي عبادة الله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الذاريات: ٥٦.

٢-الإقلاع عن المعصية، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، فإن من أيقن بالموت وأنه مقبل على ملك الملوك فيسأله عما ضيع من أوامره، وما فرط فيه من حقوقه لابد أن ينزعج لما هو مقدم عليه، فيفكر فيما يكون فيه خلاصه ونجاته حيث يقف بين يدي الملك.

٣-راحة النفس وعدم الحزن والأسى على ما فات من أمر الدنيا ومتاعها الزائل لأنه يعلم علم اليقين أنه سوف يتركها إلى الآخرة وأن الدنيا جميعها إلى زوال وفناء، وكما أن المرء لا يحزن كثيرًا إذا ما سلب خرقة بالية؛ لأنه يعلم أنها لا نفع فيها وأنها سرعان ما تفقد صلاحها فلا تكاد تستر جسده ولا تصلح لشيء، كذلك لا يحزن على فوات شيء من الدنيا لأنه يعلم أنها سرعان ما تزول أو يزول عنها.

٤-إصلاح النية في طلب الدنيا والاجتهاد في تحصيلها لتكون مدرجة إلى الآخرة معينة على أمرها، فهي كالعملة التي تحصل بها الأشياء، وخير ما يحصل بها طاعة الله تعالى.

والحق أن ثمرات تذكر الآخرة أكثر من أن تحصى وإنما قصدنا في هذه الخلاصة أن نبرهن على مدى الحاجة إلى الحديث عن الآخرة، والإلحاح عليه، والإكثار منه، وأن الكلام في هذا الباب مهما كثر وكثرت فيه التصانيف فإنه خير محض ولا مضرة فيه.

وإذا كانت النفوس مجبولة على السعي والجمع وتحصيل الأموال والمنافع والخيرات كما قال ربنا في صفة الإنسان الذي خلقه بيديه: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1] . وقال عنا أيضًا: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2] . فإذا

---

(١) العاديات:٨.

(٢) الفجر:٢٠.

كان هذا هو حال الإنسان، فلسنا بحاجة إذًا أن نرغبه في تحصيل الدنيا وجمعها والإقبال عليها فهو مجبول على ذلك بغريزته، مقبل عليه، منهمك فيه، وإنما الخير أن نوجه هذا الإنسان لكي يوجه سعيه وعمله وجمعه وماله لتحصيل ثواب الله ورضوانه وابتغاء جنة عرضها السموات والأرض لا تزول ولا تحول فهذا هو النفع الحق، وهذا هو الخير لمن أراده: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1] .

---

(١) المطففين:٢٦.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ(٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ(٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ(٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر:٥٢-٥٦].

حسرة وندامة، ولوعة وأسى، إقرار واعتذار، ولكن بعد فوات الأوان، حين: ﴿لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (١). فيامن أسرف على نفسه بكثرة الآثام، ونام عن ذنوبه وعين الله لا تنام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (٢) فإلى متى الغفلة وطول الرقاد، وكل من فر منه فإليه عاد؟!

وإلى متى يا عبدالله التواني؟ فإن الحياة دقائق وثوان!

فما الذي يثنيك عن التوبة، ويبعدك عن الإنابة؟

أغرور بربك؟ أم الأمن من مكره؟

---

(١) غافر: ٥٢.

(٢) الفجر: ١٤.

فإن كان ذلك غرورًا، فهذا ربك يعاتبك ويناديك: ﴿يأيها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[١].

وإن كان ذلك الأمن من مكره: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].

وإن كان ذلك يأسًا من رحمته: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣].

ولم تيأس من رحمته؟ وهو سبحانه ينادي عباده الذين أسرفوا على أنفسهم: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤] فسارع يا عبدالله إلى التوبة والإنابة، وإياك أن تتوانى في الرجوع إلى الله والاستجابة لندائه فتندم على تفريطك وتقصيرك بعد فوات الأوان، ولا يغلبن عليك اليأس فيمنعك الرجوع إلى الرحمن؛ "فإن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"، فسارع بالتوبة إلى الله تعالى تكن من الفائزين.

وأسأل الله تعالى أن يهديني وإياك سواء السبيل، وأن يتوب علينا إنه هو التواب الرحيم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

---

(١) الانفطار:٦-٨.
(٢) الأعراف:٩٩.
(٣) يوسف:٨٧.
(٤) الزمر:٥٣.

اللَّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١].

إن الرحمن سبحانه يفتح باب الأمل والرجاء والتوبة للجميع، ولا يطرد أحدًا من عباده، بل يسعهم جميعًا مهما كانت ذنوبهم ومعاصيهم ما داموا قد أنابوا إليه وحده، وأخلصوا التوجه لوجهه الكريم، فهو سبحانه خير مقصود، لا يرد من قصد بابه خائبًا.

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء الثقة بعفو الله. إن الله رحيم بعباده. وهو يعلم ضعفهم وعجزهم. ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه. ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد. ويأخذ عليهم كل طريق. ويجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث! ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واهٍ، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة التي تشده، وأن ما ركب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن، فيشط به هنا أو هناك، ويوقعه في المعصية، وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم.

يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل، ليصلح خطأه، ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل. في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

---

(١) الزمر: ٥٣.

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

إنها رحمة الله بعباده الذين خلقهم، وكرمهم، وخلق لهم ما في الأرض جميعًا، وأرسل إليهم رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل إليهم كتبه بالهدى والنور، وسخر لهم ما في السموات والأرض جميعًا منه، فوجب عليهم أن يعبدوه ويشكروه على نعمه وفضله.

وها هو يذكرهم بنعمه ويناديهم: ﴿**يأيها النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[١].

إن الله ﷻ لم يخلق عباده ليعذبهم، ولا لينتقم منهم، فهو ربهم، وهو أرحم الراحمين، فهو سبحانه القائل: ﴿**مَا يَفْعَلُ الله بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ الله شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾[٢].

إن الله ﷻ يفرح بتوبة عباده ورجوعهم إلى طاعته؛ لأنه يحب العفو، ويحب الرحمة، ويريد أن يتوب عليهم ويرحمهم: ﴿**وَالله يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا(٢٧) يُرِيدُ الله أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾[٣].

إن الله يريد أن يرحم عباده وألا يعذبهم لأنه يعلم ضعفهم، وقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٤].

أما من تمادى في ظلمه وطغيانه وسعى في الأرض فسادًا، فإن الله لا يحب

---

(١) فاطر:٣.

(٢) النساء:١٤٧.

(٣) النساء:٢٧-٢٨.

(٤) الأنعام:٥٤.

الظالمين، ولا يظلم مثقال ذرة، ولو سوى بين المطيع والعاصي لكان ذلك ظلمًا وجورًا، وهو سبحانه أعدل العادلين، وأقسط المقسطين، وقد حرم الظلم على نفسه سبحانه كما حرمه على عباده، ففي الحديث القدسي عن رب العزة جل وعلا، يقول فيه: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا"[١]. لذا فإن الله ﷻ يعذب الظالم إن لم يتب من ظلمه، ولما كان سبحانه يريد أن يتوب على عباده ويريد أن يرحمهم فلا يعذبهم، لذا فهو سبحانه يدعوهم إلى التوبة والإنابة إليه، ويفرح بتوبتهم وإنابتهم، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة"[٢].

إذًا فمهما أسرف المرء على نفسه، وتمادى في الضلال ثم حدثته نفسه أن يرجع إلى ربه؛ فعليه ألا يتردد، ولا يقنط أو ييأس من رحمة ربه له وتوبته عليه؛ لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعًا، ولأنه هو الغفور الرحيم. فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله إذًا؛ لأنه يغفر الذنوب جميعًا مهما كانت ومهما عظمت، فالتوبة تجبُّ ما قبلها، والإسلام يجب ما قبله فها هو رب العزة -جل وعلا- يناديك: "يابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"[٣] إن

---

(١) الحديث "صحيح" أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب البر والصلة والآداب"، باب: تحريم الظلم- (ح٢٥٧٧).

(٢) الحديث متفق على صحته، رواه البخاري في صحيحه "كتاب الدعوات"، باب: التوبة، (١١/١٠٥)، (ح٦٣٠٨، ٦٣٠٩)، ومسلم في صحيحه "كتاب التوبة"، باب: في الحث على التوبة والفرح بها، (ح٢٧٤٧).

(٣) الحديث حسن أخرجه أحمد في "المسند"- (٥/١٥٤، ١٦٧)، من حديث أبي ذر.

باب التوبة مفتوح بلا شروط ولا قيود، إنه لا يطلب منك شيء إلا التوجه إلى الله تعالى ودعاؤه واستغفاره، وليس ثمة إلا شرط واحد وهو ألا تشرك به شيئًا، وأن تخلص الدعاء والتوجه إليه، لا تدع من دونه وليًا، ولا تحتم بغيره سبحانه: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[1] فهو سبحانه يدعو عباده أن يدعوه ليستجيب لهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

ما أسرع تلك الإجابة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ إنها فورية تامة، وسرعة فائقة، وإجابة مباشرة، تدل عليها الآية بلفظها قبل أن تدل عليها بمعناها، فهو سبحانه قريب مجيب، يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

والترمذي في سننه من حديث أنس "كتاب الدعوات" (٩/٥٣٥)، (ح٣٦٠٨- أحوذي)، وقال: "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" والدارمي، في سننه "كتاب الرقاق"، باب: إذا تقرب العبد إلى الله، (٢/٤١٤)، (ح٢٧٨٨)، وأورده البغوي في "شرح السنة"، (٥/٧٥)، (ح١٢٩٢)، وقال محققاه: فيه شهر بن حوشب مختلف فيه وباقي رجاله ثقات، وله شاهد عند الترمذي، والخطيب التبريزي في "المشكاة"، (ح٢٣٣٦)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (ح٤٣٣٨)، وأورده في صحيح الترمذي (ح٢٨٠٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (ح١٢٧).

[1] الحديث صحيح أخرجه أحمد في "المسند" (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي في سننه "أبواب صفة القيامة" (٧/٢١٩)، (ح٢٦٣٥- أحوذي)، والحاكم في "المستدرك" (٣/٥٤١)، وقال: "هذا حديث عال من حديث عبدالملك بن عمير عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين، وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا، وتعقبه الذهبي بقوله: لأن القداح قال أبو حاتم: متروك. والآخر مختلف فيه، وعبدالملك لم يسمع من ابن عباس فيما أرى" وأورده أبو نعيم في "الحلية" (١/٣١٤)، وقال الشيخ الألباني في تخريجه للمشكاة (ح٥٣٠٢): "حديث صحيح"، وأورده في صحيح الجامع (ح٧٥٧)، وصحيح الترمذي- (ح٢٠٤٣).

[2] غافر: ٦٠.

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ، "إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" .

فسارعوا عباد الله إلى التوبة، فها هو ربكم يناديكم:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ .

فالمتقون ليسوا هم الذين لا يذنبون، ولكنهم هم الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم.

وإذا لم يتب الله تعالى عليهم فإلى من يتوبون ومن يستغفرون؟ فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله.

وليعلم العبد أن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فمهما عملت من الذنوب ثم رجعت إلى الله تعالى فإن الله تعالى يقبل توبتك حتى ولو قتلت مائة نفس، فقد صح عن النبي- عليه الصلاة والسلام- : أنه أخبر بتوبة الله تعالى على رجل ممن كان قبلنا قتل مائة نفس، ثم تاب إلى الله تعالى فتاب الله عليه.

البقرة:١٨٦.

الحديث "صحيح" أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب التوبة"، باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة، من حديث أبي موسى- (ح٢٧٥٩).

آل عمران:١٣٣-١٣٦).

قال رسول الله ﷺ : "كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا. فقتله. فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"[1].

وليعلم العبد أن الله تعالى لا يرده ولو عاد إلى الذنب ألف مرة، ما دام يندم على ذنبه، ويرجع إلى الله تعالى بنية صادقة، وقلب منيب.

ففي الحديث القدسي الصحيح الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: "أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك"[2].

فلا يمل العبد من تكرار التوبة والاستغفار من الذنب، فقد كان رسول الله

---

(١)الحديث متفق على صحته، رواه البخاري في صحيحه "كتاب أحاديث الأنبياء"، (٥٩١/٦)، (ح٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه، "كتاب التوبة"، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (ح٢٧٦٦).

(٢)الحديث متفق على صحته، رواه البخاري في صحيحه "كتاب التوحيد"، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾، (٤٧٤/١٣)، (ح٧٥٠٧)، ومسلم في صحيحه "كتاب التوبة"، باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة (ح٢٧٥٨)، واللفظ له.

ﷺ يستغفر الله تعالى ويتوب إليه في اليوم مائة مرة، وهو المعصوم، فعن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ : "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة" هذا لفظ مسلم في صحيحه، ورواية البخاري قال: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"[1].

فإذا كان هذا حال النبي المعصوم فما بالنا نحن قد أصابتنا الغفلة عن ذنوبنا، وغرتنا الحياة الدنيا عن الإنابة والرجوع إلى ربنا وخالقنا، فنسينا أننا سنرجع إليه في يوم لا ريب فيه! قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**﴾[3].

ودون ذلك أجل لا ريب فيه، إنه الموت، وهو جد قريب.

"وإنه لجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، ألا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تأهب إلا له، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وحقيق بالعاقل أن يعد نفسه من الموتى ويراها من أصحاب القبور؛ فإن كل ما هو آت قريب قال الله -جل وعلا-: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾[4] وقال تبارك

---

[1] البخاري في صحيحه "كتاب الدعوات"، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، (١١١٠٤)، (ح٦٣٠٧).

[2] البقرة:٢٨١.

[3] المزمل:١٧.

[4] الأنبياء:١.

وتعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1] وقالﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" الحديث.

واعلم أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيانك أخرى الليالي والأيام، لكان والله لأهل اللذات مكدرًا، ولأصحاب النعيم منغصًا ومغيرًا، ولأرباب العقول الراجحة عن الرغبة في هذه الديار زاجرًا ومنفرًا، وللمنهمك في الدنيا وزخارفها منذرًا ومزعجًا ومحذرًا.

قال مطرف بن الشخير: إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

فكيف ووراءه يوم يعد فيه الجواب، وتدهش فيه الألباب، وتفنى في شرحه الأقلام والكتاب.

ولم يَمْرُرْ به يوم فظيع ... أشد عليه من يوم الحمام[2]
ويوم الحشر أفظع منه هولاً ... إذا وقف الخلائق بالمقام
فكم من ظالم يبقى ذليلاً ... ومظلوم تشمر للخصام
وشخص كان في الدنيا فقيرًا ... تبوأ منزل النجب الكرام
وعفو الله أوسع كل شيء ... تعالى الله خلاق الأنام

ومن كلام بعضهم: يا بن آدم، لو رأيت ما حل بك وما أحاط بأرجائك لبقيت مصروعًا لما بك، مذهولاً عن أهلك وأصحابك. يا بن آدم، أما علمت أن بين يديك يومًا يصم سماعه الآذان، ويشيب لروعه الولدان، ويترك فيه ماعزَّ وما هان، ويهجر له الأهلون والأوطان؟! يا بن آدم! أما ترى مسير الأيام

---

(١) النحل: ١.
(٢) الحمام: الموت.

بجسمك، وذهابها بعمرك، وإخراجها لك من سعة قصرك إلى مضيق قبرك؟! وبعد ذلك ما لذكر بعضه تتصدع القلوب، وتنضج له الجوانح وتذوب، ويفر المرء على وجهه فلا يرجع ولا يؤوب، ويود الرجعة وأنى له المطلوب؟!

قال الله -جل وعلا- وتقدس: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾[1] وقال تبارك وتعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾[3] وقال -عز من قائل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، وقال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[4] وقال: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[5]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾[6] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[7]، وقال تعالى:

---

(١) مريم: ٣٩.

(٢) الزمر: ٥٦-٥٨.

(٣) يونس: ٣٠.

(٤) البقرة: ٢٦٦.

(٥) الفجر: ٢٣-٢٤.

(٦) النازعات: ٣٤-٣٥.

(٧) آل عمران: ٣٠.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[(١)] ، وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[(٢)] ، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[(٣)] .

لأمـــرٍ مـــا تصـــدعت القلـــوب ... بـــاح بســـرِّها دمـــع ســـكيبُ
وباتـــت فـــي الجـــوانح نـــارُ ذكـــرى ... لهـــا مـــن خـــارجٍ أثـــرٌ عجيـــبُ
ومـــا خـــف اللبيـــبُ لغيـــر شـــيءٍ ... ولا أعيـــا بمنطقـــه الأريـــبُ
ذراه لائمـــاهُ فـــلا تلومـــا ... فربـــت لائـــم فيـــه يحـــوبُ
رأى الأيـــام قـــد مـــرت عليـــه ... مـــرور الـــريح يـــدفعها الهبـــوبُ
ومـــا نفـــس يمـــر عليـــه إلا ... ومـــن جثمانـــه فيـــه نصـــيبُ
وبـــين يديـــه لـــو يـــدري مقـــامٌ ... بـــه الولـــدان مـــن روعٍ تشـــيبُ
وهـــذا المـــوت يدنيـــه إليـــه ... كمـــا يُـــدني إلـــى الهـــرم المشـــيبُ
مقـــامٌ تســـتلذ بـــه المنايـــا ... وتُـــدعى فيـــه لـــو كانـــت تجيـــبُ
ومـــاذا الوصـــف بالغـــة ... ولكن هي الأمثال يفهمها اللبيبُ[(٤)]

فيأيها المهملون الغافلون تيقظوا فإليكم يوجه الخطاب!

وأيها النائمون انتبهوا قبل أن تناخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هادم

(١) البقرة:١٢٣.
(٢) المنافقون:١٠.
(٣) البقرة:٢٨١.
(٤) "اغتنام الأوقات"، لعبدالعزيز المحمد السلمان- (٨-١٠).

اللذات ومفرق الجماعات ومذل الرقاب، ومشتت الأحباب.

فيا له من زائر، لا يعوقه عائق ولا يضرب دونه حجاب! ويا له من نازل لا يستأذن على الملوك ولا يلج من الأبواب!

ولا يرحم صغيرًا، ولا يوقر كبيرًا، ولا يخاف عظيمًا ولا يهاب!

ألا وإن بعده ما هو أعظم منه، من السؤال والجواب، ووراءه هول البعث، والحشر وأحواله الصعاب، من طول المقام، والازدحام في الأجسام والميزان والصراط والحساب والجنة أو النار"[1].

ولله درّ القائل:

يــوم القيامــة لــو علمــت بهولــه ... لفــررت مــن أهــل ومــن أوطــان

يـــوم تشـــققت الســـماء لهولـــه ... وتشـــيب منـــه مفـــارق الولـــدانِ

يـــوم عبـــوسٌ قمطريـــرٌ شـــرُّه ... فـي الخلـق منتشـرٌ عظـيمٌ الشـانِ

يـــومٌ يجـــيء المتقـــون لـــربهم ... وفـدًا علـى نُجُـب مـن العقيـانِ

ويجـيء فيـه المجرمـون إلـى لظـى ... يتلمظـــون تلمـــظ العطشـــانِ

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[2].

"الإنابة والإسلام والعودة إلى أفياء الطاعة وظلال الاستسلام...

---

(١) السابق- (٦).

(٢) الزمر: ٥٤-٥٥.

هذا هو كل شيء. بلا طقوس ولا مراسم ولا حواجز ولا وسطاء ولا شفعاء إنه حساب مباشر بين العبد والرب. وصلة مباشرة بين المخلوق والخالق.

من أراد الأوبة من الشاردين فليؤب، ومن أراد الإنابة من الضالين فلينب، ومن أراد الاستسلام من العصاة فليستسلم وليأت..

ليأت وليدخل فالباب مفتوح، والفيء والظل والندى والرخاء: كله وراء الباب لا حجاب دونه ولا حسيب!

وهيا! هيا قبل فوات الأوان، هيا: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[1].. فما هنالك من نصير.

هيا فالوقت غير مضمون. وقد يفصل في الأمر وتغلق الأبواب في أية لحظة من لحظات الليل والنهار، هيا[2].

إن هذه هي أمارات التوبة النصوح:

الإنابة، والرجوع إلى الله ﷻ وذلك بالإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم الرجوع إليه، والإسلام لله ﷻ والانقياد لأوامره.

فالتوبة النصوح هي كما قال الحسن البصري: أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على ألا يعود.

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن.

وقال سعيد بن المسيب: توبة نصوحًا تنصحوا بها أنفسكم.

وقال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

---

(١) الزمر: ٥٤.

(٢) الظلال- (٥/٣٠٥٨).

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوّم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله، وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته ولحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو الهروب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله ﷻ.

فالأول يتعلق بما يتوب منه، والثاني يتعلق بذات التائب، والثالث يتعلق بمن يتوب إليه، فنصح التوبة الصدق فيها، والإخلاص، وتعميم الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة .

فلابد للعبد أن يستيقظ من غفلته ويتدارك أمره بالإنابة إلى ربه قبل أن يفجأه هادم اللذات، قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾

مـاذا تؤمـل والأيـام ذاهبـة ... ومـن ورائـك للأيـام قُطّـاعُ
وصيحة لهجـوم المـوت منكـرة ... صُـمّت لوقعتهـا الشـنعاءِ أسـماعُ
وغُصّـة بكـؤوس أنـت شـاربها ... لهـا بقلبـك آلام وأوجـاعُ

انظر البحر الرائق: لأحمد فريد- (١٥٩، ١٦٠).
ق: ١٩-٢٢.

يـا غـافلاً وهـو مطلـوب ومتبـعٌ أتـاك سـيلٌ مـن الفرسـان دفّـاعُ
خُـذها إليـك طعانًـا فيـك نافـذةً تعدي الجليسَ وأمرٌ ليس يُسطاعُ
إنَّ المنيـة لـو تُلقـى علـى جبـلٍ لأصبح الصـخرُ منه وهـو ميّـاعُ

ولله در القائل:

فقـل للـذي قـد غـرّه طـول عمـره وما قـد حـواه مـن زخـارف تخـدعُ
أفِـقْ وانظُـرِ الـدُّنيا بِعَـينِ بَصـيرةٍ تَجِـدْ كُـلَّ مـا فيهـا وَدَائـع تَرْجِـعُ
فأين الملوكُ الصيدُ قِدْمًا ومَنْ حَوى مِنَ الأرض مَا كانتْ به الشَّمْسُ تَطْلُعُ
حَـواهُ ضَـريح مِـنْ فَضـاءِ بسـيطها يُقَّصِـرُ عَـنْ جُثمَانِـهِ حِـيْنَ يُـذْرَعُ

فاحذروا يا عباد الله أن تتوانوا في الاستجابة إلى ربكم فيفجأكم الموت، وتصيبكم حسرة الفوت: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[(١)].

إنها الحسرات والعبرات بعد الفوات.

إنها الحسرة التي تصيب كل مفرط في حق من حقوق الله: "إن أهل الجنة لا يتحسرون على شيء إلا على ساعة لم يذكروا الله تعالى فيها"[(٢)].

---

(١) الزمر:٥٦-٥٧.

(٢) الحديث بلفظه: "ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا فيه الله -عز وجل، ويصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب" رواه أحمد في "المسند" (٤٦٣/٢)، والحاكم في "المستدرك" (٤٩٢/١)، ورواه أبو داود وبنحوه في سننه (ح٤٨٥٥)، وذكره أبو نعيم في "الحلية"، (٢٠٧/٧)، وذكره الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٧٩/١٠)، وقال: رواه الترمذي باختصار - ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وأورده

إنها الحسرة التي تصيب أتباع الباطل حينما يعاينون زيف باطلهم الذي كانوا ينافحون عنه في الدنيا ليضلوا به عباد الله عن سواء السبيل، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا(١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ الله عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَالله سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[2].

إنها الحسرة التي تصيب تاركي الصلاة فيرون عاقبة تفريطهم فيها، حينما يمتحنون في عرصات يوم القيامة، حينما يكشف ربنا عن ساق، ويُدعى العباد إلى السجود، فلا يستطيع ذلك المنافق تارك الصلاة، لا يستطيع أن يسجد، كلما هم أن يسجد خر على قفاه؛ لأنه يصير جسده طبقًا واحدًا، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾[3].

إنها الحسرة التي تصيب تارك الصلاة حينما يُلقى في سقر، التي تأكل الإنسان كله ولا تبقي منه شيئًا، وتلفح الوجوه فتنزع البشر، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[4].

الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (ح٤٠٦٤)، وانظر السلسلة الصحيحة، (ح٧٦-٧٧)، وصحيح الجامع- (ح٥٧٥٠)، وأورده الشيخ مقبل الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، (٥٣١/٢)، وعزاه إلى النسائي، وقال: "هذا حديث صحيح".

(١) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٢) النور: ٣٩.

(٣) القلم: ٤٢-٤٣.

(٤) المدثر: ٢٧-٣٠.

إنها الحسرة التي تصيب تاركي الصلاة حينما يسألهم أصحاب اليمين، وهم في الغرفات آمنون، فيطلعون على أهل النار فيسألونهم: ما سلككم في سقر؟ فيقولون: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾(١).

فيقول الله تعالى عنهم: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(٢).

إنها الحسرة التي تصيب تارك الصوم حينما يعذب يوم القيامة بالجوع والعطش فيستغيث من الجوع فيلقى إليه الضريع وهو شوك لا خير فيه، يقطع حلاقيم أهل النار ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾(٣).

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾(٤).

فإذا ما استغاثوا من الضريع والزقوم فإنهم يغاثون بماء كالمهل يشوي الوجوه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٥).

إنها الحسرة التي يعانيها من فرط في صيام رمضان حينما يرون الصائمين وهم يدخلون الجنة من باب الريّان، يشربون فيرتوون، ويسقون من يد النبي ﷺ شربة لا يظمئون بعدها أبدًا، وهؤلاء المفرطون في الصوم يذادون(٦) عن

---

(١) المدثر:٤٣-٤٥.

(٢) المدثر٤٨.

(٣) الغاشية:٦-٧.

(٤) الدخان:٤٣-٤٦.

(٥) الكهف:٢٩.

(٦) يزادون: أي يدفعون.

حوض النبي كما يزاد البعير الضال.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الْجَحِيمِ﴾ .

إنها الحسرة التي تصيب تارك الزكاة حينما تمثل له أمواله صفائح من نار فتكوى بها جباههم وظهورهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه قال: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها منها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها

الصافات:٦٢-٦٨.

التوبة:٣٤-٣٥.

عقصاء، ولا جلحاء، ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها، رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"[(١)].

إنها الحسرة التي تصيب من فرط في حج بيت الله الحرام وهو قادر عليه حينما يبعث يوم القيامة، مستحقًا للوعيد.

قال رسول الله ﷺ: "من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديًا ولا نصرانيًا، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾"[(٢)].

إنها الحسرة التي تصيب من فرط في بر والديه وطاعتهما حينما تحق عليه لعنة الله ولعنة رسوله ﷺ يوم القيامة، فيطرد من رحمة الله.

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف" قيل: من يا رسول الله؟ قال:" من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة"[(٣)].

إنها الحسرة التي تصيب من فرط في صلة الرحم حينما تقوم الرحم إذ

---

(١) الحديث رواه مسلم في "الزكاة"، باب: إثم مانع الزكاة- (ح٩٨٧).

(٢) صحيح موقوفًا: أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبدالله مجهول، والحارث يضعف في الحديث، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٧٢)، والمشكاة (٢٥٢١)، قلت: وقد صحح وقفه الحافظ بن كثير في تفسيره (٣٨٧/١)، عن عمر -رضي الله عنه- قال: من طاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا، وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري، قال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، (ح٢٥٥١)، باب: "رغم أنف من أدرك أبويه...".

قامت أمام الرحمن فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "خلق الله الخلق، لما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال لها: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك. قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ .

إنها الحسرة التي تصيب آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده..إلخ.

حينما يقومون من قبورهم يتخبطون تخبط المجانين، جزاء وفاقًا فكما كانوا يتخبطون في الحرام في الدنيا، كذلك يبعثون وهم يتخبطون يوم القيامة لا يهتدون سبيلاً، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ .

إنها الحسرة التي تصيب مدمن الخمر حينما يلقى الله تعالى يوم القيامة كعابد وثن.

إنها الحسرة التي تصيب لاعب الميسر والقمار، وغيرها من صور اللعب الحرام حينما يلقى الله تعالى وكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه.

إنها الحسرة التي يلقاها القتلة والزناة يوم القيامة حينما يلقون أثامًا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

متفق على صحته، رواه البخاري في التفسير، باب: ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٨/٤٤٣)، (ح٤٨٣٠)، ومسلم في "البر والصلة"، باب: صلة الرحم، وتحريم قطعها (ح٢٥٥٤).

البقرة:٢٧٥.

الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١].

إنها الحسرة التي تجدها المفرطة في أمر الحجاب حينما تبعث يوم القيامة عارية، كما كانت في الدنيا ليس لها وقاية من النار، وتحجب عن الجنة فلا تجد ريحها فقد صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[٢].

إنها الحسرة التي يعانيها من أدمن سماع اللهو واللغو من الأفلام الخليعة، والمسرحيات الماجنة، والمسلسلات الهابطة، والغناء الفاحش، وكل لهو لا يفيده، حينما يرى يوم القيامة العذاب المهين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات[٤].

إنها الحسرة والندامة التي يعانيها كل من أعرض عن ذكر الله تعالى فيجد جزاءها معيشة ضنكًا في حياته الدنيا وفي قبره، ويحشر يوم القيامة أعمى:

---

(١) الفرقان:٦٨-٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب اللباس والزينة"، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات- (ح٢١٢٨).

(٣) لقمان:٦-٧.

(٤) انظر تفسير ابن كثير- سورة لقمان آية ٦-٧.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ .

فاحذر يا عبدالله أن يفجأك الموت وأنت غافل عن ذكر الله مفرط في جنب الله، فحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وأدن نفسك قبل أن تدان، ولله در القائل:

حاسب النفس قبل يوم الحساب   وأذقها العذاب قبل العذاب
وأصبها من الأسى بشواظ   ينضج اللحم قبل نضج الإهاب
وإذا ما بكيت يومًا بدمع   فبدمع من الفؤاد مشاب
وحذار حذار أن تتهنا   بطعام تناله أو شراب
أو منام تنام الليل حتى   تستبين المآل يوم المآب

وقيل:

"يا بن آدم الأقلام تجري وأنت في غفلة لا تدري، يا بن آدم دع المغاني والأوطان والمنازل والديار والتنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار" .

طه: ١٢٤-١٢٦.
اغتنام الأوقات- (٣٣-٣٤).





ما هو الموت!

هذا سؤال مهم في غاية الأهمية، إذا عرف العبد حقيقته زال عنه خوفه من الموت كحقيقة مجهولة وعالم مجهول.

ونستطيع أن نعرف الموت تعريفًا واضحًا حسبما أخبرنا به ربنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فنقول:

الموت: فراق الروح للجسد وانتقالها إلى عالم آخر يجد فيه المرء جزاء أعماله في الدنيا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقد وعد الله تعالى المؤمنين بعد موتهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن هنا، فالموت بالنسبة للمؤمن هو الانتقال إلى تلك الجنات التي وعد الله إياها.

فالموت في الحقيقة ليس مرادفًا للعدم، وليس فيه إعدام إلا للأجساد فقط، أما الأرواح فتبقى لتحل بعد ذلك في الأجساد اللائقة بها.

فأرواح المؤمنين تكسى بعد الموت أجسادًا جميلة تنعم فيها إلى وقت الحساب، حيث تنشأ الأجساد نشأة جديدة لائقة بالحياة الجديدة، حياة السعادة الأبدية.

ولذا فقد نفى الحق تبارك وتعالى الموت عن الشهداء والمؤمنين، فقال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** (١٦٩) **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ**

خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ الله لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

"يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار؛ فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدري أربعين أو سبعين؛ وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء فقعدوا فيه؛ ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال -أراه ابن ملحان الأنصاري-: أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فخرج حتى أتى حيًا منهم، فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله إليكم؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؛ فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح؛ فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، فاتبعوا أثره؛ حتى أتوا أصحابه في الغار، فقتلهم أجمعين عامربن الطفيل. وقال ابن إسحاق: حدثني أنس بن مالك: أن الله أنزل فيهم قرآنًا: (بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه) ثم نسخت فرفعت بعدما قرأناها زمانًا، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل تحت العرش" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه: عن مسروق قال: إنا سألنا عبدالله عن

---

(١) آل عمران:١٦٩-١٧١.

هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت. ثم تأوي إلى تلك القناديل؛ فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، ثم قال: هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا: أي شيء نشتهي؛ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات؛ فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى؛ فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا".

وقد روى نحوه من حديث أنس وأبي عبيد.

وكأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويُغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم"[1].

"وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضًا فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مالك بن أنس الأصبحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه" قوله: "يعلق" أي: يأكل وفي هذا الحديث: "إن روح المؤمن

(١) المختصر الصحيح لتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ بن كثير- اختصره د/عبدالحميد هنداوي- المجلد الأول- طبعة دار الهدى (ص٢٣٩، ٢٤٠).

تكون على شكل طائر في الجنة" وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان"[(١)]، وفي هذا دليل على أن المؤمنين يكونون أحياء كذلك تسرح أرواحهم في الجنة بعد موتهم في الدنيا.

فلو تأمل المؤمن تلك الأخبار الصادقة التي وعد بها الله تعالى ورسوله ﷺ لعلم أن الموت بالنسبة له ليس فناء ولا عدمًا ولا انتقالاً إلى عالم المجهول ولا شيئًا من هذه الأوهام.

وإنما الموت في الحقيقة هو رحلة الخلود والبقاء الأبدي.

الموت بالنسبة للمؤمن ما هو إلا استبدال لذلك الجسد الذي قد بلى بالهرم والكبر والضعف بجسد جديد جميل يطير به في الجنة. ففيم الخوف من ذلك؟!

هل يسوءك أن تخلع حلتك القديمة البالية المتهرئة وترتدي حلة جديدة رائقة؟!

ما يسوءك من الموت إلا ما يسوءك في ذلك، ولا سوء فيه.

الموت بالنسبة للمؤمن سفر وانتقال إلى بلاد الأفراح إلى دار خير من داره، وأهل خير من أهله.

ولذا في حديث دعاء الجنازة، كان النبي ﷺ يدعو للميت فيقول: "اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله"[(٢)]

---

(١) تفسير ابن كثير- المجلد الأول – المكتبة التوفيقية- ص(٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في "الجنائز"، باب: الدعاء للميت في الصلاة (٩٦٣).

وفي بعض الآثار أن المؤمن إذا ضايقته زوجته في الدنيا أجابتها زوجته من الحور العين قائلة: قاتلك الله إنما هو ضيف عندك يوشك أن يفارقك إلينا.

الموت للمؤمن نقلة إلى دور فسيحة، وقصور منيفة، وغرف شريفة، جنات وأنهار، وأشجار وأطيار. فأي دور الدنيا كذلك؟!

الموت للمؤمن انتقال إلى زوجة طاهرة مطهرة، راضية مرضية، ينظر إليها فتسره وتأسره بجمالها، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

قال المفسرون: أزواج مطهرة من الحيض والنفاس والبول والقذر وسائر الأرجاس.

وقيل: مطهرة أخلاقهن وخصالهن.

وقيل: قد جمعن طهارة الظاهر والباطن، طهارة الخَلْق والخُلُق.

فليت شعري! أي زوجات الدنيا كذلك؟!

وأما الولدان، فولدان مخلدون لا يشيبون ولا يهرمون، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، فهم في خدمته وطاعته ما شاء.

فليت شعري! أي ولدان الدنيا كذلك؟!

والحديث عن الجنة يطول، وقد عالجناه في غير هذا الموضع، في رسائل مستقلة ، ويكفي في هذا الموضع تأمل بعض ما ورد في نعيم أهلها من الآيات:

قال تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١) فِي جَنَّاتِ

البقرة:٢٥.

انظر رسالة لنا بعنوان: قصور الجنة لمن؟ ورسالة بعنوان: وصف الجنة رأي العين.

النَّعِيمِ(١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ(٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ(٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا(٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٣) مُدْهَامَّتَانِ(٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ(٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا

---

[1] الواقعة: ١٠-٣٩.

تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[١].

والجنة دار حياة وحيوان، والحيوان مبالغة في الحياة، فهي حياة بجميع معاني الحياة من حركة ونشاط وطعام وشراب ولعب ومرح ولهو...إلخ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

فالمؤمن ينتقل بالموت من حياة الرتابة والملل إلى حياة الطاقة المتجددة، والنعيم المتجدد الذي لا يُمل ولا يُسأم لكثرته وتنوعه.

الموت للمؤمن تخلص ونجاة من سجن الدنيا إلى جنة الآخرة، فقد ورد في الآثار: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[٣].

فالموت هو سبيل للتخلص من الهرم والأحزان والعداوات.

الموت هو السبيل للتخلص من أذى المعتدين وكيد الكائدين، فلا قتال ولا حروب ولا قذف ولا سباب.

الموت هو السبيل للتخلص ممن لا يطيق المرء رؤيته ولا يصبر على عداوته.

الموت هو السبيل لملاقاة الأحبة محمدًا وصحبه، هكذا كان يقول بلال رضي الله عنه عند موته فرحًا مستبشرًا: "غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه".

---

(١) الرحمن: ٤٦-٧٨.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) أخرجه مسلم في "الزهد" (٢٩٥٦).

وهذا صحابي جليل آخر[١] تصيبه سهام نافذة يفور لها دمه، فإذا به يهلل مستبشرًا: "فزت ورب الكعبة".

إنه يرى الموت في سبيل الله تعالى فوزًا أيما فوز!

فعن أنس بن مالك قال: لما طعن حرام بن ملحان -وكان خال أنس بن مالك- قال: "فزت ورب الكعبة"[٢].

وفي رواية أنه نثر الدم على رأسه وقال: "فزت ورب الكعبة".

لقد كانت هذه الكلمة هي شعار الصحابة عند الموت، وذلك لصلاح عقيدتهم في الموت، وأنه انتقال إلى دار الجزاء، ولقاء أكرم الأكرمين.

فهذا صحابي جليل آخر ينطق بهذه الكلمة الجليلة عند موته في سبيل الله: "فزت ورب الكعبة".

إنه الصحابي الجليل (عامر بن فهيرة التميمي): "لما طعن جبّارُ بن سلمى عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، فقال عامر: فزت ورب الكعبة، ورفع من رمحه فلم توجد جثته، فأسلم جبار لذلك وحسن إسلامه"[٣].

ولقد بلغ من شوق الصحابة إلى الموت في سبيل الله أنهم كانوا يقترعون أيهم يقدم للموت في سبيل الله.

فلقد استهم[٤] يوم بدر خيثمة بن الحارث وابنه سعد، فخرج سهم سعد، فقال له أبوه: يا بني، آثرني اليوم! (أي قدمني عليك في طلب الشهادة) فقال له سعد: يا أبت، لو كان غير الجنة، فعلت!

---

(١) هو حرام بن ملحان خال أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري في "المغازي" (٤٠٩٢).

(٣) الإصابة في تراجم الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢١١/١).

(٤) الاستهام: هو عمل القرعة.

فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وما زال أبوه خيثمة "يتطلع إلى الجنة حتى كان يوم أحد، فقتل يوم أحد" .

لقد كان أصحاب النبي ﷺ يتمنون الموت في سبيل الله تعالى لذلك.

فالموت في سبيل الله تعالى هو السبيل إلى رؤية الله تعالى ولقائه!

الموت في سبيل الله هو السبيل إلى جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهل من مشتاق إلى الله والجنة؟

وهل من مستعد لذلك.

إن المؤمن الحق هو الذي تهفو نفسه إلى لقاء الله تعالى والجنة، فيكون حرصه على الآخرة عظيم، ولا أقول أعظم من حرصه على الدنيا؛ فالمؤمن الحق لا يتعلق بالدنيا ولا يحرص عليها إلا لأجل بلوغ الآخرة.

ولكن كيف يكون الموت سبيلاً إلى الله والجنة؟

اعلم أخي المؤمن أن الموت لا يكون كذلك حتى تستعد له استعداده، وتأخذ له أهبته، فاحرص على أن تلقى الله تعالى بعمل صالح، فيكون دليلاً وبرهانًا على صدق عبوديتك لله، والتزامك بعهده وطاعته.

وإياك إياك أن يفجأك الموت وأنت في معصيته سبحانه فتلقاه رهينًا حبيسًا بأعمالك، وقد قبضت روحك زبانية العذاب كالمجرم الذي يقبض عليه متلبسًا بجرمه وإثمه.

فاحرص أخي المسلم أن تكون من هؤلاء الذين قال فيهم القائل:

إن لله عبـــــــادًا فطنـــــــا طلقــوا الــدنيا وخــافوا الفتنــا

الإصابة (٢/ ٢٤).

نظـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ وطنـــا
تركوهـــا لجـــة واتخـــذوا صـــالح الأعمـــال فيهـــا ســـفنا

أما من فرط في الاستعداد للموت، ونسيه وأعرض عن ذكره، فلعل له في سكرات الموت واعظًا، وفي ضغطة القبر زاجرًا ، فيامن غفل عن الموت وسكراته، وعن القبر وأهواله أقف بك في هذه المحطة الأولى من هذه الرحلة عند سكرات الموت.

المـراد بسـكرة المـوت: شـدته، قـال تعـالى: ﴿وَجَـاءَتْ سَـكْرَةُ الْمَـوْتِ بِالْحَقِّ﴾[1]، يقول ﷻ وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق، أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه[2].

فمهما طال العمر فلابد من الموت وهاهي ذي قد جاءت سكرة الموت أي: غمرته وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر للبعث والدار الآخرة المكذب به يراه عيانًا[3].

فيا أيها الناس: قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه، وحان للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه، وقبل سكون حركاته وخمود أنفاسه ورحلته إلى قبره ومقامه بين أرماسه[4].

والله لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لاسيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا

(١) ق:١٩.
(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٤).
(٣) أبوبكر الجزائري: أيسر التفاسير (٥/١٤٤).
(٤) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة- القرطبي ص(١٩)، والرمس: هو التراب الذي يدفن فيه الإنسان.

تدري متى يغشاك[١].

وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم، فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم:

"أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله العظيم، والمراقبة له، واتخذوا التقوى والورع زادًا فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها، والله في عرصات القيامة وأهوالها، يسألكم عن الفتيل والنقير. فالله الله عباد الله. اذكروا الموت الذي لابد منه، واسمعوا قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٢] وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٣] وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[٤].

فقد بلغني -والله أعلم- أنهم يضربون بسياط من نار. وقال جل ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٥][٦].

فخيل لنفسك يا بن آدم إذا أخذت من فراشك، إلى لوح مغتسلك، فغسلك الغاسل وألبسك الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالله؟ وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدًا؟!

ولله در القائل:

---

(١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين – طبعة الريان (٤/٤٩٠).

(٢) آل عمران:١٨٥.

(٣) الرحمن:٢٩.

(٤) محمد:٢٧.

(٥) السجدة:١١.

(٦) التذكرة (ص١٩، ٢٠).

ليس الغريب غريب الشام واليمن   الغريب غريب اللحد والكفن
تمر ساعات أيامي بلا ندم   ولا بكاءٍ ولا خوفٍ ولا حزن
سفري بعيد وزادي لا يبلغني   وقسمتي لم تزل والموت يطلبني
ما أحلم الله عني حيث أمهلني   وقد تماديت في ذنبي ويسترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهدًا   على المعاصي وعين الله تنظرني
يا زلة كُتبت في غفلة ذهبت   يا حسرة بقيت في القلب تقتلني
دع عنك عذلي يا من كان يعذلني   لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني
دعني أنوح على نفسي وأندبها   وأقطعُ الدهر بالتذكار والحزن
دعني أسح دموعًا لا انقطاع لها   فهل عسى عبرة منها تخلصني
كأنني بين تلك الأهلِ مُنطرحًا   على الفراش وأيديهم تقلبني
وقد أتوا بطبيب كي يعالجني   ولم أرَ من طبيب اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها   من كل عرق بلا رفق ولا هون
واستخرج الروح مني في تغرغرها   وصار في الحلق مرًا حين غرغرني
وسل روحي وظل الجسمُ منطرحا   على الفراش وأيديهم تقلبني
وغمضوني وراح الكلُّ وانصرفوا   بعد الإياس وجدوا في شرًا كفني
وقام من كان أولى الناس في عجل   إلى المغسل يأتيني يغسلني
وقال يا قوم نبغي غاسلاً حذقًا   حرا أديبًا أريبًا عارفًا فطن
فجاءني رجل منهم فجردني   من الثياب وأعراني وأفردني
وأطرحوني على الألواح منفردًا   وصار فوقي خرير الماء ينظفني
وأسكب الماء من فوقي وغسلني   غسلاً ثلاثًا ونادى القوم بالكفن
وألبسوني ثيابًا لا كمام لها   وصار زادي حنوطًا حين حنطني
وقدموني إلى المحراب وانصرفوا   خلف الإمام فصلى ثم ودعني
صلوا علي صلاة لا ركوع لها   ولا سجود لعل الله يرحمني

وأنزلوني في قبري على مهل ... وأنزلوا واحدًا منهم يلحدني
وكشف الثوب عن وجهي لينظرني ... وأسبل الدمع من عينيه أغرقني
فقام محتزمًا بالعزم مشتملاً ... وصفف اللبن[1] من فوقي وفارقني
قال: هلوا عليه التراب واغتنموا ... حسن الثواب من الرحمن ذي المنن
في ظلمة القبر لا أمٌّ هناك ولا ... أبٌ شفيقٌ ولا أخٌ يؤانسني
وأودعوني ولجوا في سُؤالهموا ... مالي سواك إلهي من يخلصني
وهالني صورة في العين إذ نظرت ... من هول مطلع ما قد كان أدهشني
من منكر ونكير ما أقول لهم ... إذ هالني منهما ما كان أفزعني
فامنن عليَّ بعفوٍ منك يا أملي ... فإنني موثق بالذنب مرتهن
تقاسم الأهلُ مالي بعد ما انصرفوا ... وصار وزري على ظهري فأثقلني
فلا تغرنك الدنيا وزينتُها ... وانظر إلى فعلها في الأهل والوطن

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير الزاد والكفن
خذ القناعة من دنياك وارض بها ... لو لم يكن لك منها إلا راحة البدن
يا نفس كفي عن العصيان واكتسبي ... فعلاً جميلاً لعل الله يرحمني[1]

ولله در القائل أيضًا:

ألا أيها المغرور مالك تلعب ... تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد ... سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعًا ... عليك يقينًا طعمه ليس يعذب

---

(١) القصيدة للإمام علي زين العابدين فيما ينسب إليه. انظر: أحمد فريد: البحر الرائق في الزهد والرقائق- مكتبة الصحابة- جدة(١٤١١هـ-١٩٩١م)- (ص٢٧٣-٢٧٤).

كأنـك توصـي واليتـامى تـراهم وأمهـم الثكلـى تنـوح وتنـدب
تغـص بحـزن ثـم تلطـم وجههـا يراهـا رجـال بعـدما هـي تحجـب
وأقبـل بالأكفـان نحـوك قاصـد ويحثي عليك الترب والعين تسكب[١]

فهذه يا أخي، الداهية الأولى على الميت، شدة النزع.

أما الداهية الثانية فهي:

مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته.

الداهية الثالثة:

مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات، قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إما أبشر يا عدو الله بالنار، أو أبشر يا ولي الله بالجنة. ومن هذا كان خوف أرباب الألباب[٢].

أذكـر المـوت ولا أرهبـه إن قلبـي لغلـيظ كـالحجر
أطلـب الـدنيا كـأني خالـد وورائـي المـوت يقفـو بـالأثر
وكفـى بـالموت فـاعلم واعظًـا لمـن المـوت عليـه قـد قـدر
والمنايـا حـو لـه ترصـده ليس ينجي المرء منهن المفر[٣]

---

(١) القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (ص٢٠-٢١).
(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين (٤/٤٩٣).
(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (ص١٩).

كيف تقبض روح المؤمن والكافر:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[4].

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب.

أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى. فإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. اخرجي ذميمة

---

(١) النحل:٣٢.

(٢) النحل:٢٨.

(٣) محمد:٢٧.

(٤) النساء:٩٧.

وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر"[١].

وقد ورد هذا المعنى في حديث البراء بن عازب، ولا بأس من ذكره على طوله، لما فيه من الرغبة والرهبة والموعظة، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثًا، فقال:" استعيذوا بالله من عذاب القبر"، مرتين، أو ثلاثا، ثم قال:" اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثًا"، ثم قال:" إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت -عليه السلام-، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن،

---

[١] الحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢/٢)، وأحمد (٣٦٤/٢) وصححه الألباني، وانظر صحيح ابن ماجه.

وفي ذلك الحنوط، (فذلك قو له تعالى : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون -يعني- بها على ملأ من الملائكة: إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان -بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ.كِتَابٌ مَرْقُومٌ.يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيكتب كتابه في عليين، ثم قال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره.

قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنات، فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الو جه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا

كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله؛ أبدلك الله به هذا. فإذا رأى ما في الجنة، قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له: اسكن، قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه معهم المسوح من النار فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان -بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة، حتى يلج الجمل في سم الخياط**﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع في جسده، ثم قرأ: ﴿**ومن يشرك بالله، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾ فتعاد روحه في جسده، قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقول ذاك! قال: فيقال: لا دريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًا، ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابًا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة"[1].

حسرة المقصر عند لقاء الموت:

روي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى ولم يدع صنفًا من المال إلا اتخذه، وابتنى قصرًا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسًا من غلمانه، ثم جمع أهله وصنع لهم طعامًا، وقعد على سريره، ورفع إحدى رجليه على الأخرى، وهم يأكلون فلما فرغوا قال: يا نفس أنعمي لسنين فقد جمع لك ما يكفيك؟ فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعًا أفزعه وهو على فراشه، فوثب إليه الغلمان وقالوا: ما شأنك؟ فقال: ادعوا إلي

(١) صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

مولاكم، فقالوا: وإلى مثلك يخرج مولانا؟ قال: نعم فأخبروه بذلك، فقال: هلا فعلتم به وفعلتم، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى، فوثب إليه الحرس، فقال: أخبروه أني ملك الموت، فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع، فقال: قولوا له قولاً لينًا، وقولوا هل تأخذ به أحدًا؟ فدخل عليه وقال: اصنع في مالك ما أنت صانع، فإني لست بخارج منها حتى أخرج روحك، فأمر بماله حتى وضع بين يديه، فقال حين رآه: لعنك الله من مال! أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي، فأنطق الله المال فقال: لم تسبني؟! وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقى عن بابهم، وكنت تنكح المتنعمات بي، وتجلس مجالس الملوك بي، وتنفقني في سبيل الشر، فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك؟ خلقت يا بن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم، ثم قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله[1].

الناس مع الموت: إما منهمك، وإما تائب مبتدئ، أو عارف منته.

أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدًا.

وأما التائب: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت؛ خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٩٦-٤٩٧).

إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: "من كره لقاء الله كره الله لقاءه"[١] فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء قصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهًا للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا.

وأما العارف: فإنه يذكر الموت دائمًا لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطئ محبيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين.

ما جاء في سوء الخاتمة

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة"[٢].

وفي البخاري عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: "إن العبد ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم"[٣].

قال أبومحمد عبدالحق: اعلم أن سوء الخاتمة -أعاذنا الله منها- لا تكون لمن استقام ظاهره، وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به -والحمد لله- وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم.

---

(١) أخرجه البخاري في "الرقاق"، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦٥٠٧)، ومسلم في "الذكر"، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٥٣٩/٥) ط الشعب.

(٢) مسلم (ج٤/القدر١١).

(٣) البخاري (ج١١، الرقاق ٦٤٩٣)، ومسلم أيضًا (ج١، الإيمان ١٧٩).

فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطدمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيمًا، ثم تغير عن حاله ويخرج عن سننه، ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته، كإبليس الذي عبدالله فيما يروى عن ثمانين ألف سنة، وبلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض، واتباع هواه، وبرصيصا العابد الذي قال الله في حقه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾[1].

ويُروى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدًا للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقى يومًا المنارة على عادته للأذان، وكانت تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له: ما شأنك ما تريد؟ فقال: أنت أريد، فقالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال لها: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه ولا هو بها، فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة"[2].

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

... أنفسهم أبصروا

... الدنيا لهم معبر

---

(١) الحشر:١٦.

(٢) القرطبي: التذكرة (٣٥). ط دار الحديث.

لا فخر إلا فخر أهل التقى غدًا إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في فخره وهو غدًا في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير خير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يقدر[1]

* * *

(١) التذكرة (ص١١).



أخي الحبيب: إن الموت حقيقة لا يمتري فيها مسلم ولا كافر، ورغم وضوح هذه الحقيقة ويقين الناس بها فإنهم في غفلة عظيمة عنها.

وسبب غفلة الناس عن الموت ترجع إلى قلة فكرهم وقلة ذكرهم له، ومن ذكره منهم ذكره بقلب مشغول بالشواغل، فلا يؤثر ذلك في نفسه، ولا يردعه عن غيّه.

فالطريق النافع -بإذن الله- أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الله وما والاه وذكر الموت الذي هو بين يديه؛ قال - جلا وعلا-: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[1].

فإذا أردت أن يؤثر فيك ذكر الموت فاجعل نفسك كالذي يريد أن يسافر إلى محل خطر أو إلى مفازة مخطرة، أو كالذي يريد أن يركب في البحر أو في أي مركب من المراكب الخطرة؛ فإنه لا يتفكر إلا فيه.

فإذا باشر ذكر الموت قلبك فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقلُّ فرحك وسرورك وينكسر قلبك، ويضعف اهتمامك بالدنيا وشئونها، ويقوي اهتمامك بالآخرة.

وأنجح الطرق لذلك -بإذن الله تعالى- أن تتذكر أقرانك في السن الذين قصمهم هادم اللذات، ومشتت الشمل، ومفرق الجماعات، فتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، وتذكر صورهم ومناصبهم وأحوالهم، وأزواجهم وأولادهم، ومساكنهم من بعدهم، وتفكر وتأمل كيف محا التراب أجسامهم وحسن صورهم؟ وكيف بددت أجزاؤهم في قبورهم؟ وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم التي قاسوا على جمعها الشدائد والمشقات

---

(١) ق:٣٧.

وتنعم بها غيرهم ممن جاءتهم، عفوًا بلا تعب، والحساب والتبعات على المسكين الذي ضيع نفسه وصار كما قال القائل:

وذي حرص تراه يُلمُّ وفرًا فوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواه

وتفكر كيف خلت منهم المساجد والمجالس، وانقطعت آثارهم؟ فمهما تذكرت أولئك الزملاء والأساتذة والمشايخ والأقارب والجيران، وتصورت حالهم وموتهم وتفرقهم، وتذكرت نشاطهم، وترددهم، وأملهم في البقاء للعيش ونسيانهم للموت وانخداعهم للنفس وإبليس والهوى والدنيا، وركونهم إلى الضحك واللهو، وغفلتهم عما بين أيديهم من الموت العظيم والهلاك السريع، ويتفكر كيف أنهم كانوا يترددون، والآن قد تهدمت أجسادهم وتفرقت أوصالهم، وأنهم كانوا يتكلمون ويمرحون، والآن أكل الدود اللسان وتفرقت في القبر المفاصل والأسنان.

ويتفكر كيف أنهم كانوا يجمعون لأنفسهم ما يكفي لعدة سنين في قوت لم يكن بينهم وبين الموت إلا زمن يسير، وهم في غفلة عما يراد بهم حتى إذا جاءهم الموت في وقت ما احتسبوا له وانكشف لهم صورة الملك وقرع أسماعهم النداء إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فعند ذلك ينظر في نفسه وأنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم؛ قال أبو الدرداء: إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم.

قال ابن الجوزي: عجبت من عاقل يرى استيلاء الموت على أقرانه وجيرانه كيف يطيب عيشه خصوصًا إذا علت سنه؟![١].

---

(١) نقلا عن اغتنام الأوقات لعبدالعزيز المحمد السلمان- (١٠٠-١٠٢).

فذكر نفسك بمن اخترمته المنية من جيرانك وإخوانك وخلانك وأقاربك، ثم تذكر من مات من رؤساء الناس وأشرافهم من الملوك والوزراء، والخلفاء والأمراء، وذوي الوجاهة والأغنياء:

[illegible] من زخارف تخدعُ
[illegible] فيها ودائع ترجع
[illegible] كانت به الشمس تطلع
[illegible] جنباته حين يزرع
[illegible] للمهابة يتبع
[illegible] الضيافي ويترع
[illegible] بهاء بلقع
[illegible] ليس يرقع
[illegible] به الأرض تمرع
[illegible] الكلام فيسمع
[illegible] من الخز يرفع
[illegible] شمله ليس يصدعُ(١)

وقال آخر:

[illegible] ومات الخير
[illegible] إذا ما أمر
[illegible] تلك الصور
[illegible] الثرى معتبر

(١) اغتنام الأوقات- (١٤،١٥).

لقـــد لقـــى القـــوم مـــا قـــدموا فإمـــا نعـــيم وإمـــا ســـفر

فإذا تذكر المرء هلال هؤلاء السابقين جميعًا لم يبق لديه ذرة شك في أنه سيموت، فما بالك إذا تذكر المرء موت رسول الله ﷺ وما لقيه فيه من شدة الموت وسكراته، وعظم بلائه ومعاناته، مع كونه سيد الأولين والآخرين، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر؟!

لاشك أن في وفاة الرسول ﷺ أعظم الأسوة لنا، فقد كان بأبي هو وأمي أسوة لنا في حياته وفي مماته، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا﴾[1].

فتعالوا نأخذ الدرس والعظة من وفاة رسول الله ﷺ.

تعالوا نشهد ذلك اليوم العصيب، وما كان فيه من وفاة الحبيب، عسى أن تلين بذلك القلوب، وتثوب النفس إلى رشدها فتتوب، قبل أن تصير إلى علام الغيوب.

---

(١) الأحزاب: ٢١.

وفاة النبي ﷺ

[illegible] رسول الله ﷺ

ذكر ذلك الحافظ بن كثير في "تاريخه" فقال:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ﴾ .

وهذه الآية هي التي تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله ﷺ فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها من قبل.

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

الزمر: ٣٠-٣١.

الأنبياء: ٣٤.

آل عمران: ١٨٥.

آل عمران: ١٤٤.

اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[١].

قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما: هو أجلُ رسول الله ﷺ نُعي إليه.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع، فخطب الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم.

وقال جابر رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمار فوقف وقال: "لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا".

وقال ﷺ لابنته فاطمة: "إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي".

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل شهر رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يومًا، وكان يعرض عليه القرآن في كل رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه القرآن مرتين[٢] .نه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء رسول الله ﷺ عنده لم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي لاتخطئ مشيتها مشية أبيها. فقال: "مرحبًا بابنتي"، فأقعدوها عن يمينه أو شماله، ثم سارها بشيء فبكت، ثم سارها فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ بالسرار وأنت تبكين؟ فلما أن قامت قلت: أخبريني ما سارك فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فلما توفي قلت لها: أسألك لما لي عليك من الحق لما أخبرتيني؟ قالت: أما الآن فنعم! قالت: سارني في الأولى قال لي: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل

---

(١) النصر: ١-٣

(٢) البداية والنهاية لابن كثير- ط دار الفكر العربي- (٣/٢٢٣).

سنة مرة وقد عارضني في هذا العام مرتين، ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري فنعم السلف أنا لك" فبكيت. ثم سارني فقال: "أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة" فضحكت. وله طرق عن عائشة[1].

تروي لنا عائشة رضي الله عنها كيف ابتدأ وجع النبي ﷺ الذي مات فيه فتقول: دخل علي رسول الله ﷺ وهو يصدع وأنا أشتكي رأسي فقلت: وارأساه! فقال: "بل أنا والله يا عائشة وارأساه"! ثم قال: "وما عليك لو مت قبلي فوليت أمرك وصليت عليك وواريتك". فقلت: والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار، فضحك رسول الله ﷺ ثم تمادى به وجعه فاستعز[2] به وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة، فاجتمع إليه أهله، فقال العباس: إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلموا فلنلده[3]، فلدوه فأفاق رسول الله ﷺ . فقال: "من فعل هذا؟" فقالوا: عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب. فقال رسول الله ﷺ: "إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه علي، لا يبقى في البيت أحد إلا لددتموه إلا عمي العباس" فلد أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله ﷺ ثم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين العباس ورجل آخر لم تسمه تخط قدماه بالأرض. قال عبيدالله: قال ابن عباس: الرجل الآخر علي بن أبي طالب[4].

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير- (٣/٢٢٦).
(2) قال في النهاية: استعز به المرض واستعز عليه إذا اشتد عليه وغلبه.
(3) اللد: أن يؤخذ بلسان الصبي فيمر إلى أحد شقيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين السدق. (اللسان مادة لدد).
(4) البداية والنهاية- (٣/٢٢٥).

اشتداد المرض بالنبي ﷺ:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه، قال: "هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس" فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قالت عائشة: ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم[١].

وقال البخاري: حدثنا إسماعيل ثنا سليمان بن بلال قال هشام بن عروة: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: "أين أنا غدًا، أين أنا غدًا"؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فمسسته فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا، قال: "أجل! إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم"، قلت: إن لك أجرين قال: "نعم! والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها"[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: وضع رجل يده على النبي ﷺ فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك، فقال النبي ﷺ: "إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر، وإن كان النبي من الأنبياء

---

(١) قال ابن كثير: وقد رواه البخاري أيضًا في مواضع أخر من صحيحه، ومسلم من طرق عن الزهري به [البداية والنهاية- (٢٢٥/٣) ط. دار الفكر].

(٢) قال ابن كثير: وقد أخرجه البخاري ومسلم من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش به.

ليبتلى بالقمل حتى يقتله، وإن كان الرجل ليبتلى بالعري حتى يأخذ العباءة فيجوبها، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء"(١).

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سفيان الثوري شعبة بن الحجاج - زاد مسلم وجرير- ثلاثتهم عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ.

وفي صحيح البخاري من حديث يزيد بن الهاد، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مات رسول الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ.

وفي الحديث الآخر الذي رواه البخاري في صحيحه قال: قال رسول الله ﷺ: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه في البلاء".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: "اللهم أعني على سكرات الموت"(٢).

فتأمل يا عبدالله كيف اشتد بالنبي ﷺ مرض الموت، وكيف اشتدت به

---

(١) قال ابن كثير: فيه رجل مبهم لا يعرف بالكلية فالله أعلم. "البداية" (٢٣٧/٣). ط دار الفكر.

(٢) قال ابن كثير: "البداية"- (٢٣٩/٣): رواه أحمد وكذا الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث الليث به. وقال الترمذي: غريب. وأورده الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه" (ح١٦٢٣)، وقال: "ضعيف". وقال في تعليقه على "المشكاة" (ح١٥٦٤): قال الترمذي: حديث حسن غريب، ونقل عنه الحافظ أنه قال: غريب فقط دون التحسين، وهذا هو الأقرب لحال إسناده، فإن فيه موسى بن سرجس، ولم يوثقه أحد ولا روى عنه غير اثنين.

الحمى حتى أراقوا عليه سبع قرب من ماء بارد، وتأمل كيف كان يعاني ﷺ من سكرات الموت -بأبي هو وأمي- ويقول: "لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات"[١].

ويقول: "اللهم أعني على سكرات الموت"[٢].

فلو كان أحد ينجو من تلك السكرات لنجا منها رسول الله ﷺ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٣].

فلينظر العبد ماذا أعد لهذه السكرات، فإن الشيطان يفتن العبد عند الممات، فإذا كان توحيده زائفًا قبل فتنته؛ وإن كان توحيده صادقًا لهج لسانه بـ"لا إله إلا الله".

وعلامة صدق التوحيد ألا يكون في القلب محبة أعظم من محبة الله تعالى، وألا يتعلق القلب بشيء سوى الله تعالى، فيعلم أن الأمر كله لله، فلا يسألن حاجته أحدًا إلا الله، فلا يلجأ لقبر نبي ولا ولي بل يمتثل وصية رسول الله ﷺ: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"[٤].

كما ينبغي عليه أن يفرده سبحانه بالطاعة والولاء، فلا يطيعن أحدًا كائنًا ما

---

(١) أخرجه البخاري في "المغازي"، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (٧/٧٥٠)، (ح٤٤٤٩)، وفي الجمعة، والجنائز، والجهاد، والفضائل، والنكاح، والرقاق.

(٢) ضعيف.

(٣) ق:١٩.

(٤) صحيح، أخرجه أحمد، والترمذي، والحاكم من حديث ابن عباس، وانظر صحيح الجامع- (ح٧٩٥٧).

كان في معصية الله تعالى، ولا يتبعن شرعًا سوى شرع الله تعالى.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

فتمسك بحقيقة التوحيد تكن من الناجين، فطوبى لمن مات وهو يعرف لا إله إلا الله حق المعرفة، فمن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، وحرم على النار.

وطوبى لمن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

قال رسول الله ﷺ: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[٢].

فمن تأمل حال رسول الله ﷺ عند وفاته، وكيف كان حرصه ﷺ على أن يموت على لا إله إلا الله، فهو مع معاناته لسكرات الموت، كان كلما أفاق ﷺ قال: "لا إله إلا الله"وذلك لأن قلبه ﷺ كان ممتلئًا بهذه الكلمة محققًا لمعناها، مجاهدًا في سبيلها، لذلك فقد انطلق بها لسانه عند لقاء ربه، فهو أعظم ما يلقى العبد به ربه من الباقيات الصالحات.

فاحذر يا عبدالله سوء الخاتمة، واحذر أن يحول الشيطان بينك وبين تلك الكلمة عند موتك، وليكن لك في رسول الله ﷺ أسوة، فقد كان دائم التعوذ من فتنة الممات.

فقد كان النبي ﷺ يتعوذ آخر كل صلاة من فتنة الممات، فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات،

المائدة: ٥٠.

(٢) الحديث صحيح، أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم من حديث معاذ -رضي الله عنه- وانظر صحيح الجامع (٦٤٧٩)، وراجع الإرواء (ح٦٨٧).

ومن شر فتنة المسيح الدجال"[١]. وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: "اللهم إني أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت"[٢].

حرصه ﷺ على أمته وشفقته بها ونصحه لها عند موته:

روى البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة وابن عباس؛ قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا.

وعن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: "أحسنوا الظن بالله".

وفي بعض الأحاديث كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى". وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرًا".

وعن أنس قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة: "الصلاة وما ملكت أيمانكم" حتى جعل يغرغر بها وما يفصح بها لسانه[٣].

---

(١) رواه بنحوه البخاري في الأذان، باب: الدعاء قبل السلام (٢/٣٧٠)، (ح٨٣٢)، ورواه أيضًا في الاستقراض، وفي الفتن، ومسلم في المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة (ح٥٩٠)، واللفظ له.

(٢) "صحيح"، أخرجه أبو داود، والنسائي من حديث أبي اليسر، وانظر صحيح أبي داود (ح١٣٧٣).

(٣) البداية والنهاية (٣/٢٣٨) ط. الفكر، وقال ابن كثير: وقد رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه عن جرير بن عبدالحميد به، وابن ماجه عن أبي الأشعث عن معتمر بن سليمان عن أبيه به. والحديث صحيح.

تحذير النبي ﷺ أمته أن تقع فيما وقت فيه اليهود والنصارى من عبادة الأولياء والصالحين:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فكأنك قد استشرفت حجب الغيب، أو كشف الله لك الحجاب، فرأيت ما يكون من أمر أمتك من بعدك من اتباعها سنن اليهود والنصارى، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟"[1].

وعن ابن عباس، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: قاتل الله فلانًا: ألم يعلم أن النبي ﷺ قال: "لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"[3].

ولقد أخبر النبي ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى تعبد أمته الأوثان فقال ﷺ ضمن حديث طويل: "...وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين. وستعبد قبائل من أمتي الأوثان..."[4] الحديث.

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل- (٥٧١/٦)، (ح٣٤٥٦)، ومسلم في العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى (ح٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في نفس الكتاب، والباب (٥٧٢/٦)، (ح٣٤٦٠)، ومسلم في المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام- (ح١٥٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) رواه البخاري (ح٣٤٦٢)، ومسلم في اللباس والزينة، باب: في مخالفة اليهود في الصبغ- (ح٢١٠٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في الفتن، وانظر صحيح سننه (ح٣١٩٢).

الخلصة"[١]. وذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

وقد حذر ﷺ أمته من عبادة القبور ومشاهد الأولياء والصالحين، كما فعلت اليهود والنصارى، ولذلك نهاهم ﷺ في أحاديث كثيرة عن اتخاذ القبور مساجد.

وعلم النبي ﷺ أن أمته سوف تتخذ القبور مساجد، وسوف تتخذ القبور أوثانًا تعبدها من دون الله، ولذا دعا ربه فقال ﷺ : "اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد"، ولذا فإن الصحابة رضي الله عنهم قد اجتمعوا على دفن النبي ﷺ في بيته وعدم إبراز قبره لئلا يتخذ مسجدًا ولئلا يعبد من دون الله.

ففي صحيح البخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت: فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أو خُشي أن يتخذ مسجدًا[٢].

الصلاة والزكاة ووصية النبي ﷺ بهما قبل موته:

كما حذر النبي ﷺ من الوقوع في الشرك باتخاذ القبور مساجد، ونهى عن دعاء الأضرحة والمشاهد حفاظًا على التوحيد، ووصى النبي ﷺ كذلك بالصلاة أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد قبل موته، حتى جعل يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته: "الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن (ح٧١١٦)، ومسلم (ح٢٩٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٣٠٠/٣)، (ح١٣٩٠)، ومسلم في المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور (ح٥٢٩).

وما ملكت أيمانكم حتى جعل يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه"[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: "الصلاة وما ملكت أيمانكم" حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه[2].

وكذلك أوصى بالصلاة والزكاة وملك اليمين وهم العبيد والإماء الضعفاء.

فعن علي بن أبي طالب قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه، قال: قلت: إني أحفظ وأعي، قال: "أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم"[3].

فإذا تأمل العبد ذلك علم منزلة كل من الصلاة والزكاة في الإسلام، وعرف كيف عظم الإسلام حقوق الضعفاء.

- أما الصلاة، فقد جعلها النبي ﷺ الفاصل بين الإيمان والكفر فقال: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[4].

---

(1) البداية والنهاية (٣/٢٣٨)، وهو صحيح أخرجه أحمد في المسند، (٦/٢٩٠)، والنسائي، وابن ماجه بنحوه، انظر صحيح ابن ماجه (ح١٣١٧)، وصحيح الجامع (ح٣٨٧٣)، وراجع الإرواء (٧/٢٣٨، ٢٣٩).

(2) البداية والنهاية (٣/٢٣٨)، وقال: وقد رواه النسائي وابن ماجه من حديث سليمان بن طرخان وهو التيمي، عن قتادة، عن أنس به، وفي رواية للنسائي عن قتادة عن صاحب له عن أنس به، وانظر صحيح الجامع (ح٣٨٧٣)، وعزاه إلى أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس.

(3) البداية (٣/٢٣٨)، وقال: تفرد به أحمد من هذا الوجه، قلت: أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٣/٦٣)، وقال: قلت: رواه أبو داود باختصار، ورواه أحمد وفيه نعيم بن يزيد ولم يرو عنه غير عمر بن الفضل. والحديث ضعيف كما في الإرواء (٧/٢٣٨).

(4) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (ح٨٢)، من حديث جابر.

وقال ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر" [١].

وقال ﷺ: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة" [٢].

حرصه ﷺ على ألا تختلف أمته من بعده:

كان أعظم ما أهم النبي ﷺ في مرضه هو أمر اختلاف الأمة من بعده، فكان ﷺ حريصًا على ألا تختلف أمته من بعده، ولكن قدر الله غالب.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: "ائتوني أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا" فتنازعوا -ولا ينبغي عند نبي تنازع- فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه فذهبوا يردون عنه، فقال: "دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه"، فأوصاهم بثلاث، قال: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم" وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها [٣].

وروى البخاري أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: "هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا"، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،

---

(١) "صحيح" أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم كلهم عن بريدة، وانظر صحيح الجامع (ح٤١٤٣).

(٢) "صحيح" أخرجه مالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وأبو داود والنسائي، وابن ماجه في سننهم، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، كلهم من حديث عبادة بن الصامت، وانظر صحيح الجامع (ح٣٢٤٣).

(٣) البداية (٣/٢٢٧)، وقال ابن كثير: ورواه البخاري في موضع آخر، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به.

فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: "قوموا". قال عبيدالله: قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم .

والآن وقد عم الخلاف! فهل تحرص الأمة على إنفاذ وصية رسول الله ﷺ فتعمل على جمع الكلمة، ونبذ الفرقة، وترجع إلى الأصول الثابتة لهذا الدين، والتي تركنا عليها رسول الله ﷺ على مثل المحجة البيضاء، فهي الأصول التي لم يختلف عليها أهل الحق منذ أن تركهم رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، فلتمسك بهذه الأصول، ولتنبذ كل جماعة ما هي عليه من الفروع التي اختلفت فيها مع أهل الحق، فليعتقد كل فريق ما شاء من الآراء، ولكن لا يفرق أمر الأمة ولا يتعصب إلا لتلك الأصول التي اجتمعت عليها الكلمة، ففي ذلك النجاة من الفتن.

إشارته ﷺ باتباع أبي بكر رضي الله عنه من بعده:

حرص النبي ﷺ على ألا تختلف أمته على الخليفة من بعده.

وكان أعظم الناس منزلة وثباتًا في دين الله بعد رسول الله ﷺ هو صاحب رسول الله ﷺ الصديق، ثاني اثنين إذ هما في الغار، لذا فقد استخلفه النبي ﷺ على الصلاة يؤم المسلمين في حياته في مرض موته، وهم النبي ﷺ أن يكتب كتابًا يعهد فيه إلى أبي بكر من بعده؛ لئلا يطمع في الأمر طامع، ولكن حال الموت بينه وبين ذلك، وبقيت إشارات النبي ﷺ بتفضيل أبي بكر هادية

البداية (٣/٢٢٧)، وقال ابن كثير: ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبدالرزاق بنحوه.

للمؤمنين بعده في استخلافه وبيته خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ فمن هذه الإشارات:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : "لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد؛ أن يقول القائلون، أو يتمنى متمنون" فقال: "يأبى الله أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون".

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم عن أبيه، قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك -كأنها تقول الموت- قال: "إن لم تجديني فأت أبا بكر"، والظاهر -والله أعلم- أنها إنما قالت ذلك له ﷺ في مرضه الذي مات فيه -صلوات الله وسلامه عليه- وقد خطب ﷺ في يوم الخميس قبل أن يقبض بخمس أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين [(١)].

عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: "إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله" قال: فبكى أبو بكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: "إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولوكنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خلة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر" [(٢)].

---

(١) البداية والنهاية- (٢٢٨/٣) ط. دار الفكر.

(٢) البداية والنهاية- (٢٢٩/٣)، وقال الحافظ بن كثير: وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث فليح ومالك بن أنس عن سالم عن بشر بن سعيد وعبيد بن حنين كلاهما عن أبي سعيد بنحوه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل علي عبدالرحمن بن أبي بكر وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه. وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته، فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات". ثم نصب يده، فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض مالت يديه .

وعنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة". وكان في شكواه الذي قبض أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: "مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين" فعلمت أنه خير .

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرب أبتاه! فقال لها: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم"، فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه! من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب .

أخرجه البخاري في المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته- (٧/٧٥٠)، (ح٤٤٤٩)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه.

متفق عليه، أخرجه البخاري في التفسير، (٨/١٠٣)، (ح٤٥٨٦)، ومسلم (ح٢٤٤٤).

أخرجه البخاري في المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته- (٧/٧٥٥)، (ح٤٤٦٢).

إن المتأمل لهذه الساعة الرهيبة، يستطيع أن يدرك هول الموت وشدته، فرسول الله ﷺ لا يستطيع الكلام فهو يريد السواك ولا يستطيع النطق، لقد حيل بين النبي ﷺ وبين الكلام، ولكنه ينظر إليه فتعرف عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يحب السواك، وأنه يريده، فتسأله: آخذه لك؟ فلا يستطيع الكلام، ولكنه يشير برأسه: أن نعم! يا لها من ساعة عصيبة تلك الساعة التي يحال فيها بين المرء وبين الكلام، فلا يستطيع أن يتكلم، ولا يستطيع أن يوصي ولا يأمر بشيء.

إنها ساعة الموت! ساعة السكرات!

إنها ساعة الفراق: فراق الأهل، فراق الأحبة.

وأعظم من ذلك: فراق الروح للجسد!

مات رسول الله ﷺ شهيدًا:

لعل هذه الحقيقة مما يجهلها كثير من الناس، يجهلون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيدًا، وأن اليهود عليهم لعائن الله المتتالية إلى يوم القيامة، هم الذين قتلوه ﷺ بأن دسوا له السم في الشاة التي دعوه إليها بخيبر.

فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: "يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم"(١).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لئن أحلف تسعًا أن رسول الله ﷺ قتل قتلًا أحب إليَّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبيًا وشهيدًا(٢).

---

(١) البداية والنهاية (٢٢٦/٣، ٢٢٧)، وقال ابن كثير: هكذا ذكره البخاري معلقًا. البخاري في المغازي- (٧٣٧/٧)، (ح٤٤٢٨).

(٢) البداية- (٢٢٧/٣). ط. دار الفكر.

وهذا مصداق لقول الله تعالى في اليهود عليهم لعائن الله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[١].

حيث عبر سبحانه عن التكذيب بصيغة الماضي: ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ وعن القاتل بصيغة المضارع: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لأن قتلهم للأنبياء لم ينته حتى قتلوا محمدًا ﷺ آخر الأنبياء، وذلك حتى يظهر للناس مدى بشاعتهم، ومدى ما يكنونه للمسلمين من حقد دفين، وحتى ينال النبي ﷺ شرف الشهادة زيادة إلى شرف نبوته ﷺ.

صفة غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ﷺ

قال الحافظ بن كثير: عن عائشة قالت: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء من فوق القميص، فيدلكونه بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه[٢].

وعن علي بن أبي طالب قال: لما غسل النبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت، فلم يجده، فقال: بأبي الطيب. طبت حيًا، وطبت ميتًا[٣].

---

(١) البقرة:٨٧.

(٢) البداية والنهاية- (٣/٢٦٠) ط. دار الفكر، وهو حديث حسن أخرجه أبو داود في الجنائز، وانظر صحيح سننه (ح٢٦٩٣).

(٣) صحيح، أخرجه ابن ماجه في الجنائز، باب: ما جاء في غسل النبي ﷺ وانظر صحيح سننه (ح١١٩٨).

صفة تكفينه ﷺ:

قال ابن كثير: عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قال: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية[١]، ليس فيها قميص ولا عمامة[٢].

وعنها قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف[٣]، ليس فيها قميص ولا عمامة، فأما الحلة فإنما شبه على الناس فيها إنما اشتريت له حلة ليكفن فيها فتركت، وأخذها عبدالله بن أبي بكر فقال: لأحبسنها لنفسي حتى أكفن فيها، ثم قال: لو رضيها الله لنبيه ﷺ لكفنه فيها، فباعها وتصدق بثمنها[٤].

صفة الصلاة عليه ﷺ:

قال ابن كثير:

وعن ابن مسعود في وصية النبي ﷺ أن يغسله رجال أهل بيته وأنه قال: "كفنوني في ثيابي هذه أو في يمانية أو بياض مصر" وأنه إذا كفنوه يضعونه على شفير قبره يخرجون عنه حتى تصلي عليه الملائكة ثم يدخل عليه رجال أهل بيته فيصلون عليه، ثم الناس بعدهم فرادى[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ثم أدخل

---

(١) السحل: ثوب أبيض، وخص بعضهم به الثوب من القطن.

(٢) البداية (٣/٢٦٢)، وقال الحافظ بن كثير: وكذا رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك.

(٣) الكرسف: القطن.

(٤) البداية (٣/٢٦٣)، وقال الحافظ بن كثير: رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى وغيره عن أبي معاوية.

(٥) البداية (٣/٢٦٤)، وقال الحافظ بن كثير: وفي صحته نظر.

العبيد فصلوا عليه أرسالاً لم يؤمهم على رسول الله ﷺ أحد[١].

قال الحافظ بن كثير: عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ: اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت من رسول الله شيئًا ما نسيته، قال: "ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه" ادفنوه في موضع فراشه[٢].

وعن عبدالرحمن بن سعيد -يعني ابن يربوع- قال: لما توفي النبي ﷺ اختلفوا في موضع قبره، فقال قائل: في البقيع فقد كان يكثر الاستغفار لهم، وقال قائل: عند منبره، وقال قائل: في مصلاه، فجاء أبو بكر فقال: إن عندي من هذا خبرًا وعلمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي"[٣].

---

(١) البداية (٣/٢٦٥)، وقال الحافظ بن كثير: وصلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه، أمر مجمع عليه لا خلاف فيه.

(٢) البداية (٣/٢٦٦)، وقال: ثم إن الترمذي ضعف المليكي، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ. وانظر صحيح الجامع (ح٥٦٤٩)، وقال: صحيح، وانظر أحكام الجنائز (١٣٧)، وصحيح الترمذي (١١٢).

(٣) البداية (٣/٢٦٧)، وقال: قال الحافظ البيهقي: وهو في حديث يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وفي حديث ابن جريج عن أبيه كلاهما عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ مرسلا.



الفصل في وفاة

[illegible]

لما احتضر أبوبكر ﷺ جاءت عائشة ﷺ فتمثلت بهذا البيت:

[illegible] وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ .

انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت.

وقالت عائشة ﷺ:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليَّ طبيبي وقال: إني فعال لما أريد[٢].

قال عمرو بن ميمون: "كنت قائمًا غداة أصيب عمر وما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما، فإذا رأى خللًا قال:

---

(١) ق:١٩.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٥٠٥).

استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر. قال: وربما قرأ سورة يوسف أو النحل -أو نحو ذلك- في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني -أو أكلني- الكلب، حين طعنه أبولؤلؤة، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا أو شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، فمات منهم تسعة -وفي رواية سبعة- فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر رضي الله عنه عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فقدمه، فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت، وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله! فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قالوا: يا ابن عباس: انظر من قتلني! قال: فغاب ساعة ثم جاء، فقال: غلام المغيرة بن شعبة، فقال عمر رضي الله عنه: قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفًا. ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم[١].

عثمان رضي الله عنه أمير البررة وقتيل الفجرة

الحديث في قتله مشهور.

وقد قال عبدالله بن سلام: أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فدخلت عليه، فقال: مرحبًا يا أخي! رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة -وهي خوخة في البيت- فقال: "يا عثمان حصروك؟" قلت: نعم. قال: "عطشوك" قلت: نعم، فأدلى إليَّ دلوًا فيه ماء فشربت حتى رويت -حتى إني

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٥٠٧).

لأجد برده بين ثديي وبين كتفي- وقال لي: "إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا" فاخترت أن أفطر عنده! فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه.

وقال عبدالله بن سلام لمن حضر: تشحط عثمان في الموت حين جرح، ماذا قال عثمان وهو يتشحط؟ قالوا: سمعناه يقول، اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثًا. قال: والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدًا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة[1].

وفاة علي رضي الله عنه

قال الأصبغ الحنظلي: لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه[2].

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير

---

(١) المصدر السابق (٥٠٨).

(٢) المرجع السابق (٥٠٩).

جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار وتربص إلا له[١].

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يداوينا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هموا كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسًا غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا[٢]

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧٥).
(٢) التذكرة: القرطبي (٣٨).

تستر عورته، ثم يرفع قليلاً ويعصر بطنه عصرًا رقيقًا، ثم يلف الغاسل على يده خرقة أو نحوها فينحيه بها، ثم يوضئه وضوء الصلاة، ثم يغسل رأسه ولحيته بماء سدر أو نحوه ثم يغسل شقه الأيمن ثم الأيسر ثم يغسله كذلك مرة ثانية يمر في كل مرة يده على بطنه برفق، فإن خرج منه شيء غسله، وسد المحل بقطن، أو نحوه، وثالثة، فإن لم يستمسك فبطين حر أو بوسائل الطب الحديثة كاللزق ونحوه.

ويعيد وضوءه فإن لم ينق بثلاث غسلات زيد إلى خمس، إلى سبع، ثم ينشف بثوب، ويجعل الطيب في مغابنه ، ومواضع سجوده، وإن طيبه كله كان حسنًا، وتجمر أكفانه بالبخور، وإن كان شاربه أو أظافره طويلة أخذ منها، ولا يسرح شعره، والمرأة يظفر شعرها ثلاثة قرون، ويسدل من ورائها.

الأفضل أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص، ولا عمامة، يدرج فيها إدراجًا، وإن كفن في قميص، وإزار ، ولفافة فلا بأس،

أي يغلق فمه، واللحي: هو عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

المغْبِن: الإبط، والرُّفغُ وهو ما بين الفخذ والعانة، وكل مطوي من الجسد.

الإزار هو كل ثوب يستر الإنسان، وقد يطلق على ما يستر جزءه الأسفل.

والمرأة تكفن في خمسة أثواب: في درع[1]، وخمار، وإزار ولفافتين. ويكفن الصبي في ثوب واحد إلى ثلاثة أثواب، وتكفن الطفلة الصغيرة في قميص ولفافتين.

٤-أحق الناس بغسله والصلاة عليه ودفنه وصيه في ذلك، ثم الأب، ثم الجد، ثم الأقرب فالأقرب من العصبات.

والأولى بغسل المرأة: وصيتها، ثم الأم، ثم الجدة، ثم الأقرب فالأقرب من نسائها، وللزوجين: أن يغسل أحدهما الآخر، لأن الصديق رضي الله عنه غسلته زوجته، ولأن عليًا رضي الله عنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنها.

٥-صفة الصلاة على الميت:

يكبر ويقرأ بعد الأولى الفاتحة، وإن قرأ معها سورة قصيرة أو آية، أو آيتين فحسن، للحديث الوارد في ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي ﷺ كصلاته في التشهد، ثم يكبر الثالثة، ويقول: "اللهم اغفر لحينا وميتنا، شاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرانا، وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم اغفر له، وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار، وأفسح له في قبره ونوره له فيه، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده، ثم يكبر الرابعة، ويسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

ويستحب أن يرفع يديه مع كل تكبيرة، وإذا كان الميت امرأة يقال: "اللهم اغفر لها...إلخ". وإذا كانت الجنائز اثنتين يقال: "اللهم اغفر لهما"، وبالجمع إن

---

(١) الدرع: هو القميص.

كانت أكثر، أما إذا كان فرطًا فيقال بدل الدعاء بالمغفرة: "اللهم اجعله فرطًا وذخرًا لوالديه، وشفيعًا مجابًا، اللهم ثقل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم -عليه الصلاةوالسلام-، وقه برحمتك عذاب الجحيم".

والسنة أن يقف الإمام حذاء رأس الرجل، ووسط المرأة، وأن يكون الرجل مما يلي الإمام إذا اجتمعت الجنائز والمرأة مما يلي القبلة، وإن كان معهم أطفال قدم الصبي على المرأة، ثم الطفلة ويكون رأس الصبي حيال رأس الرجل، ووسط المرأة حيال رأس الرجل، وهكذا الطفلة يكون رأسها حيال رأس المرأة ويكون وسطها حيال رأس الرجل، ويكون المصلون جميعًا خلف الإمام إلا أن يكون واحدًا لم يجد مكانًا خلف الإمام فإنه يقف عن يمينه"[١].

---

(١) الدروس المهمة لعامة الأمة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ومعه كتاب شرح الدروس المهمة لعامة الأمة تأليف أ. د/عبدالحميد هنداوي- الطبعة الأولى- (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)- نشر مكتبة عباد الرحمن- المنصورة- مصر- التوزيع- مؤسسة الريان- بيروت- لبنان- (١٧٧-١٧٩).

فصل

فيما جاء في نعيم القبر وعذابه

أخي الحبيب: من مسائل العقيدة المسلمة التي لا خلاف فيها أن القبر أول منزل من منازل الآخرة؛ فإذا نجا منه العبد كان ما بعده أيسر منه، وإذا لم ينج منه العبد كان ما بعده أشد منه.

فالقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، والناس في قبورهم إما منعمون وإما معذبون.

وما ورد من ضغطة القبر وفتنة سؤال الملكين، وغير ذلك من ضيقه وانفساحه، وانفتاح باب منه إلى الجنة، أو إلى النار وغير ذلك كله مما تلقته الأمة بالقبول، ولم ينكره أو يطعن فيه إلا أهل الزيغ والضلال.

هذه المسائل كلها كانت ولا تزال من مسلمات العقيدة التي يدين بها كل مسلم لله رب العالمين، ولكن نبتت نابتة في هذه الأيام لا هم لها سوى تشكيك المسلمين في مسلمات عقيدتهم، وأصول دينهم.

ونظرًا لما أحدثه الحديث عن نعيم القبر وعذابه من صحوة لدى كثير من الناس؛ فثاب كثير منهم إلى رشدهم، وأفاق جم غفير من غفلتهم، امتلأت قلوب أهل الزيغ والضلال غيظًا، فقاموا مذعورين مشدوهين، يشككون الناس في عذاب القبر، وينكرون ما ورد منه في سنة النبي ﷺ مدعين أن عذاب القبر غير مذكور في القرآن على حد زعمهم الباطل[١].

---

(١) أذاع تلفاز جمهورية مصر العربية منذ قرابة أربع سنوات مسلسلاً ورد فيه الاستهزاء بعذاب القبر وإنكاره، والزعم بأنه غير مذكور في القرآن ولا دليل عليه فيه.

وسوف نثبت في هذا الفصل بمشيئة الله تعالى بالأدلة الصحيحة من القرآن والسنة في القبر نعيما وعذابا وأن هذه هي العقيدة الصحيحة التي عليها المسلمون وأجمع عليها أهل السنة والجماعة[1].

[1] عولنا في بيان ذلك على كتاب الحافظ البيهقي (إثبات عذاب القبر) والذي سبق لنا تحقيقه وإخراجه من قبل.

ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله من بشارة المؤمنين بالتثبيت عند سؤال الملكين:

قال الله عز وجل ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[١].

روى البخاري بإسناده عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: "المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف محمدا في قبره؛ فذلك قول الله عز وجل- ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾"[٢].

وعنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: "إن المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قول الله عز وجل- ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾"[٣].

وعنه قال في قوله: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾: إذا جاء الملك الرجل في القبر حين يدفن فقال له: من ربك؟ فقال: ربي الله. فقال: وما دينك؟ قال: ديني الإسلام، وقال له: من نبيك؟ قال: نبي محمد. فذلك التثبيت في الحياة الدنيا[٤].

وعنه قال: ذكر النبي ﷺ المؤمن والكافر، ثم ذكر أشياء لم أحفظها فقال: "إن المؤمن إذا سئل في قبره قال ربي الله فذلك قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ الآية[٥].

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر، (١٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿يثبت الله الذين آمنوا...﴾، (٤٦٩٩).

(٤) أخرجه البيهقي في"إثبات عذاب القبر" (٤-بتخريجنا) وأورده السيوطي في "الدر المنثور" (١٤٨/٤)، وعزاه لابن أبي شيبة موقوفًا على البراء.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه (٣٩/١) والبيهقي في"إثبات عذاب القبر" (٤).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، فقال: "ذلك إذا قيل له في القبر: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي جاءنا بالبينات من عند الله، فآمنت به وصدقته.

فيقال: صدقت، على هذا حييت، وعليه تبعث إن شاء الله" .

وعن المخارق بن سليم، قال قال عبد الله -يعني ابن مسعود: إذا حدثناكم بحديث آتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل: إن المسلم إذا دخل قبره أجلس فيه، فقيل: من ربك؟ وما دينك يعني، ومن نبيك؟ قال: فيثبته الله عز وجل فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ. قال: فيوسع له قبره، ويروح له فيه، ثم قرأ: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ الآية.

وان الكافر إذا دخل قبره أجلس فيه، فقيل له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري".

فيضيق عليه قبره، ويعذب فيه، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٦)، (٢٠٧٦٩)، بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، من طريق آدم به، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٨١)، إلى الطبري وابن مردويه. قال الأستاذ محمود شاكر معلقًا عليه: "فهذا خبر صحيح الإسناد، ولم أجده عند غير أبي جعفر" اهـ.

طه: ١٢٤.

أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٧)، (٢٠٧٧١)، من طريق عبدالرحمن بن عبدالله، بنحوه، وقال الهيثمي في "المجمع" (٣/٥٤): "رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن"، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلى ابن جرير والطبراني والبيهقي في "إثبات عذاب القبر".

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾. قال: المخاطبة في القبر، يقول: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة مثل ذلك[1].

باب ما في هذه الآية من الوعيد للكفار بعذاب القبر:

قال الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

أخرج الشيخان عن البراء بن عازب- رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾. قال: نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد. فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾"[3].

وروى مسلم عن البراء بن عازب: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾. قال: نزلت في عذاب القبر[4].

وعن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾. الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم.

---

(١) عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١٤٨/٤)، إلى ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه.

(٢) إبراهيم:٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر، (١٣٦٩)، ومسلم، في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٢٨٧١).

(٤) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها..."، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار...، (٢٨٧١).

قال: قلت لعكرمة: ما هو؟ قال: يسألون عن إيمان محمد ﷺ[١]، وأمر التوحيد.

قال: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾. قال: تلك الشهادة فلا يهتدون أبدًا.[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "بي يفتتن أهل القبور وفي نزلت هذه الآية: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[٣].

وعن مجاهد، قال: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ في عذاب القبر[٤].

باب: أخبر المصطفى بأن المؤمن والكافر جميعا يسألان ثم يثبت المؤمن ويعذب الكافر:

روى مسلم عن أنس بن مالك،قال: إن نبي الله ﷺ قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل -يعني محمدا ﷺ؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك في النار، قد أبدلك الله مقعدا في الجنة. فيراهما جميعا"[٥].

---

(١) أي: عن إيمانهم بمحمد ﷺ واتباعهم له.

(٢) أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر"(١٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤٠/٦)، وفيه: "فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون..." وقال المنذري في "الترغيب" (١٨٤/٤): "رواه أحمد بإسناد صحيح".

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٠١/١٦).

(٥) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (٢٨٧٠)، وكذا البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤).

وعن قتادة، عن أنس بن مالك، أن نبي الله دخل نخلا لبني النجار فسمع صوتا ففزع، فقال: "من أصحاب هذه القبور؟". قالوا: يا نبي الله، ناس ماتوا في الجاهلية. فقال: "نعوذ بالله من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة الدجال". قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، وإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ "فإن الله هداه" -وفي رواية: "فإن هداه الله عز وجل" - فيقول: كنت أعبد الله. فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. قال: فما سئل عن شيء غيرهما، فينطلق به إلى بيت كان له في النار، فيقال له: هذا بيتك كان في النار، ولكن الله ﷻ عصمك ورحمك، فأبدلك به بيتا في الجنة. فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي. فيقال له: اسكن. وإن الكافر: إذا وضع في قبره أتاه ملك فينهزه فيقول: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري! فيقول: لا دريت ولا تليت. فيقول: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس! قال: فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة فيسمعها الخلق غير الثقلين"[1].

وروى البخاري ومسلم عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي قال: "إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله.

قال: فيقال له: انظر إلى مقعد لك من النار أبدلك الله به مقعدا في الجنة". قال رسول الله: "يراهما كلاهما -أو قال جميعا". قال قتادة: فذكر لنا يفسح له

---

(١) أخرجه أبو داود في "السنة"، باب: في المسألة في القبر، وعذاب القبر (٤٧٥١)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٩٧٧)، وأخرجه أحمد في "المسند" (٢٣٣/٣)من طريق آخر، وانظر الصحيحة (١٣٤٤).

في قبره سبعون ذراعا. ويملأ عليه خضرا إلى يوم القيامة.

ثم رجع إلى حديث أنس قال: "وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري! كنت أقول ما يقول الناس! فيقال: لا دريت ولا تليت! ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة سمعها من يليه غير الثقلين".

وروى مسلم عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك، قال قال نبي الله ﷺ: "إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة". قال نبي الله ﷺ: "فيراها جميعا". وقال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا، ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون.

روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة، قالت: فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء وقالت: سبحان الله! فقلت: آية؟! فأشارت أن نعم. فقمت حتى تجلاني الغشي فجعلت أصب فوق رأسي

أي: نعمًا غضة ناعمة.

أخرجه البخاري، في "الجنائز"، باب: الميت يسمع خفق النعال: (١٣٣٨)، ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت...، (٢٨٧٠).

أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة، أو النار عليه...، (٢٨٧٠).

أخرجه مسلم، في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه...، (٢٨٧٠).

الغشي: مرض يعرض من طول التعب والوقوف وهو ضرب من الإغماء إلا أنه دونه. قاله ابن بطال، كما في الفتح (٣٤٧/١).

الماء، فلما إنصرف حمد الله رسول الله وأثنى عليه، ثم قال: "ما من شيء كنت لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل -أو: قريبا من- فتنة الدجال، فأما المؤمن -أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحا، قد علمنا إن كنت لمؤمنا. وأما المنافق -أو: المرتاب، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت".

ورواه مسلم من وجه آخر، وفي آخره: "وأنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبر -مثل أو: قريبا من- فتنة المسيح الدجال، يؤتى أحدكم فيقول: ما تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو: الموقن- فيقول: هو رسول الله، وهو محمد، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وأتبعنا. فيقال له: نم صالحا، إن كنا لنعلم أن كنت لتؤمن به. وأما المنافق -أو: المرتاب- فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا شيئا فقلت كما قالوا! فيعذب في قبره".

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل يرفع بصره ينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال: "أعوذ بالله من عذاب القبر". قالها مرارا. ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة، وإنقطاع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه، فيقول: "اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان. فتخرج نفسه، فتسيل كما يسيل قطر السماء -قال عمرو في حديثه "لم يقله" أبو عوانة: "وإن كنتم ترون غير ذلك" -وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها لم يدعوها في يده طرفة عين،

فذلك قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟! فيقال: فلان. بأحسن أسمائه، حتى ينتهوا إلى أبواب سماء الدنيا، فيفتح له، وتشيعه من كل سماء مقربوها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه في عليين. ثم يقال: ردوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى. قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان شديدا الإنتهار، فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام. فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا، فآمنت به وصدقته. قال: وذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾".

ثم قال: وينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي، فألبسوه من الجنة، وأفرشوه منها، وأروه منزله منها. فيلبس من الجنة، ويفرش منها، ويرى منزله منها، ويفسح له مد بصره، ويمثل له في عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان من الله. وجنات فيها نعيم مقيم. فيقول: بشرك الله بخير، من أنت، فوجهك الوجه الذي جاءنا بالخير؟ فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد، والأمن الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح. فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في طاعة الله، بطيئا في معصيته، فجزاك الله خيرًا. فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن كان كافرا فاجرا، وكان في قِبَلٍ من الآخرة، وإنقطاع من

() الأنعام: ٦١.

الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه، فقال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، أبشري بسخط الله وغضبه. فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين، قال: فتفرق في جسده فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود[١] الكثير الشعب في الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن ريح وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟! فيقولون: هذا فلان. بأسوأ أسمائه. حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فلا يفتح له، فيقول: ردوه إلى الأرض، إني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى. قال: فيرمى من السماء، فتلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٢] . قال: فيعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، ويقال: محمد؟ فيقول: لا أدري! سمعت الناس يقولون ذلك! فيقال: لا دريت! فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويتمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه! فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذي جاءنا بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث! والله ما علمتك إلا كنت بطيئا في طاعة الله، سريعا في معصيته". وفي رواية "فيقيض له أصم أبكم معه مرزبة، ولو ضرب بها فيل صار ترابا -أو قال: رميما- فيضربه ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى".

قال البيهقي في "إثبات عذاب القبر": "هذا حديث كبير، صحيح الإسناد،

---

(١) عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى. وجمعه: سفافيد.

(٢) الحج: ٣١.

رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش. وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنن" .

وروي عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحو من حديث البراء، إلا أنه قال: "ارقد رقدة المتقين المؤمنين، ويقال للفاجر: أرقد منهوشا. قال: فما من دابة إلا ولها في جسده نصيب" .

وروي عن عائشة رضي الله عنها من وجه آخر: قالت: دخلت عليَّ يهودية فقالت: أطعميني أعاذك الله من فتنة الدجال وفتنة القبر. قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما تقول هذه اليهودية؟! قال رسول الله: "ما تقول"؟ قلت: تقول أعاذك الله من فتنة الدجال وفتنة القبر! فقام رسول الله فرفع يديه مدًّا يستعيذ من فتنة الدجال وفتنة القبر، ثم قال: "أما الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن. وأما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف   فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله، فآمنا وصدقنا. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله عز وجل. فيفرج له فرجة قِبَل   النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز

أخرجه أبو داود في "السنة"، باب: في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" برقم (٣٩٧٩).

أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في "المستدرك" (١/٣٨).

المشعوف –بعين مهملة– الذي أصيب شعفة قلبه بذعر، أو حب، أو جنون. (الزمخشري: الفائق ٣/٨٧) والمراد هنا: شدة الخوف الذي يملك شعاف القلب.

أي: اتجاه النار.

وجل! ثم يفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى ما فيها من زهرتها وما فيها، فيقال له: ها هنا مقعدك. ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله. وإذا كان الرجل السؤ أجلس في قبره فزعا مشعوفا فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري! فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعنا الناس يقولون! فيفرج فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زمرتها وما فيها، فيقال له: انظر ما صرف الله عنك. ويفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال: هذا مقعدك. ثم يقال: على الشك كنت. وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله"[١].

وعن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله جنازة فقال: "يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. فيقول له: صدقت. ثم يفرج له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذا آمنت به فهذا منزلك. فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه، فيقول له: أسكن ويفسح له في قبره. وإن كان كافرا، أو منافقا، يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلت! فيقول: لا دريت، ولا تليت، ولا هديت. ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا لك لو آمنت بربك، فأما إذا كفرت به فإن الله ﷻ أبدلك به هذا. ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه بالمطراق، سمعها خلق الله كلهن غير الثقلين". فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة إلا هيل عند

---

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (١٣٩/٦-١٤٠)، وليس فيه قوله: "فيقال له هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله -عز وجل"، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٣٦١).

ذلك! فقال رسول الله: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾(١).

قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٢).

وقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٤).

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: "إذا خرجت روح المؤمن، تلقاها ملكان يصعدا بها-فذكر من طيب ريحها وذكر المسك- قال: ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد من تعمرينه. فينطلق به إلى ربه، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه -ذكر من نتنها وذكر لعنا-، ويقول أهل السماء: روح خبيثة من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٣/٣-٤)، وفيه: "فقال بعض القوم.." إلا هبل عند ذلك" كذا بالباء الموحدة، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، باب: في القبر وعذاب القبر، وفيه: "..إلا ذهل.." وقال الهيثمي في "المجمع" (٤٨/٣): "رواه أحمد والبزار، وزاد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾" ورجاله رجال الصحيح"، وزاد نسبته السيوطي في "الدر المنثور" (١٤٩/٤)، إلى ابن أبي الدنيا في "ذكر الموت" وابن جرير وابن مردويه "بسند صحيح" كذا قال. وراجع كلام الشيخ الألباني في تعليقه على "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (٨٦٥).

(٢) فصلت:٣٠.

(٣) الفجر:٢٧-٣٠.

(٤) الأنعام:٩٣.

قبل الأرض. قال: ويقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال أبو هريرة: فرد رسول الله ريطة[١] كانت عليه على أنفه هكذا[٢].

وعن أبي هريرة قال: "إن المؤمن إذا احتضر، حضره ملكان يقبضان روحه في حريرة، فيصعدان به إلى السماء، فتقول الملائكة: روح طيبة جاءت من الأرض. فيصعدان به فيقال: أبشر بروح، وريحان، ورب غير غضبان. ثم يقال: ردوه إلى آخر الأجلين. وإن كان كافرا يقبضان روحه في مسح[٣] ثم يصعدان به إلى السماء فتأخذ الملائكة على أنفها، ويقولون: ريح خبيثة جاءت من الأرض. فيصعدان به فيقال: أبشر بعذاب الله وهوانه. ثم يقال: ردوه إلى آخر الأجل -أو: الأجلين"[٤].

عنه قال عن النبي ﷺ قال: "إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، كانت في الجسد اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فما يزال يقال له ذلك حتى تخرج، فيعرج بها حتى ينتهي بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان. فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء -أظنه أراد: السماء السابعة. قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ذميمة، وأبشري بحميم

---

(١) الريطة: ثوب رقيق، وقيل: الملاءة، وكان سبب رده الريطة على أنفه ما ذكر من نتن ريح روح الكافر. ينظر مسلم بشرح النووي.

(٢) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٧٢).

(٣) المسح: هو الثوب الغليظ من شعر: والمراد هنا ما يدرج فيه الميت من الكفن.

(٤) روى بنحوه مرفوعًا وسيأتي تخريجه.

وغساق، وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج، فينتهى بها إلى السماء، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان. فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، إرجعي ذميمة، فإنه لا تفتح لك أبواب السماء. فترسل إلى الأرض، ثم تصير إلى القبر"[١].

وعنه قال: عن النبي ﷺ قال: "إن المؤمن إذا حضر، أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضية عنك، إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح جاءتكم من قبل الأرض! فكلما أتوا سماء قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه، ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعه حتى يستريح، فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال لهم: أما أتاكم فإنه قد مات. يقولون: ذهب إلى أمة الهاوية. وأما الكافر، فإن ملائكة العذاب تأتيه بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك، إلى عذاب الله وسخطه. فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى ينتهوا به إلى أرواح الكفار"[٢].

وروى الشيخان عن أنس، عن عبادة بن الصامت، أن نبي الله ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه". قالت عائشة

---

[١] أخرجه أحمد في المسند (٣٦٤/٢)، واللفظ له، وابن ماجه في "الزهد"، باب: ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٣٧)، وصحيح الجامع (١٩٦٨)، وقال: "صحيح".

[٢] أخرجه النسائي في سننه (٢٦٠/١)، وابن حبان في "صحيحه" والحاكم في "مستدركه" (٣٥٢/١، ٣٥٣)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٠٩): "وهو كما قالا"، وأورده في صحيح الجامع (٤٩٠).

رضي الله عنها أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: "ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت، بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، والله أحب لقاءه. وإن الكافر إذا حضره الموت، بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره له مما أمامه، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه"[١].

وروى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"[٢].

وعن هانيء مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى، حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا! قال: إن رسول الله قال: "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده شر منه". قال: وقال رسول الله ﷺ: "ما رأيت منظرا قط إلا ومنظر القبر أفظع منه"[٣].

وعنه قال: سمعت عثمان بن عفان- رضي الله عنه يقول: مر رسول الله ﷺ بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن، فقال رسول الله ﷺ: "استغفروا لصاحبكم، وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في "الرقاق"، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (١١/٣٦٤-٣٦٥)، (٦٥٠٧)، ومسلم في "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٢٦٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما ينهى من سب الأموات (١٣٩٣)، وأخرجه أيضًا في "الرقاق"، باب: سكرات الموت (٦٥١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: القبر أول منازل الآخرة (٢٣٠٩)، وابن ماجه في الزهد أيضًا، باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٧)، وانظر صحيح الترمذي (١٨٧٨)، وصحيح ابن ماجه (٣٤٤٢)، وقال: "حسن".

(٤) أخرجه أبو داود في "الجنائز"، باب: الاستغفار عند القبر للميت (٣٢٢١)، والحاكم في "المستدرك" (١/٣٧٠)، وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والبغوي

[illegible]

روى الشيخان عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "أسرعوا بالجنازة، فإن تكن صالحة فخير تقدموها إليه، وإن تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم"[1].

[illegible]

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني، قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق"[2].

[illegible] المؤمن ويعاقب [illegible]

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

وقال في الكفار: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى

في "شرح السنة" (٤١٨/٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٥٨)، وصحيح الجامع (٩٤٦).

[1] أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: السرعة بالجنازة (١٣١٥)، ومسلم في "الجنائز"، باب: الإسراع بالجنازة (٩٤٤).

[2] أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: حمل الرجال الجنازة دون النساء (١٣١٤)، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني (١٣١٦)، وباب: كلام الميت على الجنازة (١٣٨٠).

[3] آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾(١).

ويذكر عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: هذا قول الكفار؛ فموت الكافر في حياته الدنيا على الكفر، والثانية موته، فهما موتتان، وإحدى الحياتين حياته في قبره بعد موته، والثانية حياته للبعث.

عن أبي معشر، عن محمد بن كعب قال: الكافر حي الجسد، ميت القلب؛ وهو قوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(٢).

يقول: أفمن كان كافرا فهديناه، فموت الكافر وحياته موته وحياته بعد موته الذي لا يأكل فيه ولا يشرب، ثم حياته للبعث(٣).

ويذكر عن غيره أنه قال: إحدى الموتتين موته بعد حياته في دار الدنيا والأخرى موته حين ينفخ في الصور النفخة الأولى، وإحدى الحياتين حياته بعد موته لسؤال الملكين والإحساس بالعذاب، والأخرى حياته للبعث.

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، قال: فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به، قال: فرفع رأسه وقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر؛ فإن الرجل المؤمن إذا كان في إنقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن على وجوههم الشمس، معهم حنوط من حنوط الجنة، وكفن من كفن الجنة، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.

---

(١) غافر:١٠-١١.

(٢) الأنعام:١٢٢.

(٣) أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر".

قال: فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ثم يخرج منها كأطيب نفحة ريح مسك وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان -بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا- حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله -عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله ﷻ فآمنت به وصدقت.

قال: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا من الجنة.

فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يأتيه ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى

سخط من الله وغضب. قال: فتتفرق في جسده، فينتزعونها ومعها العصب والعروق كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذونها فيجعلونها في تلك المسوح.

قال: ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على ظهر الأرض فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ قال: فيقولون: فلان بن فلان -بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا- حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**﴾[1] إلى آخر الآية. قال: فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السابعة السفلي، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى. قال: فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[2] قال: ثم تعاد روحه في جسده، قال: فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول: هاه هاه، لا أدري! قال: فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري! قال: فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري! قال: فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا من النار. ويأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه. قال: ويأتيه رجل قبيح الوجه، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالشر! قال: فيقول أنا عملك الخبيث. قال: فيقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة.

---

(١) الأعراف:٤٠.

(٢) الحج:٣١.

وعن سالم بن أبي الجعد، عن حذيفة أنه قال: الروح بيد الملك، والجسد يقلب، فإذا حملوه تبعهم، فإذا وضع في القبر بثه فيه[(١)].

[illegible] مقعده بالغداة والعشي:

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[(٢)].

قال مجاهد: يعني بقوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾. ما كانت الدنيا[(٣)].

وقال قتادة: يرد عليه، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم. توبيخًا، وصغارا، ونقمة[(٤)].

وري الشيخان عن ابن عمر، أن رسول الله قال: "إن أحدكم إذا مات عرض على مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعث الله إليه"[(٥)].

---

(١) عزاه السيوطي في جمع الجوامع (٢/٣٦٥-خ) إلى البيهقي في "إثبات عذاب القبر". وعزاه في "شرح الصدور"- (ص١٢٧-١٢٨)، إلى ابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: "الروح بيد ملك، وإن الجسد ليغسل، وإن الملك ليمشي معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب".

(٢) غافر: ٤٥-٤٦.

(٣) الأثر ذكره البيهقي في "شعب الإيمان" بهذا اللفظ (١/٣٥٥)، فصل: في عذاب القبر، وذكره أيضًا الحافظ السيوطي في "الدر المنثور" (٥/٦٥٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) الأثر في "الشعب" البيهقي (١/٣٥٩)، وعزاه السيوطي أيضًا في "الدر المنثور" (٥/٦٥٩)، إلى ابن المنذر وعبد بن حميد.

(٥) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩)، ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٢٨٦٦).

وروى مسلم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله: "إذا مات الرجل عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فالجنة، وإن كان من أهل النار فالنار". فقيل لعبد الرزاق: في الحديث: "يقال هذا مقعدك الذي تبعث إليه يوم القيامة"؟ قال: نعم [١].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة" [٢].

وعن ميمون بن ميسرة قال: كانت لأبي هريرة صرختان في كل يوم، غدوة وعشية، كان يقول في أول النهار: ذهب الليل وعرض آل فرعون على النار. فلا يسمع صوته أحد إلا استعاذ بالله من النار. وإذا كان العشي قال: ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون على النار. فلا يسمع صوته أحد إلا استعاذ بالله من النار [٣].

باب: ما يكون على المنافقين من العذاب في القبر قبل العذاب في النار:

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ

---

(١) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٦٦).

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي في القيامة، (٢٤٦٠)، بلفظ: "القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار"، وقال الهيثمي في المجمع (٤٦/٣): "رواه الطبراني في "الأوسط"، وفيه محمد بن أيوب بن سويد، وهو ضعيف، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٩٠/٢)، وقال: "رواه الترمذي والطبراني عن أبي سعيد، ورواه الطبراني أيضًا عن أبي هريرة وكلاهما به مرفوعًا بسند ضعيف" وكذا عزاه ابن الديبع في "تمييز الطيب من الخبيث" (١٨٥)، إلى الترمذي والطبراني، وقال: "وسنده ضعيف".

(٣) هذا الأثر أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٣٦٠/١)، وذكره الحافظ السيوطي في: الدر المنثور، (٦٥٩/٥)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

عَظِيمٍ﴾[1].

قال قتادة في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾. قال: عذاب في القبر عذاب في النار.

وروى مسلم عن أنس بن مالك قال: كان فينا رجل من بني النجار قد قرأ سورة البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب، قال فرفعوه؛ قالوا: هذا كان يكتب لمحمد ﷺ فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهه فتركوه منبوذا[2].

وعنه قال: إن رجلا كان يكتب للنبي ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، وكان النبي ﷺ يملي عليه: ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾. فيقول: أكتب: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيقول له النبي ﷺ: "اكتب كيف شئت" ويملي عليه: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. فيقول: أكتب سميعًا بصيرًا؟ فيقول له النبي: اكتب كيف شئت" قال: فارتد ذلك الرجل عن الإسلام ولحق بالمشركين، وقال: أنا أعلمكم بمحمد ﷺ إني كنت لأكتب كيف شئت. فمات ذلك الرجل، فقال النبي ﷺ: "إن الأرض لا تقبله".

قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها، فوجده منبوذًا، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: قد دفناه مرارًا فلم تقبله الأرض[3].

---

(1) التوبة:١٠١.

(2) أخرجه مسلم في "صفات المنافقين وأحكامهم" (٥/٦٢٥)، ط الشعب. وبنحوه أخرجه البخاري في "المناقب"، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٧).

(3) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٢٠-١٢١)، وكذا الطحاوي في "مشكل الآثار" (٤/٢٤٠)، والبغوي في "شرح السنة" (١٣/٣٠٦)، وليس فيه قوله: "...وكان النبي ﷺ -يملي

ورواه بمعناه البخاري عن أنس رضي الله عنه[١].

وعن ابن شهاب قال: أخبرني المطلب بن عبد الله -يعني: ابن حنطب، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ مر يسير على بغلة له بيضاء في المقابر ببقيع الغرقد، فحادت به بغلته حيدة، فوثب إليها الرجال من المسلمين ليأخذوا بلجامها، فقال لهم رسول الله ﷺ: "دعوها فإنها سمعت عذاب سعد بن زرارة يعذب في قبره" وكان رجلا منافقا"[٢].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله قال: "إذا قبر أحدكم -أو الإنسان- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: منكر وللآخر: نكير. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ محمد ﷺ، فهو قائل ما كان يقول، إن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. قالا: فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا، وينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي أخبرهم. فيقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله ﷻ من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقًا قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون ذلك فكنت

عليه "غفورًا رحيمًا" فيقول: "عليمًا حكيمًا؟...إلخ.

وذكره الطحاوي أن معنى "اكتب كيف شئت" يحتمل أن يكون فيما كان رسول الله ﷺ يمليه على ذلك الكاتب من كتبه إلى الناس في دعائه إياهم إلى الله -عز وجل.

(١) أخرجه البخاري في "المناقب"، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٧).

(٢) أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٥٤) وهذا الحديث من مراسيل المطلب بن عبدالله بن حنطب، فقد قال أبو حاتم. عامة حديثه مراسيل. وقال محمد بن سعد في طبقاته: كان كثير الحديث، وليس يحتج بحديثه؛ لأنه يرسل عن النبي ﷺ كثيرًا، وليس له لقى، وعامة أصحابه يدلسون (تهذيب الكمال٨٣/٢٨)، وقال الحافظ في التقريب- (٢٥٤/٢): "المطلب بن عبدالله بن عبدالمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي. صدوق كثير التدليس والإرسال".

أقوله. فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض: التئمي عليه. فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله ﷻ من مضجعه ذلك[1].

[illegible] من العذاب في القبر قبل عذاب يوم القيامة

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: "عذاب القبر"[3].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المعيشة الضنك عذاب القبر".

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر"[4].

---

(1) "حسن"، أخرجه الترمذي في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر (١٠٧١)، وحسنه، وابن حبان (٧٨٠) وصححه، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٩١): "وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر".

(2) طه: ١٢٤.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ كما في "الدر المنثور" (٤/٥٥٧)، والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (٣/١٧٠)، وقال: "إسناده جيد".

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٨١)، وقال: "صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٥٦)، لعبدالرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في "مسنده"، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

وعنه قال: في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: "يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه"[١].

وعن أبي سعيد الخدري، أنه قال: إن المعيشة الضنك إن سلط عليه تسع وتسعون تنينا ينهشه في القبر"[٢].

وعن عبد الله بن المخارق، عن أبيه، عن عبد الله -يعني ابن مسعود- في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. قال: عذاب القبر[٣].

وعن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر[٤].

وعن السدي في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر.

وعن ابن أبي نجيح؛ عن مجاهد في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: ضيقة، يضيق عليه قبره[٥].

وعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: "إن الميت إذا وضع في قبره، إنه

---

(١) هذا لفظ عبدالرزاق في مصنفه، كما في "الدر المنثور" (٤/٥٥٧).

(٢) الأثر ضعيف، فإن في إسناده دراجًا أبا السمح، وهو ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، كما قال الحافظ في التقريب، (١/٣٢٥)، لكن أخرجه البزار مرفوعًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، قال: المعيشة الضنك، الذي قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة، وأورده الهيثمي في "المجمع" (٧/٦٧)، وقال: "رواه البزار، وفيه من لم أعرفه"، وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنثور" (٤/٥٥٧) لابن أبي حاتم.

(٣) الأثر أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٧/٦٧)، وقال: "رواه الطبراني، وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات"، وزاد نسبته السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٥٥٧) إلى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) عزاه في "الدر المنثور" (٤/٥٥٧) إلى عبد بن حميد.

(٥) وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك مثله، كما في "الدر المنثور" (٤/٥٥٨).

ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له: هذا ما تقول فيه؟ فيقول: دعوني أصلي. قال: فيقولان: إنك ستفعل هذا فاخبرنا عما نسألك عنه. قال: عما تسألوني؟ قال: ماذا تقول في هذا الرجل الذي فيكم، وبماذا تشهد عليه؟ فيقول: أشهد أنه رسول الله ﷺ جاء بالحق من عند الله. فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة. فيقال: انظر إلى مقعدك منها وما أعد الله عز وجل لك فيها. فيزداد غبطة وسرورا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له. ويعاد الجسد كما بدأ. وتجعل نسمته من النسيم الطيب، وهي طائر يعلق في شجر الجنة".

ثم قال: "وهو قول الله -عز وجل: **﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾**.

وإن كان كافرا أتي من قبل رأسه فلم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلم يوجد شيء، ثم أتي عن يساره فلم يوجد شيء، ثم أتي من قبل رجليه فلم يوجد شيء، فيقال له: اجلس. فيجلس خائفًا مرعوبًا فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم أي رجل هو؟ ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقال: الذي كان فيكم. فلا يهتدي لاسمه حتى يقال: "محمد" فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس.

فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: ذلك مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها. فيزداد حسرة وثبورا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك من الجنة، وما أعد الله لك فيها لو أطعته، فيزداد حسرة وثبورا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه".

قال أبو هريرة: فذلك قول الله -عز وجل: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[1].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب قبره سبعون ذراعًا، وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيما نزلت هذه الآية: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟! قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "عذاب الكافر في قبره: والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟! تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة"[2].

وعن أبي كربة -أو كرمة- قال أبو نعيم: هكذا قال سفيان، عن زاذان:

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٣٧٩/١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في "المجمع" (٥٢/٣): "رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن". وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني- حفظه الله- في تعليقه على أحاديث "البعث والنشور" لابن أبي داود (٦): "قلت: بل هو حسن لأجل محمد بن عمرو ففيه كلام يسير، ثم إنه ليس من رجال مسلم" اهـ. قلت: وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أنس.

(٢) الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (١٧٠/٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ...وذكره، ثم قال: "رفعه منكر جدا"، وقال الهيثمي في "المجمع" (٥٥/٣): "رواه أبو يعلى وفيه دراج، وحديثه حسن، واختلف فيه".

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال عذاب القبر[٢].

وعن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة .

[illegible] شرط الحياة كما ليست من [illegible]

قال الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

وقال: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾ . وقال: ﴿الله لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٧].

وروى مسلم عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: "يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًّا؟!. فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي فقال: يا رسول الله كيف يسمعون؟ وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟! فقال: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا". ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر[٨].

---

(١) الطور:٤٧.
(٢) عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٦/١٥١)، إلى هناد في الزهد.
(٣) عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٦/١٥٠)، إلى ابن جرير وابن المنذر.
(٤) القصص:٦٨.
(٥) إبراهيم:٢٧.
(٦) البقرة:٢٥٥.
(٧) الشورى:١١.
(٨) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٧٤).

وبمعناه رواه قتادة بن دعامة، عن أنس بن مالك، ثم قال قتادة: أحياهم الله بأعيانهم حتى يسمعوا قوله توبيخا وصغارا ونقمة وندامة[١].

قال البيهقي : "وفي ذلك دلالة على أن تغيرهم عن حالهم لم يمنع خلق الحياة فيهم حتى سمعوا كلامه كذلك إذا تفتتوا".

وعن خلف بن خليفة، عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة ولم يتممها[٢].

باب: الدليل على أن الله تعالى يخلق على من فارق الدنيا أحوالا لا نشاهدها ولا ندركها يتنعم فيها قوم ويتألم آخرون:

قال الله جل ثناؤه فيمن أنعم عليه بالإيمان والاستقامة: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣].

قال مجاهد: ذلك عند الموت[٤].

وعن ابن المبارك، عن سفيان في قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ أي: عند الموت: ﴿أَلا تَخَافُوا﴾ أمامكم، ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من ضيعاتكم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. قال: يبشر بثلاث بشارات عند الموت

---

(١) هذه الرواية أخرجها البخاري في "المغازي"، (٣٩٧٦)، وأحمد في "المسند"، (٢٩/٤) عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة أن النبي ﷺ كان إذا قاتل قومًا فهزمهم أقام بالعرصة ثلاثًا وأنه لما كان يوم بدر أمر بصناديد قريش فألقوا في قليب من قلب بدر خبيث منتن قال: ثم راح إليهم ورحنا معه ثم قال: يا أبا جهل... الحديث، وبعده: قال قتادة: بعثهم الله -عز وجل- ليسمعوا كلامه توبيخًا وصغارًا وتقمئة....

(٢) الأثر أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٢٩٠/٤-٢٩١).

(٣) فصلت: ٣٠.

(٤) أورده السيوطي في "الدر المنثور" (٦٨٢/٥)، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في كتابه "الشعب".

وإذا خرج من القبر، وإذا فزع، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كانوا معكم.

وقال فيمن أنعم عليهم بالشهادة: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١].

قال البيهقي: "فقطع عليهم بأنهم أحياء، وهم ذا يرون في دار الدنيا متلطخين في الدماء قد صاروا جيفة تأكلهم سباع الطيور والوحوش؛ وفي ذلك دلالة على جواز خلق الله -تعالى- عليهم أحوالا يسمعون فيها وإن كنا لا نقف عليها".

وروى مسلم عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قال: سألنا عبد الله -يعني ابن مسعود- عن هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك؛ أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. قال: فبينما هم كذلك إذ أطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: "سلوني ما شئتم" فقالوا: يا ربنا، ما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟! فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا تقتل في سبيلك. قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا[٢].

قال البيهقي: "ولأهل الجنة منازل ودرجات، وكذلك أهل النار، أحوالهم فيما يعذبون به مختلفات، وعلة ذلك يحمل ما روينا في أنواع الثواب والعقاب، فيصنع بقوم هكذا وبقوم كذلك، لا أن شيئا من هذه الأخبار يخالف صاحبها خلاف تناقض، ولكن أحوالهم تختلف في أنواع ما يجزون به من

(١) آل عمران:١٦٩-١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في "الإمارة"، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، (١٨٨٧).

الثواب والعقاب".

وروى البخاري عن محمد بن المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، وجعل أصحاب النبي ﷺ ينهوني عن ذلك، والنبي لا ينهاني عن ذلك، وجعلت عيني تبكي، فقال رسول الله ﷺ: "لا تبك -أو ما يبكيك- ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه"[١].

وعن عدي قال: سمعت البراء يقول: لما توفي إبراهيم -عليه السلام- قال رسول الله ﷺ: "إن له مرضعا في الجنة"[٢].

فحكم رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم -عليه السلام- بأن له مرضعا في الجنة، وهو مدفون ببقيع الغرقد في مقبرة المدينة، وأخبر عن إظلال الملائكة عبد الله بن عمرو بن حرام[٣] وإن كان أصحابه لا يقفون على شيء من ذلك معاينة.

وفي كل ذلك وفيما روي أمثاله تركناه لأجل التخفيف، وترك التطويل، دلالة على ما قصدناه من جواز حدوث هذه الأحوال على من فارق الدنيا، وإن كنا لا نشاهدها ولا نقف عليها، ووجب اعتقادها عند ورود الخبر الصحيح بها، وقد قال الله جل ثناؤه فيمن حكم بالعذاب: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٤) ومسلم في "الفضائل"، باب: من فضائل عبدالله بن عمرو بن حرام، والد جابر -رضي الله تعالى عنهما- (٢٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما قيل في أولاد المسلمين، (٣/٢٨٨)، وفي وفي غير موضع من صحيحه.

(٣) وهو والد جابر بن عبدالله رضي الله عنهما المتقدم ذكره في الحديث.

وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ .

وقال: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾** .

وقال في آل فرعون: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** .

فحكم عليهم بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم حين تتوفاهم وإن كنا لا نشاهده وبما تقول لهم الملائكة عند الموت وهم باسطوا أيديهم وإن كنا لا نسمعه، وعلى آل فرعون بعرضهم على النار غدوا وعشيا ما دامت الدنيا وإن كنا لا نقف عليه، وفي كل ذلك دلالة على ما قلناه.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ: "يقول رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار؛ كان أول من سيب السائبة" .

ورويا أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خسفت الشمس فقام رسول الله ﷺ ....الحديث، وفيه قال: "لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني أتأخر، ورأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب" .

الأنفال: ٥٠-٥١.

الأنعام: ٩٣.

غافر: ٤٦.

أخرجه البخاري في "المناقب"، باب: قصة خزاعة (٣٥٢١)، ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: النار يدخلها الجبارون.. (٢٨٥٦).

أخرجه البخاري بنحوه في "التفسير"، باب: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ...﴾**

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث،وفيه قال: وجعل يتقدم ويتأخر، ثم أقبل على أصحابه فقال: إنه عرضت علي الجنة والنار، فقربت من الجنة حتى لو تناولت منها قطفا قصرت يدي عنه -أو قال: نلته.- وعرضت علي النار، فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاكم، ورأيت امرأة حميرية سوداء طويلة تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ورأيت فيها أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه في النار"[١].

وفي رواية عن جابر قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ- فذكر الحديث إلى أن قال عن النبي ﷺ: "فإذا رأيتم شيئا من ذلك فصلوا حتى ينجلي، فإنه ليس من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، حتى لقد جيء بالنار، فذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، قلت: أي رب، وأنا فيهم؟ حتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجني! وإن غفل عنه ذهب به، حتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعا.

وفي "الصحيحين" عن البراء بن عازب، عن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله ﷺ خرج حين وجبت الشمس فقال: "هذه أصوات يهود تعذب في قبورها"[٢].

(٤٦٢٤)، ومسلم في "الكسوف"، باب: صلاة الكسوف (٩٠١).

(١) أخرجه مسلم بنحوه في "الكسوف"، باب: ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٥)، ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات

وفيهما أيضاً عن عمرة بنت عبد الرحمن، أنها سمعت عائشة رضي الله عنها وذكر لها أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: "إن الميت ليعذب ببكاء الحي". فقالت عائشة رضي الله عنها أما إنه لم يكذب، ولكنه أخطأ أو نسي؛ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية وهي يبكي عليها أهلها فقال: "إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها"(١).

روى مسلم عن أبي سعيد، عن زيد بن ثابت قال: دخل رسول الله ﷺ حائطا لبني النجار وهو على بغلة له، فمرت على قبور خمسة أو ستة، فحادت به البغلة، فقال: "أيكم يعرف أصحاب هذه القبور؟". فقال رجل: أنا يا رسول الله. قال: "ما هم؟". قال: ماتوا في الإشراك. فقال رسول الله ﷺ: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله إن يسمعكم من عذاب القبر" يعني الذي هم فيه. ثم قال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب النار". ثم قال: "تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن". ثم قال: "تعوذوا بالله من فتنة الدجال"(٢).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله كان على بغلة شهباء فمر على حائط لبني النجار فإذا هو بقبر يعذب صاحبه فحاصت البغلة فقال لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر(٣).

عذاب القبر والتعوذ منه، (٢٨٦٩).

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: قول النبي ﷺ: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته (١٢٨٩)، وكذا مسلم في "الجنائز"، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، (٩٣٢)، واللفظ له، والحديث بلغ حد التواتر فقد أورده العلامة الكتاني في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، (١٠٦)، من حديث عمر وابنه وابنته -حفصة- وأنس وعمران بن الحصين وأبي موسى وأبي بكر الصديق وأبي هريرة وسمرة (تسعة أنفس). وقد عقد الحافظ في "الفتح" (١٨٣/٣)، بحثا مستفيضًا حول معنى هذا الحديث فراجعه.

(٢) أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبروالتعوذ منه، (٢٨٦٧).

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (١٧٥/٣)، والبغوي في "شرح السنة" (٤٢٤/٥)، ومسلم

وعن حميد الطويل قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ سمع صوتًا من قبر فقال: متى مات هذا؟ قالوا: مات في الجاهلية. فكأنه أعجبه ذلك فقال: "لولا أن لا تدافنوا -أو كما قال- لدعوت الله ﷻ أن يسمعكم عذاب القبر".

وعن أنس بن مالك قال بينا رسول الله ﷺ في نخل لنا، نخل أبي طلحة فمر رسول الله ﷺ بقبر فقام حتى مر إليه بلال فقال: "ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع؟ فقال: صاحب القبر يعذب". قال فسأل عنه فوجد يهوديا[(١)].

وعن جابر عن أم مبشر قالت: دخل علي رسول الله وأنا في حائط لبني النجار فيه قبور منهم وهو يقول: استعيذوا بالله من عذاب القبر. فقلت: يا رسول الله للقبر عذاب؟! فقال: إنهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم[(٢)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ وبلال يمشيان في البقيع فقال رسول الله ﷺ: يا بلال هل تسمع ما أسمع؟! فقال: لا والله يا رسول الله ما أسمع. فقال: ألا تسمع أهل القبور يعذبون[(٣)].

وفي كل ذلك دلالة لمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ على جواز تعذيب من انقضت بنيته في رؤيتنا أو صار رميما في أعيننا عذابا يسمعه من أراد الله

من طريق آخر في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، (٢٨٦٨).

(١) الحديث أخرجه أحمد في "المسند" (٣/١٥١)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٣/٥٦): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٢) "صحيح"، أخرجه أحمد (٦/٣٦٢)، وابن حبان (٧٨٧)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٣/٥٦): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". وقال الشيخ الألباني في تعليقه على "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (٨٧٥): "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (٣/٢٥٩)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٣/٥٦): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

سبحانه أن يسمعه دون من لم يرد، ويشاهده من أراد الله تعالى أن يشاهده دون من لم يرده فقد سمع رسول الله أصوات من يعذب منهم ولم يسمعها من كان معه من أصحابه ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه في النار، ومن يعذب في السرقة، والمرأة التي كانت تعذب في الهرة وقد صاروا في قبورهم رميما في أعين أهل زمانه، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى، وقد رأى رسول الله ﷺ في خبر صحيح عنه في منامه -ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي- جماعة يعذبون في مواقع متفرقة في جرائم مختلفة ولعلهم صاروا رميما في قبورهم في أعيننا وذلك فيما:

رواه البخاري عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: "من رأى منكم الليلة رؤيا؟" قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله. فسألنا يوما فقال: "هل رأى أحد منكم رؤيا؟" فقلنا: لا. قال: "لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب (١) من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيضع الكلوب مثله". قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، انطلق. "فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر (٢) أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما كان فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟!" قالا: انطلق، انطلق. "فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارا فإذا اقترت ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء

---

(١) الكلوب: حديدة معوجة الرأس ينزع بها الشيء أو يعلق.
(٢) الفهر: حجر ناعم صلب، جمعه: فهور.

عراة فقلت ما هذا؟!" قالا: انطلق. "فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على شاطئ النهر ورجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فأراد أن يخرج فرمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما أراد أن يخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟!" قالا: انطلق. "فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدوا بي إلى الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأدخلاني دارا هي أفضل وأحسن فيها شيوخ وشباب". "قلت: طوفتما ني الليلة فاخبراني عما رأيت" قالا: نعم، الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم -عليه السلام- والصبيان حوله أولاد الناس، والذي يوقد النار "مالك" خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفع رأسك. "فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب" قالا: ذاك منزلك. "قلت: دعاني أدخل منزلي". قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك"[(١)].

وعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله تعالى عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي وآتيا بي جبلا فقالا لي:

---

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٦)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "الرؤيا"، باب: رؤيا النبي ﷺ، مختصرًا، (٢٢٧٥).

اصعد. فقلت: إني لا أطيقه. فقالا: إنا سنسهله لك. قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قال: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم منشقة أشداقهم تسيل اشداقهم دما، قال: قلت: من هؤلاء؟! قال: هم الذين يفطرون قبل تحلة صومهم. فقال أبو أمامة: خابت اليهود والنصارى.

فقال سليم: لا أدري أشيئا سمعه أبو أمامة من رسول الله ﷺ أم شيئًا من رأيه. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا وأنتنه ريحا وأسوئه منظرا، قلت: من هؤلاء؟! قال: هؤلاء قتلى الكفار. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا وأنتنه ريحا وأسوئه منظرا، كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قال هؤلاء: الزانون والزواني. ثم انطلق بي فإذا بنساء ينهشن ثديهن الحيات، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن، ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين. ثم شرف بي شرفا فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا جعفر، وزيد، وابن رواحة. ثم شرف بي شرفًا آخر فإذا بنفر ثلاثة قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، وهم ينتظرونك (١).

وعن أبي رافع قال: بينا أنا في بقيع الغرقد مع النبي ﷺ وأنا أمشي خلفه إذ قال رسول الله ﷺ: "لا هديت ولا اهتديت" ثلاث مرات. فقال أبو رافع: تبًا لي يا رسول الله! قال: "لست إياك أريد، أريد صاحب هذا القبر يسئل عني غير أنه

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/٢١٠)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وقد احتج البخاري بجميع رواته غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم". وأقره الذهبي. وكذا أخرجه النسائي في "الكبرى"، وابن حبان.

لا يعرفني" وإذا قبر مرشوش عليه ماء حين دفن صاحبه[(١)]

باب: تخويف أهل الأيمان بعذاب القبر:

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا(٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[(٢)].

حكى أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب في "تفسيره" عن الحسن بن أبي الحسن البصري في قوله: ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ قال: هو عذاب القبر[(٣)].

وعن جابر عن عطاء في قوله: ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾. قال عذاب القبر[(٤)].

وروى مسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله ﷺ وقال: "إنما يفتتن يهود". قالت عائشة رضي الله عنها: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: "أشعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟!" قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر[(٥)].

---

(١) الحديث أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٣/٥٣)، وقال: "رواه البزار والطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه".

(٢) الإسراء: ٧٤-٧٥.

(٣) الأثر ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٣٥٣)، وعزاه إلى البيهقي في "إثبات عذاب القبر".

(٤) الأثر ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٣٥٣)، وعزاه إلى البيهقي في "إثبات عذاب القبر".

(٥) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر، وعذاب جهنم، وفتنة المحيا والممات (٥٨٤).

وروى البخاري عن عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تقول: قام النبي ﷺ خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء في قبره. فلما ذكر ضج المسلمون ضجة حالت بيني وبين أن أفهم آخر كلام رسول الله ﷺ فلما سكتت ضجتهم قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله فيك ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر قوله؟. قال: "قد أوحي الي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال"(١).

وعن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه: "يا عمر كيف بك إذا أنت أعد لك ثلاث أذرع وشبر في عرض ذراع وشبر ثم قام إليك أهلوك فغسلوك، وكفنوك، وحنطوك، ثم احتملوك حتى يغيبوك ثم يهيلوا عليك التراب ثم انصرفوا عنك فأتاك فتانا القبر "منكر" و"نكير" أصواتهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، قد سدلا شعورهما فتلتلاك وتوهلاك وقال: من ربك؟ وما دينك؟ قال: يا نبي الله ويكون معي قلبي الذي معي اليوم؟ قال: نعم. قال: إذا أكفيكهما بالله تعالى"(٢).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله -ﷺ: كيف أنت يا عمر إذا انتهى بك الى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر، ثم أتاك "منكر" و"نكير" أسودان، يجران أشعارهما، كأن أصواتهما الرعد القاصف، وكأن أعينهما البرق الخاطف، يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك؟" قال: يا رسول الله وأنا يومئذ على ما أنا عليه؟ قال: نعم. قال: أكفيتهما بإذن الله يا

---

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في العذاب، (١٣٧٣)، إلى قولها: "... ضج المسلمون ضجة"، وبتمامه أخرجه النسائي في "الجنائز"، باب: التعوذ من عذاب القبر، (٤/١٠٣-١٠٤)، وانظر "صحيح سننه" (١٩٤٩).

(٢) حديث عطاء بن يسار. قال الحافظ العراقي في المغني (٤/٥٣٥) ط. دار الكتب العلمية بهامش الإحياء: "أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً ورجاله ثقات. قال البيهقي في "الاعتقاد": رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً".

رسول الله"[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا عمر كيف أنت إذا كنت في أربع من الأرض في ذراعين فرأيت "منكرا" و"نكيرا"؟ قال: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال: فتانا القبر، أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، معهما "مرزبة" لو اجتمع عليها أهل منى ما استطاعوا رفعها، هي أهون عليها من عصاي هذه فامتحناك فإن تعاييت أو تلويت ضرباك ضربة تصير بها رمادًا. قال: يا رسول الله: وإني على حالتي هذه؟ قال: نعم. قال أرجو أكفيكهما"[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ"[٣].

وعن عبد الله بن عمر قال:

---

(١) قال الحافظ العراقي في "المغني" (٥٣٥/٤)، ط. دار الكتب العلمية بهامش الإحياء: "ووصله ابن بطة في "الإبانة" من حديث ابن عباس"، ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" (١٥٢/٤)، إلى البيهقي في "إثبات عذاب القبر".

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي داود في "البعث والنشور" (٧)، وكذا البيهقي في "الاعتقاد" (١٠٩)، وقال: "غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل"، أورده الحافظ الذهبي في "الميزان" (٥٣٧/٤)، وقال: "خير منكر". وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله تعالى في تعليقه على "البعث والنشور" لابن أبي داود: "إسناد واهٍ، وهو حديث منكر بهذا التمام" والحديث له طرق أخرى عن عبدالله بن عمرو.

(٣) "صحيح" أخرجه أبو القاسم البغوي في "حديث علي بن الجعد"، (٢/٧٣/٨)، والطحاوي في "مشكل الآثار"، (١٠٧/١).

وأخرجه أحمد (٥٥/٦، ٩٨) من هذا الوجه إلا أنه قال: "إنسان" مكان "امرأة ابن عمر". وقال الهيثمي في "المجمع" (٤٦/٣): "وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح"، وانظر "الصحيحة" (٢٦٩/٤).

قال رسول الله ﷺ: "فهذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم يهبطوا إلى الأرض قبل ذلك، ولقد ضم ضمة ثم أفرج عنه" -يعني سعد بن معاذ(١).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخلت يهودية فحدثتني -وذكر الحديث في قصة اليهودية وأخبار عائشة ؓ رسول الله ﷺ بقولها، قالت: فلم يرجع إلي شيئا فلما كان بعد ذلك قال: "يا عائشة تعوذي بالله من عذاب القبر فإنه لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ ولكنه لم يزد على ضمه"(٢).

وعن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ قبره يعني -قبر سعد- فاحتبس فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: "ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله أن يكشفه عنه"(٣).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قعد على قبر سعد بن معاذ ثم استرجع فقال: "لو نجا أحد من فتنة القبر -أو: لمة أو ضمة- لنجا سعد بن معاذ، لقد ضمه ضمة ثم رخي عنه"(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٨/٤). ونقله الحافظ ابن كثير في "البداية" (١٢٨/٤)، بإسناده عن ابن عمر، وعزاه للبزار عن عبيدالله عن نافع مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١/٨٢/١)، وقال: "تفرد به ابن لهيعة"، قال الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٢٧٠/٤): "قلت: وهو سيئ الحفظ، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه. أخرجه الطبراني (٢/٨١/١)، وفي "الكبير" (١٠٨٢٧و ١٢٩٧٥) من طريق زياد مولى ابن عباس عنه، وقال الهيثمي في "المجمع" (٤٦/٣-٤٧): "رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" ورجاله موثقون".

(٣) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢٠٦/٣)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ ابن كثير في "البداية" (١٢٨/٤)، من رواية البزار، وقال: "قال البزار: تفرد به عطاء بن السائب، قلت: -أي ابن كثير- وهو متكلم فيه...".

(٤) تقدم تخريجه، وقال الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٢٧١/٤): "وجملة القول أن

وعن جابر بن عبد الله قال: لما وضع سعد بن معاذ في حفرته سبح رسول الله وسبح الناس معه وكبر وكبر القوم معه، قيل: يا رسول الله مم سبحت؟! فقال: "هذا العبد الصالح لقد تضايق عليه قبره حتى فرجه الله عنه"(١).

وعن حذيفة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فلما بلغ القبر جعل ينظر فيه فقال: "عجبت منه يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ على الكافر نارا"(٢).

وعن سعيد ابن المسيب أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله انك منذ يوم حدثتني بصوت "منكر" و"نكير" وضغطة القبر ليس ينفعني شيء. قال: يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالأثمد في العين، وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزًا رفيقًا، ولكن يا عائشة: ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة البيضة على الصخرة"(٣).

الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب".

(١) "ضعيف" أخرجه أحمد في "المسند" (٣/٣٦٠و٣٧٧)، والبيهقي في "دلائل النبوة"، (٤/٢٩)، قال الهيثمي في "المجمع" (٣/٤٦): "رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه محمود بن محمد بن عبدالرحمن بن عمرو بن الجموح، قال الحسيني: فيه نظر. قلت: ولم أجد من ذكره غيره". وقال الشيخ الألباني في تعليقه على "المشكاة"، (١٣٥): "سنده ضعيف، فيه محمود بن عبدالرحمن بن عمرو بن الجموح، ترجمه ابن حجر في "التعجيل" بما يتلخص منه أنه لا يعرف". وانظر "الإرواء" (٣/١٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٥/٤٠٧)، وأعله الهيثمي في "المجمع" (٣/٤٦)، بمحمد بن جابر، فقال: "رواه أحمد وفيه محمد بن جابر وهو ضعيف". والحديث فيه انقطاع". وقال العراقي في "المغني" (٤/٢٩٤٥) ط. مكتبة الحنفاء بهامش الإحياء: "رواه أحمد بسند ضعيف"..

(٣) عزاه السيوطي في "شرح الصدور" (١٥٠)، إلى البيهقي في "إثبات عذاب القبر"،

روى الشيخان عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ على قبر فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله" -قال وكيع: لا يتوقاه- قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا، ثم قال: "لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا".

روى مسلم عن ابن عباس أن النبي مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان بالنميمة والبول"، وأخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين وجعل على كل قبر واحدة وقال: "لعله أن يخفف عنهما ما داما رطبتين".

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا من البول".

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه مر بقبرين فأخذ سعفة -أو: جريدة- فشقها فجعل أحدهما على أحد القبرين والشقة الأخرى على القبر الآخر.

وابن منده، والديلمي، وابن النجار عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعًا.

أخرجه البخاري في "الأدب"، باب: الغيبة، وقول الله تعالى:﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ...﴾، (٦٠٥٢)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الإيمان" وفي "الطهارة"، باب: الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في "الطهارة"، باب: نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه (١/٥٨٨، ٥٨٩)، ط الشعب.

أخرجه الدارقطني في "سننه" (٤٦٠)، والحاكم (١/١٨٣-١٨٤)، وسكت عنه، وكذا الذهبي، وقال الهيثمي في "المجمع" (١/٢٠٧): "رواه البزار والطبراني في الكبير، وفيه أبو يحيى القتات، وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه الباقون". وقال الدارقطني إثر إيراده الحديث: "لا بأس به". قال الشيخ الألباني: وكأنه يعني في الشواهد. وانظر "صحيح الجامع" (٣٩٧١).

قال ابن وهب: أرى أنه سئل عن فعلته -فقال رسول الله ﷺ: رجل كان لا يتقي من البول، وامرأة كانت تمشي بين الناس بالنميمة فانتظر بهما العذاب إلى يوم القيامة[١] .

وعنه قال: مر رسول الله ﷺ على قبر فوقف فقال: "ايتوني بجريدتين". فجعل إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه، فقلنا له: يا رسول الله أينفعه ذلك؟ قال: "لن يزال يخفف عنه بعض عذاب القبر ما دام فيهما ندو"[٢] .

وعن أبي بكرة قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ ومعي رجل ورسول الله ﷺ يمشي بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ: "إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكم يأتيني من هذا النخل بعسيب؟ فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيبًا فأتيت به النبي ﷺ فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفًا وعلى الآخر نصفًا فقال: "إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء، إنهما ليعذبان في الغيبة والبول"[٣] .

وعنه قال: بينا النبي ﷺ بيني وبين رجل آخر إذ أتى على قبرين فقال:"إن صاحبي هذين القبرين يعذبان فأتياني بجريدة". قال أبو بكرة: فاستبقت أنا

---

(١) أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١١٩)، وفي سنده أبي الخنساء وهو مجهول لا يعرف إلا في هذا الحديث، لم يرو عنه سوى عبدالعزيز بن صالح، وقال أبو زرعة في "الجرح والتعديل" (٣٦٨/٢/٤): "لا أعرف أبا الخنساء إلا في هذا الحديث، ولا أعرف اسمه" اهـ..

(٢) أخرجه أحمد في "المسند"(٤٤١/٢)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٥٧/٣): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٣) أخرجه أحمد في "المسند"(٣٩/٥)، وابن ماجه في "سننه" (٣٤٩)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن ابن ماجه" (٢٧٩)، وقال: "حسن صحيح".

وصاحبي فسبقته فأتيته بجريدة فشقها بنصفين فوضع في هذا القبر واحدة وفي ذا واحدة، وقال: "لعله أن يخفف عنهما ما دامتا رطبتين. أما إنهما ليعذبان بلا كبير الغيبة والبول"[١].

وعن يعلي بن سيابة أن النبي مر بقبر يعذب في غير كبير، ثم دعا بجريدة فوضعها على قبره فقال: "لعله يخفف عنه ما كانت رطبة"[٢].

وعن أنس بن مالك قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين لبني النجار وهما يعذبان بالنميمة والبول فأخذ سعفة فشقها باثنين فوضع على هذا القبر شقة وعلى هذا القبر شقة وقال: "يخفف عنهما ما زالتا رطبتين"[٣].

وعن قتادة عن أنس قال: مر رسول الله ﷺ برجل يعذب في قبره من النميمة[٤].

وعن أنس بن مالك قال: مر رسول الله ﷺ بقبر فنفرت بغلته الشهباء فأخذ

---

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٣٥/٥)، وقال الهيثمي في "المجمع"، (٢٠٨/١): "رواه الطبراني في الأوسط وأحمد وهذا لفظ الطبراني... ورواه ابن ماجه باختصار. ورجاله موثقون".

(٢) أخرجه أحمد في (١٧٢/٤)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٥٧/٣): "رواه أحمد وفيه حبيب بن أبي جُبيرة، قال الحسيني: "مجهول".

(٣) أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٢٠٨/١)، وقال: "رواه أحمد والطبراني في "الأوسط"، وفيه عبيد بن عبدالرحمن وهو ضعيف"، وذكره الشيخ أبو إسحاق الحويني – حفظه الله- في "بذل الإحسان"، (ص٢٨٦-٢٨٧)، وقال: "وسنده ضعيف"، وعبيد بن الصباح ضعفه أبو حاتم..".

(٤) أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٢٠٧/١)، وعزاه إلى الطبراني في "الأوسط" قال: "وفيه خليد ابن دعلج، ضعفوه إلا أن أبا حاتم قال: صالح وليس بالمتين، وقال ابن عدي: عامة ما رواه تابعه عليه غيره". وقال الشيخ الحويني في "بذل الإحسان" (ص٢٨٦) بعدما ذكر كلام الأئمة فيه: "فالسند قوي. والله أعلم".

القوم بلجامها فقال: "خلوا عنها فإن صاحب القبر يعذب فإنه لا يستنزه من البول"[(١)].

وعن عبد الرحمن بن حسنة قال: كنت أنا وعمرو بن العاص جالسين فخرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده درقة فبال وهو جالس فتكلمنا بيننا فقلنا يبول كما تبول المرأة! فأتانا فقال: "أما تدرون ما لقي صاحب بني إسرائيل كان إذا أصابهم بول قرضوه فنهاهم فتركوه فعذب في قبره"[(٢)].

باب: ما يخاف من عذاب القبر في النياحة على الميت:

قال بعض أهل العلم: إذا كان قد أوصى بها.

روى البخاري عن عمر بن الخطاب ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الميت ليعذب في قبره بالنياحة"[(٣)].

وفي رواية أخرى قال: "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه"[(٤)].

باب: ما يخاف من عذاب القبر في الغلول[(٥)]:

روى الشيخان عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فلم

---

(١) أخرجه الضياء في "المختارة"، (٦/٢٠٢)، من طريق سفيان بن حسين عن شيبة بن مساور عن أنس بن مالك مرفوعًا. وهذا سند صحيح.

(٢) "صحيح" أخرجه أبو داود في "الطهارة"، باب: الاستبراء من البول (٢٢)، والنسائي (١/٢٦)، وابن ماجه في "الطهارة"، باب: التشديد في البول (٣٤٦)، والمصنف في "الكبرى" (١/١٠١)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على "المشكاة" (٣٧١): "سنده صحيح" وانظر صحيح أبي داود (١٦)، وصحيح ابن ماجه (٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما يكره من النياحة على الميت (١٢٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما يكره من النياحة على الميت (١٢٩٢)، وكذا مسلم في "الجنائز"، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، (٢/٥٩٠) ط الشعب.

(٥) الغلول: هو ما غله الجندي من الغنيمة- أي كتمه.

نغنم ذهبا ولا فضة إنما غنمنا المتاع والأموال، ثم انصرفنا نحو "وادي القرى" ومع رسول اللهﷺ عبد أهداه إياه رفاعة بن زيد رجل من بني ضبيب -فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم عائر فأصابه فمات فقال له الناس: هنيئا له الجنة. فقال رسول اللهﷺ: "كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها يوم خيبر في الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا". فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين. فقال رسول الله ﷺ: "شراك أو شراكان من نار".

وعن أبي رافع قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث عندهم حتى ينحدر إلى المغرب". قال: وذكر الحديث وفيه: قال النبي ﷺ: "ولكن هذا فلان بن فلان بعثته ساعيا على بني فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار".

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا تزال نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه".

عائر: أي لا يدري من رمى به وقيل: هو الحائد عن قصده.

أخرجه البخاري في "المغازي"، باب: غزوة بدر (٤٢٣٤)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الإيمان"، باب: غلظ تحريم الغلول، وأن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، (١١٥).

أي: ينزل.

النمرة: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب، درع: أي ألبس عوضها درعًا من نار.

حسن، أخرجه أحمد في "المسند" (٦/٣٩٢)، والنسائي (٢/١١٥-١١٦)، وابن خزيمة في صحيحه، باب: التغليظ في غلول الساعي من الصدقة، (٢٣٣٧)، وانظر صحيح سنن النسائي، (١٨٣١).

"صحيح"، أخرجه أحمد في "المسند" (٢/٤٤٠)، والترمذي في سننه باب: أن نفس

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين"[(١)].

وعن سمرة بن جندب قال: صلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: ها هنا أحد من بني فلان؟ -فنادى ثلاثًا لا يجيبه أحد، ثم قال: "إن الرجل الذي مات منكم قد إحتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله"[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطًا خطا ثم قال: هل عليه دين؟ قلنا: نعم. قال: صلوا على صاحبكم. فقال أبو قتادة: يا رسول الله دينه علي. فقال النبي ﷺ: هما عليك حق الغريم وبرء الميت؟ قال: نعم. فصلى عليه. ثم لقيه في الغد فقال: ما فعل الديناران؟ فقال: يا رسول الله إنما مات أمس! ثم لقيه من الغد فقال: ما فعل الديناران؟ فقال: يا رسول الله قد قضيتهما. فقال رسول الله: الآن بردت عليه جلده"[(٣)].

المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه، (١٠٩٠)، والبيهقي في "الكبرى"، من سننه (٧٦/٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٨٦٠)، وصحيح الجامع (٦٧٧٩).

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٤٧٥/٢)، والترمذي في سننه (١٠٩١)، وابن ماجه (٢٤١٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٤٩/٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٥/٩)، وكذا البغوي في "شرح السنة" (٢١٤٧)، وانظر صحيح الترمذي (٨٦١)، وصحيح ابن ماجه (١٩٥٧)، وقال: "صحيح".

(٢) "حسن"، أخرجه الحاكم في "المستدرك"، (٢٥/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وأخرجه أحمد في "المسند" (١١/٥)، والحاكم (٢٥/٢) من طريق آخر، وانظر صحيح أبي داود (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٣٠/٣)، والبيهقي في "الكبرى"، (٧٤/٦-٧٥)، وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٨/٢)، والدارقطني في سننه (٣٠٥٦) من طريق آخر، وقال الحاكم: "صحيح

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[١] قال مجاهد: في القبر.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولوا عنه فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، والزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه. فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: "ما قبلي مدخل". ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: "ما قبلي مدخل"، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: "ما قبلي مدخل" ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف إلى الناس: "ما قبلي مدخل" وذكر الحديث بطوله[٢].

وعن مجاهد في قول الله ﷻ ﴿فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ قال: "في القبر"[٣].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: "رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فإن مات جرى عليه الرباط، ويؤمن من الفتان، ويقطع له رزق

الإسناد، ولم يخرجاه". ووافقهما الذهبي. وللحديث شاهد في الصحيحين، أخرجه البخاري في "الكفالة"، باب: الدين (٢٢٩٨)، وكذا مسلم في "الفرائض"، (١٦١٩).

[١] الروم: ٤٤.

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] أخرجه ابن جرير الطبري في "التفسير" (٢١/٣٣-٣٤)، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية"، (٣/٢٩٧)، وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنشور" (٥/٣٠٢)، لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

في الجنة"[١].

وأخرجه مسلم عنه بإسناده ومعناه إلا أنه قال: "خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله -أو: أجري عليه ما كان يعمل- وأمن الفتان"[٢].

وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر"[٣].

باب: ما يرجى في الشهادة في سبيل الله من الأمن من عذاب الله في القبر:

روى الشيخان عن أنس قال: دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة على رعل، وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله.

قال أنس: أنزل الله في الذين قتلوا قرآنًا ثم نسخ بعد أن "بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا"[٤].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٢/٦٣)، والترمذي (١/٣١٢)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/١٠٢)، وابن أبي عاصم في "الجهاد"، والحاكم (٢/٨٠)، والمصنف في "الكبرى"، (٩/٣٨)، وكذا أحمد في (٥/٤٤٠)، وقال الترمذي: "حسن"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وتعقبهما الشيخ الألباني في "الإرواء" (١٢٠٠)، بقوله: "قلت: وقد وهما في استدراكه على مسلم، وقصرا في تصحيحه مطلقًا وهو عنده بإسناد مسلم نفسه...". وانظر صحيح سنن النسائي (٢٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في "الإمارة"، باب: فضل الرباط في سبيل الله -عز وجل (١٩١٣).

(٣) "صحيح"، أخرجه أحمد (٦/٢٠)، وأبو داود في "الجهاد"، باب: فضل الرباط (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطًا، وقال: "حديث حسن صحيح" وانظر "صحيح أبي داود" (٢١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: فضل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾.

قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب؟. فقال الله تبارك وتعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله -عز وجل:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] إلى آخر الآيات.

وقد تقدم في ذلك حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-[2].

وعن قيس الجذامي قال: قال رسول الله ﷺ: "إن للقتيل عند الله ست خصال: تغفر له خطيئته في أول دفقة من دمه، ويجار من عذاب القبر، ويحلا حلة الكرامة، ويرى مقعده من الجنة، ويؤمن من الفزع الأكبر، ويزوج من الحور العين"[3].

[illegible]

وعن مرة عن عبد الله قال: توفي رجل فأتي من جوانب قبره فجعلت سورة من القرآن تجادل عنه حتى منعته. قال: فنظرت أنا ومسروق فإذا هي "سورة الملك"[4].

---

(١) آل عمران:١٦٩.

(٢) "حسن" أخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، وأحمد (٢٦٦/١)، والحاكم (٨٨/٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى"، (١٦٣/٩)، وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على "المسند" (٢٣٨٨): "إسناده صحيح". وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٩).

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (٤٠٠/٤)، ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" (١٧٣/٢)، لابن سعد. وله شاهد صحيح أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، من حديث المقدام بن معد يكرب، وانظر صحيح ابن ماجه (٢٢٥٧)، وصحيح الجامع (٥١٨٢).

(٤) أخرجه أبو عبيد والبيهقي في "الدلائل" من طريق مرة عن ابن مسعود، وأخرجه الدارمي في سننه (٥٤٧/٢)، موقوفًا على عمرو بن مرة، ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" (٣٨١/٦) لسعيد بن منصور وابن الضريس عن مرة مرسلا.

وعن مسروق عن عبد الله قال: جادلت "سورة تبارك" عن صاحبها حتى أدخلته الجنة.

وعن عبد الله يعني ابن مسعود قال: سورة تبارك هي المانعة تمنع بإذن الله تبارك وتعالى من عذاب القبر، أتي رجل من قبل رأسه فقالت له: "لا سبيل لك على هذا إنه كان قد دعا في سورة الملك، وأتي من قبل رجليه فقالت رجلاه: لا سبيل لكم على هذا إنه كان يقوم بي بسورة "الملك" فمنعته بإذن الله من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطاب"[1].

وعن أبي الجوزاء عن أبي العباس قال: ضرب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحس أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: "هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر"[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك"، (٢/٤٩٨)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، ونسبه السيوطي في "الدر المنثور"، (٦/٣٨٠) لابن الضريس والطبراني والبيهقي في الشعب، وتفرد به يحيى بن عمرو بن مالك وهو ضعيف، كذا قال البيهقي في "إثبات عذاب القبر- (١٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي في "فضائل القرآن"، (٢٨٩٠)، وأبو نعيم في "الحلية" (٣/٨١)، من رواية عبدالملك بن أبي الشوارب ثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. وضعفه الترمذي بقوله: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وقال أبو نعيم إثر إيراده الحديث: "غريب من حديث أبي الجوزاء، لم نكتبه مرفوعًا مجودًا إلا من حديث يحيى بن عمرو عن أبيه. وأخرجه المصنف في "الدلائل" (٧/٤١)، وقال: "تفرد به يحيى بن عمرو النكري، وهو ضعيف إلا أن لمعناه شاهدًا عن عبدالله بن مسعود". وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنثور" (٦/٣٧٩) للحاكم وابن مردويه وابن نصر.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "في القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له": ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

باب: ما يرجى للمبطون[2] من الأمان من عذاب القبر

وعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكرا رجلا مات في بطنه، فأحبا أن يحضرا جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: "إن الذي يقتله بطنه لن يعذب في قبره؟". قال بلى[3].

وعنه قال: جلست إلى سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فقال سليمان: "لله أبوك أما كنت تؤذننا بذلك الرجل الصالح نشهد جنازته! فقال: كنا وكان مبطونًا فبادرناه فأقبل سليمان على خالد فقال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: "من يقتله بطنه لم يعذب في قبره؟". قال: نعم[4].

وعن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: "من مات مريضًا مات شهيدًا" -أو: "وقي من عذاب القبر"[5].

---

(١) "حسن"، أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي في "فضائل القرآن"، باب: ما جاء في سورة الملك (٣٠٦٥)، وابن ماجه (٣٧٩٦)، وصحيح الترمذي (٢٣١٥)، وصحيح ابن ماجه (٣٠٥٣).

(٢) المبطون: هو المصاب بالبطن، وهو داء يصيب البطن من تخمة وغيرها، ومنها الاستسقاء.

(٣) "صحيح" أخرجه أحمد في "المسند" (٢٦٢/٤)، والنسائي (٩٨/٤)، والترمذي (١٠٧٦)، من طريق أبي سنان الشيباني عن أبي إسحاق السبيعي به. وقال: "حسن غريب في هذا الباب"، وانظر صحيح النسائي (١٩٣٩)، وصحيح الترمذي (٨٤٩).

(٤) تقدم تخريجه فيما قبله.

(٥) "ضعيف جدًا"، أخرجه ابن ماجه في سننه (١٦١٥)، وأحمد في "المسند" (٤٠٤/٢) بلفظ: "من مات مرابطًا..." وأبو نعيم في "الحلية" (٢٠١/٨-٢٠٢). وقال: "غريب من

وزاد في رواية: "وغدي وريح عليه برزق من الجنة".

باب: ما يرجى في الموت ليلة الجمعة من البراءة من فتنة القبر:

وعن ربيعة ابن سيف أن عبد الرحمن بن محرم أخبره أن ابنا لعياض بن عقبة توفي يوم الجمعة فاشتد وجده عليه فقال له رجل من الصدف: يا أبا يحيى ألا أبشرك بشيء سمعته من عبد الله بن عمرو بن العاص؟ سمعته يقول: إن رسول الله ﷺ قال: "ما من مسلم يموت في ليلة الجمعة إلا بريء من القبر"[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: "من مات يوم الجمعة -أو ليلة الجمعة- وقي فتنة القبر"[(٢)]. وروي موقوفا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: "من توفي يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي الفتان".

حديث عبدالعزيز عن محمد، ما كتبناه عاليا إلا من حديث الحسن". وصححه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه" (٣٥٥).

(١) أخرجه الترمذي في "الجنائز"، باب: فيمن يموت يوم الجمعة (١٠٨٦)، وأحمد في "المسند" (٢/١٦٩)، والطحاوي في "مشكل الآثار"، (١/١٠٨) من طريق سعيد بن أبي هلال عن ربيعة ابن سيف عن ابن عمرو -رضي الله عنه- مرفوعًا- وقال الترمذي عقبه: "حديث غريب، وليس إسناده بمتصل، ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبدالرحمن الحبلي، عن عبدالله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعًا من عبدالله بن عمرو". وقال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في تعليقه على "المشكاة" (١٣٦٧): "ورجاله موثقون، إلا أنه منقطع كما ذكر الترمذي، لكن رواه الطبراني موصولا، كما في "الفيض"، وله طريق أخرى في "المسند" (٢/١٧٦، ٢٢٠)، وإسناده حسن أو صحيح...". لذلك أورده في صحيح الترمذي (٨٥٨)، وصحيح الجامع (٥٧٧٣)، وقال: "حسن".

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٧٦و٢٢٠)، وهو حسن كما تقدم فيما قبله.

وروي ذلك عن أنس بن مالك مرفوعا[1].

وعن عبد الله بن مؤمل قال سمعت عكرمة بن خالد المخزومي يقول: "من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم بخاتم الأيمان ووقي عذاب القبر".

باب: دعاء النبي ﷺ في صلاة الجنازة بتوسيع المدخل على صاحبها ووقايته فتنة القبر

روى مسلم في "صحيحه" عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول اللهﷺ وصلى على جنازة يقول: "اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه، وعافه، وأكرم نزله، وأوسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وقه فتنة القبر وعذاب النار".

قال عوف: فتمنيت أن لو كنت أنا ذاك الميت لدعاء رسول الله ﷺ لذلك الميت[2].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ صلى على المنفوس ثم قال: "اللهم أعذه من عذاب القبر"[3]. وجاء من طريق آخر عن أبي هريرة -بنحوه موقوفا[4].

---

[1] أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (٣١٩/٢)، من رواية أنس بن مالك -رضي الله عنه، وقال: "رواه أبو يعلى، وفيه يزيد الرقاشي وفيه كلام".

[2] أخرجه مسلم في "الجنائز"، باب: الدعاء للميت في الصلاة (٩٦٣).

[3] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٣٧٣/١١-٣٧٤)، وقال عقبه: "تفرد برواية هذا الحديث هكذا مرفوعًا علي بن الحسن عن أسود بن عامر عن شعبة، خالفه غيره فرواه عن أسود موقوفًا". وهو في منتخب كنز العمال (٢٥٤/٦) بهامش المسند، مرفوعًا معزوًّا إلى ابن النجار.

[4] أخرجه مالك في "الموطأ" (٢٢٧/١-تنوير الحوالك)، والخطيب في التاريخ (٣٧٤/١١) عن أبي هريرة موقوفًا عليه. وهو الصواب كما قال الخطيب في "التاريخ". وأخرجه البيهقي في "الكبرى" (٩/٤)، موقوفًا.

باب: دعاء النبي ﷺ على المشركين بعذاب القبر:

روى الشيخان عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: "ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس" وهي صلاة العصر"[١].

باب:ما كان يرجى في صلاة النبي على الجنائز من النور في القبور وذهاب الظلمة عن أهلها:

روى البخاري عن أبي هريرة أن إنسانًا أسود -أو إنسانة سوداء- كانت تقم المسجد -أو يقم- فماتت -أو مات ففقدها رسول الله ﷺ فقال: ما فعل ذلك الإنسان؟ قالوا: ماتت -أو مات. قال: فهلا كنتم آذنتموني بها -أو به! وكأنهم صغروا أمرها، فقال دلوني على قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها ثم قال: "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ﷻ ينورها بصلاتي عليهم"[٢].

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب قاعدًا على فرضة من فرض الخندق فقال: "شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غربت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا أو بطونهم".

ورواه مسلم بإسناده نحوه إلا أنه قال: "ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا" أو "قبورهم وبطونهم نارا"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٢٩٣١)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "المساجد"، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر (٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في "الصلاة"، باب: كنس المسجد..(٤٥٨)، (٤٦٠) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الجنائز"، باب: الصلاة على القبر، (٩٥٦) واللفظ لمسلم..

(٣) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، (٢٧٣/٢)، (١٩٢) ط الشعب.

روى مسلم في "صحيحه: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: "شغلونا عن الصلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا"- ثم صلاها بين العشائين بين المغرب والعشاء، وفي رواية قال: "شغل رسول الله ﷺ يوم الأحزاب عن صلاة العصر حتى صلوا بين المغرب والعشاء فقال: "شغلونا عن الصلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا" (١).

وعن عاصم زر قال: قلنا لعبيدة: سل عليًا رضي الله عنه عن صلاة الوسطى؟ فسأله فقال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: "شغلونا عن صلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا" (٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي ﷺ يقول يوم الخندق: "شغلونا عن صلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله اجوافهم وقبورهم نارا".

رواه مسلم في "صحيحه" (٣).

وعن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: "شغلونا عن صلاة العصر -فلم يصلها يومئذ حتى غابت الشمس- ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا" (٤).

وعن ابن عباس قال: قاتل رسول الله ﷺ المشركين، حتى فاتتهم الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: "شغلونا عن صلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله

---

(١) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: دليل من قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، (٢/٢٧٣)، (١٩٣) ط الشعب.

(٢) أخرجه البغوي في "شرح السنة"، (٣٨٧)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٢/٥٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة" (٢/٢٧٣) ط الشعب.

(٤) أورده الحافظ الهيثمي في "المجمع" (١/٣٠٩)، وقال: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح".

قبورهم وأجوافهم نارًا"[١].

باب: استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر وأمره بها:

روى مسلم في "صحيحه" عن مسروق قال: دخلت يهودية على عائشة رضي الله عنها فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يذكر شيئا في عذاب القبر؟ فقالت عائشة- رضي الله عنها: لا! وما عذاب القبر؟! قالت: فسليه. فجاء النبي ﷺ فسألته عائشة رضي الله عنها عن عذاب القبر فقال رسول الله ﷺ: "عذاب القبر حق". فما صلى بعد ذلك صلاة إلا سمعته يتعوذ من عذاب القبر"[٢].

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عجوزان من عجائز اليهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فدخل عليَّ رسول الله - فقلت: يا رسول الله إن عجوزين دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فقال: صدقتا إنهم يعذبون في قبورهم عذابا يسمعه البهائم. فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر"[٣].

وروى الشيخان عن مسروق قال: جاءت يهودية إلى عائشة رضي الله عنها تسألها، فقالت لعائشة رضي الله عنها: أعاذك الله من عذاب القبر. فجاء النبي ﷺ -فسألته- عائشة فقال رسول الله ﷺ: "عذاب القبر حق". قالت عائشة رضي الله عنها: فما سمعته

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٣٠١/١)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٣٠٩/١): "رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله موثقون". وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على "المسند" (٢٧٤٥): "إسناده صحيح".

(٢) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم، (٢٣٣/٢) ط الشعب.

(٣) أخرجه البخاري في "الدعوات"، باب: التعوذ من عذاب القبر (٦٣٦٦)، ومسلم في "المساجد"، باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٦).

يصلي بعد صلاة إلا وتعوذ من عذاب القبر(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ: أيعذب الناس في قبورهم؟! فقال رسول الله ﷺ: عائذًا من ذلك. ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركبًا فخسفت الشمس -فذكر الحديث في صلاة النبي ﷺ قالت: ثم انصرف فقال رسول الله ﷺ -ما شاء الله أن يقول ثم أمرهم أن يستعيذوا من عذاب القبر(٢).

وروى مسلم عن عمرة أن يهودية أتت عائشة رضي الله عنها تسألها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر. فقالت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله يعذب الناس في القبور؟ قالت عمرة: فقالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: عائذا بالله. ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركبًا فخسفت الشمس -فذكر الحديث في صلاة الخسوف فقالت: فقال: إني قد رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال.

قالت عمرة: فسمعت عائشة رضي الله عنها تقول: فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب النار وعذاب القبر.

وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: "اللهم أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من المأثم والمغرم". قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟! فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر، (١٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في "الكسوف"، باب: ما جاء في التعوذ من عذاب القبر في الكسوف (١٠٤٩، ١٠٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في "الأذان"، باب: الدعاء قبل السلام (٨٣٢)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "المساجد"، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، (٥٨٩).

وعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر وعذاب القبر، وأعوذ بك من شر فتنة الفقر، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم نق قلبي من خطيئتي كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطيئتي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم"[(١)].

وعن عمرة قالت: حدثتني عائشة قالت: "فما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة إلا قال في دبرها: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذني من حر النار وعذاب القبر".

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: "اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر"[(٢)].

وروى البخاري في "صحيحه" عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه كان يأمر بالخمس ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يأمر بهن: "اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا -وأعوذ بك من عذاب القبر"[(٣)].

وروى البخاري عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عمرو بن ميمون الأودي قال كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان ويقول إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، (٢/٣٢٠)، وأورده الشيخ الألباني في "صحيح النسائي" (٥٠٩٢)، وحسنه بشواهده في "الصحيحة"، (١٥٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في "الدعوات"، باب: التعوذ من عذاب القبر (٦٣٦٥)، وفي غير موضع من صحيحه.

الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ من عذاب القبر". فحدثت به مصعبا فصدقه[١].

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ فوق المنبر يتعوذ من خمس: اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من سوء العمر، وأعوذ بك فتنة الصدر، وأعوذ بك من عذاب القبر"[٢].

وعن عبد الله -يعني ابن مسعود، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا اله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إني أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، وسوء الكبر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر" وزاد في رواية أخرى أنه قال: "لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" رواه مسلم في "صحيحه"[٣].

روى مسلم أيضًا بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة بنت أبي سفيان، "اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: "إنك دعوت الله لآجال معلومة، وأرزاق مقسومة، وآثار مبلوغة لا يعجل شيء منها من قبل حلها ولا يؤخر شيء منها بعد حلها فلو دعوت الله عز وجل أن يعافيك، وسألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر لكان خيرًا أو لكان أفضل"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: ما يتعوذ من الجبن (٤٣١/٦)، (٢٨٢٢)، وفي مواضع أخر من صحيحه.

(٢) "ضعيف"، أخرجه أبو داود (١٥٣٩)، والنسائي (٢٥٥/٨)، وابن ماجه (٢٨٤٤)، وأورده الشيخ الألباني في "ضعيف سنن النسائي (٤٢٠)، وضعيف ابن ماجه (٨٣٨).

(٣) أخرجه مسلم في "الذكر والدعاء"، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢٣).

(٤) أخرجه مسلم في "القدر"، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا

وروى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يدعو: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر. وعذاب النار، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال"[١].

وروى مسلم عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: "عوذوا بالله من فتنة عذاب الله، وعوذوا بالله من فتنة عذاب القبر، وعوذوا بالله من فتنة المحيا والممات، وعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال"[٢].

وروى بإسناده أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال"[٣].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: "سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر"[٤].

وروى أيضًا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من عذاب القبر، وعذاب جهنم، وفتنة الدجال[٥].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تعوذوا بالله من جهنم تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من المسيح الدجال، تعوذوا بالله من فتنة المحيا

تنقص عما سبق به القدر، (٢٦٦٣).

(١) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: التعوذ من عذاب القبر، (٣/٢٨٤)، ومسلم في "المساجد"، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، (٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في "المساجد"، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، (٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في "المساجد"، (٢/٢٣٤) ط الشعب..

(٤) أخرجه مسلم في "المساجد" (٢/٢٣٤) ط الشعب.

(٥) أخرجه مسلم في "المساجد"، (٢/٢٣٤) ط الشعب.

والممات" .

وعنه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ بالله من شر المحيا والممات وعذاب القبر، ومن شر المسيح الدجال .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر".

وعنه أنه كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" رواه الشيخان .

وعنه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" .

وعن حميد قال: سئل أنس بن مالك عن عذاب القبر وعن الدجال فقال: كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والجبن،

"صحيح" أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، (٦٤٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣/٣٧٣)، (١٠/١٩)، (٩١٨٥)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على الأدب "المفرد" (٥٠٤): "صحيح".

أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، باب: من تعوذ بالله من الكسل، (٦٥٧)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه عليه في صحيح الأدب المفرد (٥١١): "صحيح". وهو في الصحيحين بنحوه من رواية يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الذكر والدعاء"، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، (٢٧٠٦).

أخرجه النسائي في سننه (٨/٣٥٧)، وأحمد (٣/٣٧٥) وانظر صحيح سنن النسائي (٥٠٤٥).

والبخل، وفتنة الدجال، وعذاب القبر"[1].

وروى البخاري عن أم خالد بنت خالد بن سعيد العاصي أنها سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر[2].

وروى مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات[3].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يقول بعد التشهد: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الدجال الأعور، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات"[4].

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن المغرم ومن عذاب القبر ومن فتنة الصدر"[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٨)، وكذا النسائي (٣٥٧/٨)، وأحمد في "المسند" (١٧٩/٣) وانظر "صحيح النسائي" (٥٠٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٦)، وفي "الدعوات"، (٦٣٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم (٢٣٥/٢) ط. الشعب.

(٤) أخرجه مالك في "الموطأ" (٢١٥/١)، ومن أوجه عنه أخرجه مسلم (٥٩٠)، وكذا أبو داود (١٥٤٢)، والترمذي (٣٤٩٤)، والنسائي (١٠٤/٤)، وأحمد (٢٤٢/١)، والبغوي في شرح السنة (١٣٦٤). وأخرجه أبو داود (٩٨٤)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٨٦٨)، وقال الشيخ الألباني: "حسن صحيح".

(٥) الحديث في إسناده قابوس بن أبي ظبيان، وهو لين الحديث، كما قال الحافظ في "التقريب"، (١١٥/٢).

روى مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: ثنا زيد بن ثابت قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه فحادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر". فقال رجل: أنا. فقال: متى مات هؤلاء؟ فقال: ماتوا في الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمعني. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر" قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قلنا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قلنا: نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وعن أبي الزبير عن جابر قال: دخل رسول الله ﷺ حائطًا لبني النجار فسمعهم يعذبون في قبورهم، فخرج مذعورًا يقول: "أعوذ بالله من عذاب القبر" .

وعن عبد الرحمن بن أبزى أن عبد الله بن خباب حدثه أن أبي بن كعب قال: ذكر رسول الله الدجال -فذكر الحديث، وقال فيه: "فتعوذوا بالله من عذاب القبر" .

وعن مسلم بن أبي بكرة أنه مر بوالده وهو يدعو ويقول: "اللهم إني أعوذ

أخرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (٢٨٦٧).

أخرجه أحمد في "المسند" (٣/٢٩٥-٢٩٦). وقال الشيخ الألباني في "الصحيحة"، في الكلام على (١٥٨) "أخرجه أحمد بسند صحيح متصل على شرط مسلم".

أخرجه أحمد في "المسند" (٥/١٢٣-١٢٤)، وأبو نعيم في "الحلية"، (٣٦٣/٤)، ثم قال عقبه: "غريب من حديث عبدالله تفرد به حبيب". وقال الهيثمي في "المجمع" (٣٣٧/٧): "رواه أحمد ورجاله ثقات".

بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر" فأخذتهن عنه فكنت أدعو بهن في دبر الصلاة فمر بي وأنا أدعو بهن فقال: يا بني أنى علمت هؤلاء الكلمات؟! قلت: يا أبتاه سمعتك تدعو بهن في دبر الصلاة فأخذتهن عنك. قال: فالزمهن يا بني فإن نبي الله ﷺ كان يدعو بهن في دبر الصلاة"[١].

وروى مسلم عن زيد بن أرقم قال: لا أعلمكم إلا ما كان رسول الله ﷺ يعلمنا "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل، والجبن، والهرم، وعذاب القبر"[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والمغرم، والمأثم، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر"[٣].

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قال لها: يا ميمونة تعوذي بالله من عذاب القبر. قالت: يا رسول الله: إنه لحق؟! قال: نعم، وإن من أشد عذاب القبر الغيبة والبول".

باب: الدعاء للمؤمن بالتثبيت بعد الفراغ من الدفن:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٤)، والترمذي (٣٥٠٣)، والنسائي (٣/٧٣-٧٤)، والحاكم في "المستدرك"، (١/٣٥)، وابن خزيمة (٧٤٧)، وابن أبي عاصم في "السنة"، (٨٧٠). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح". وأخرجه أحمد أيضًا (٥/٤٢)، وأبو داود (٥٠٩٠). وانظر صحيح الترمذي (٢٧٨٤)، وانظر تعليق الشيخ الألباني على كتاب "السنة" لابن أبي عاصم (٨٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في "الذكر والدعاء"، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧٢٢)، وغيره من محاضر عن عاصم به.

(٣) أخرجه أحمد (٢/١٨٥-١٨٦)، والنسائي في سننه (٨/٢٦٩)، وانظر "صحيح سنن النسائي" (٥٠٦٥).

وعن هانئ مولى عثمان بن عفان، عن عثمان ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: "استغفروا لميتكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"[1].

قال الله -جل ثناؤه- فيمن أنعم عليه بالمغفرة: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[2].

قال مجاهد: ذلك حين رأى الثواب[3].

قال غيره: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾. أي: بإيماني بربي وتصديقي إياه فيؤمنوا، فيدخلون الجنة كما دخلت الجنة.

روى الشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث خاله حرام بن عثمان -أخو أم سليم- في سبعين رجلاً إلى بني عامر فلما قدموا قال لهم خاله: "أتقدمكم، فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم قريبا".

فتقدم، فبينما هو يحدثهم عن رسول الله ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم، فطعنه فأنفذه، فقال: "الله أكبر، فزت ورب الكعبة". ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلاً أعرج كان فيهم فصعد الجبل. قال: فحدثنا أنس أن جبريل أتى النبي ﷺ فأخبرهم أنهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم.

قال أنس فكان: فيما يقرأ من القرآن: "بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا". قال: ثم نسخ بعد، فدعا رسول الله ﷺ عليهم أربعين صباحًا،

---

(١) الحديث تقدم، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٩٤٥).

(٢) يس: ٢٦-٢٧.

(٣) الأثر ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٩١/٥)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله [١].

وعن ابن عباس قال: لما أصيب من أصيب؛ ورأوا ما أعد الله لهم من الرزق قالوا: ليت إخواننا يعلمون، فأنزل الله -عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [٢] الآية. [٣].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل المؤمن قبره أتاه ملكان فزبراه، فيقوم يهب الفتان! قال: فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي. فيقولان له: صدقت، كذلك كنت. فيقال: أفرشوه من الجنة، واكسوه من الجنة. فيقول: دعوني حتى أخبر أهلي! فيقولان له: اسكن [٤].

وعن أبي الزبير قال: سألت جابرا عن القبر، فقال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: كنت أقول أنه رسول الله ﷺ وعبده. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كنت ترى من النار -يعني: قد أبدل مكانه مقعدك الذي ترى في الجنة- فيراهما كلاهما. فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي. فقال له: اسكن.

---

(١) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: من ينكب في سبيل الله (٢٨٠١)، وفي "المغازي" (٤٠٩١)، وأخرجه البخاري أيضًا (٢٨١٤و ٤٠٩٥)، ومسلم (٦٧٧) من طريق آخر عن أنس -رضي الله عنه.

(٢) آل عمران:١٦٩.

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" (١/٢٦٥-٢٦٦)، وأبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في "المستدرك" (٢/٨٨)، مرفوعًا إلى النبي ﷺ بأطول من هذا السياق.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة"، (٨٦٦، ٨٦٧)، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٨٦٦): "إسناده جيد على شرط البخاري، على ضعف في أبي بكر بن عياش، وقرن البخاري لأبي سفيان بغيره"..

وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري، أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدل مكانه مقعدك من النار. قال جابر: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: يبعث كل عبد على ما مات؛ المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه" .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾الآية .

وعن ابن عباس انه قال: إنما يقولون هذا؛ لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين، فنسوا عذابهم وظنوا أنهم كانوا نيامًا، فإذا خرجوا من قبورهم قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ أي: من منامنا قالت لهم الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

وعن قتادة قال: خفف عنهم العذاب أربعين سنة.

وعن مقاتل بن سليمان عن من روى تفسيره عنه من التابعين في قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: وذلك أن أرواح الكفار كانوا يعرضون على منازلهم من النار طرفي النهار، فلما كان بين النفختين رفع عنهم العذاب، فرقدت تلك الأرواح بين النفختين، فلما بعثوا في النفخة الأخرى وعاينوا في

أخرجه أحمد في "المسند" (٣٤٦/٣) كذا ابن أبي داود في "البعث والنشور" (١٣)، وقال الهيثمي في "المجمع"، (٤٨/٣): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وبقية رجاله ثقات "قلت: وقوله: "يبعث كل عبد على مات عليه...". هو في صحيح مسلم. أخرجه في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٧٨).

يس:٥١-٥٢.

يوم القيامة ما كانوا يكذبون به في الدنيا من البعث والحساب دعوا بالويل فقالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وفي قراءة ابن مسعود: "من ميتتنا". قالت لهم حفظتهم من الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ على ألسنة الرسل أنه يبعثكم بعد الموت فكذبتم به، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ بأن البعث حق.

وقال في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو القرن ﴿فَصَعِقَ﴾ يعني مات من في السموات ومن في الأرض من الحيوان من شدة الصوت والفزع ثم استثنى: ﴿إلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ فاستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح ميكائيل ثم روح جبريل ثم روح اسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم تكون النفخة الأخرى فيحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به في الدنيا.

وذكر بعض أهل المعاني أن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار ما عذبوا به في القبور في جنبها كالنوم فقالوا: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾!

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: قلت أنا: وفي التنزيل من قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[١].

ثم في الأخبار الصحيحة ما دل على صحة ما قال أهل التفسير في تأويل هذه الآية، منها ما رواه الشيخان.

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: "بين النفختين أربعون". قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء

---

(١) غافر: ٤٦.

إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، وفيه يركب الخلق يوم القيامة"[١].

ورويا أيضًا عن أبي هريرة قال: بينما يهودي يعرض سلعة فأعطي بها شيئا كرهه أو لم يرضه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟! قال فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال رسول الله ﷺ: لم لطمت وجهه؟ فقال: يا رسول الله قال: والذي اصطفى موسى على البشر، وأنت بين أظهرنا. قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: "لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى**﴾ فأكون أول من بعث -أو في أول من بعث- فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متي"[٢].

[illegible] إثبات عذاب القبر وما كانوا [illegible]

وعن عامر عن ابن عباس قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طعن فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيدًا. فقال: أعد علي. فأعدت عليه،

---

(١) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى**...﴾ (٤٨١٤) و(٤٩٣٥)، ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ما بين النفختين، (٢٩٥٥).

(٢) رواه البخاري في "أحاديث الأنبياء"، باب: قول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾، (٣٤١٤)، ومسلم في "الفضائل"، باب: من فضائل موسى، (٢٣٧٣).

فقال: "والله الذي لا اله غيره، لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع"[1].

وعن هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فيقال له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟! قال: فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه". قال: فقال عثمان رضي الله عنه ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه[2].

وعن علي رضي الله عنه قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[3] فقد روينا في الثابت عن علي عن النبي ﷺ في دعائه على المشركين يوم الأحزاب بعذاب القبر"[4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن أحدكم ليجلس في قبره إجلاسا فيقال له: ما أنت؟ فإن كان مؤمنا قال: أنا عبد الله حيا وميتا اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله. فيفسح له في قبره ما شاء الله فيرى مكانه من الجنة وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة.

وأما الكافر فيقال له ما أنت فيقول: لا أدري. فيقال له: "لا دريت"ثلاثًا.

فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه -أو تتماس أضلاعه- ويرسل عليه حيات من جوانب قبره ينهشنه ويأكلنه فإذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه (٣٦٩٢).

(٢) حسن، أخرجه الترمذي في "الزهد"، (٢٤٢٤)، وابن ماجه في "الزهد"، (٤٢٦٧)، مرفوعًا كله إلى النبي ﷺ، وانظر صحيح الترمذي (١٨٧٨)، وصحيح ابن ماجه (٣٤٤٢).

(٣) التكاثر:١-٢.

(٤) أخرجه الترمذي في "التفسير"، (٣٤١٣-أحوذي)، وضعفه بقوله: هذا حديث غريب، وزاد المباركفوري نسبته في التحفة لابن جرير وابن أبي حاتم.

حديد .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "أعمقوا لي قبري" .

وعن أبي موسى قال: تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحا من المسك. قال: فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم الملائكة دون السماء فيقولون: من هذا معكم؟ فيقولون: فلان -ويذكرونه بأحسن عمله. فيقولون: حياكم الله وحيا من معكم. قال: فتفتح له أبواب السماء فيشرق وجهه: قال فيأتي الرب -تعالى- ووجهه برهان مثل الشمس.

قال: وأما الآخر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون: من هذا معكم؟! فيقولون فلان -ويذكرونه بأسوأ عمله. قال: فيقولون: ردوه، ردوه، فما ظلمه الله شيئا. فقرأ أبو موسى -رضي الله عنه **﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** .

وعن عمير بن سلمة قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو مريض فقال: يا أبا الدرداء، إنك قد أصبحت على جناح فراق الدنيا، فمرني بأمر ينفعني الله به وأذكرك به. فقال: "إنك بين أمة معافاة فأقم الصلاة، وأد زكاة مالك إن كان لك، وصم رمضان، واجتنب الفواحش ثم أبشر". فأعاد الرجل على أبي الدرداء رضي الله عنه فقال أبو الدرداء: "اجلس ثم إعقل ما أقول لك، أين

الأثر أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه، (٣٧٧/٣)، "كتاب الجنائز"، باب: في المسألة في القبر.

وهو الذي بعده.

الأعراف:٤٠.

أورده السيوطي في "الدر المنثور" (١٥٥/٣)، وعزاه للطيالسي وأبي بكر بن أبي شيبة في "المصنف" واللالكائي في "السنة"، وإلى البيهقي في "البعث والنشور".

أنت من يوم ليس لك من الأرض إلا عرض ذراعين في طول أربعة أذرع أقبل بك أهلك الذين كانوا لا يحبون فراقك، وجلساؤك وإخوانك فأتقنوا عليك البنيان، ثم أكثروا عليك التراب ثم تركوك، ثم جاءك ملكان أسودان، أزرقان، جعدان أسماؤهما "منكر" و"نكير" فأجلساك ثم سألاك: ما أنت؟ أم على ماذا كنت؟ أم ماذا تقول في هذا الرجل؟ فإن قلت: والله ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت قول الناس فقد والله رديت وهويت، فإن قلت: محمد رسول الله انزل عليه كتابه فآمنت به وبما جاء معه فقد والله نجوت وهديت ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيت من الله تعالى مع ما ترى من الشدة والتخويف"(١).

وعن أبي هريرة أنه صلى على منفوس ثم قال: "اللهم إني أعيذه من عذاب القبر"(٢).

وعبد الله بن أبي مليكة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها قالت: إن الكافر يسلط عليه قبره شجاع أقرع فيأكل لحمه من رأسه إلى رجله ثم يكسى اللحم فيأكل من رجله إلى رأسه، فهو مكر لك.

وعن أم خارجة مولاة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها حضرت امرأة تموت فجعلت تقول لها: "إنك تسألين عن ربك وعن النبي ﷺ" -فجعلت تثبتها.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿**يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ**﴾. قال: إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة يسلمون عليه ويبشرونه بالجنة فإذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك؟ فيقول: ربي الله. ويقال له: من رسولك؟ فيقول: محمد ﷺ. فيقال له: ما شهادتك؟

---

(١) أثر الدرداء أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣/٣٧٨، ٣٧٩).

(٢) تقدم مرفوعًا وموقوفًا.

فيقول: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيوسع له قبره مد بصره. وأما الكافر فتنزل الملائكة فيبسطوا أيديهم -والبسط: هو الضرب- يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فإذا دخل قبره أقعد فقيل له: من ربك؟ فلم يرجع إليهم شيئًا وأنساه الله ذكر ذلك، وإذا قيل له: من رسولك الذي بعث إليك؟ لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئًا، يقول الله: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾(١).

وعن ابن عمر قال: بينا أنا صادر عن غزوة الابواء إذ مررت بقبور فخرج علي رجل من قبر يلتهب نارا وفي عنقه سلسلة يجرها وهو يقول: "يا عبد الله، اسقني سقاك الله" قال: فوالله ما أدري باسمي يدعوني أو كما يقول الرجل للرجل: "يا عبد الله" إذ خرج على أثره أسود بيده ضغث من شوك وهو يقول: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر". فأدركه فأخذ بطرف السلسلة ثم ضربه بذلك الضغث، ثم أقتحما في القبر وأنا أنظر إليهما حتى ألتأم عليهما.

وعن عبد الله الداناج قال: شهدت أنس بن مالك وقال له رجل: يا أبا حمزة، إن قوما يكذبون بعذاب القبر! قال: فلا تجالسوا أولئك.

وعن الحسن -يعني: ابن أبي الحسن- البصري أن رسول الله ﷺ كان على بغلة له شهباء فحادت به فقال: "حادت ولم تحد عن كبير، حادت عن رجل يعذب في قبره من أجل النميمة وآخر يعذب من الغيبة"(٢).

وعن إبراهيم -يعني: النخعي- أن رجلين كانا يعذبان في قبورهما فشكى ذلك جيرانهما إلى رسول الله ﷺ فقال: "خذوا كربتين واجعلوهما في قبورهما يرفه عنهما العذاب ما لم ييبسا". قال: فسئل فيما عذبا، قال: "في النميمة

(١) الأثر ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (١٤٨/٤)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.
(٢) هو مرسل، وهو في منتخب كنز العمال (٢٧٢/٦) بهامش السند وعزاه للبيهقي في "إثبات عذاب القبر".

والبول"[١].

وعن قتادة قال: "عذاب القبر ثلاثة ثلاث؛ ثلثه من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول".

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن عذاب القبر من ثلاثة: من الغيبة، والنميمة، والبول، وإياكم وذلك"[٢].

وعن يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: بينما رجل يسير في أرض إذ انتهي إلى قبر فسمع صاحبه يقول: "آه، آه". فقام على قبره، قال: "فضحك عملك وافتضحت"[٣].

---

(١) انظر ما سبق.

(٢) الحديث في "كنز العمال" برقم (٤٤٣٤٨).

(٣) أبي بكر البيهقي: إثبات عذاب القبر- تحقيق/ أ.د/عبدالحميد هنداوي- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- (١٧-١٦٦).

بعد الانتقال في منازل الآخرة من سكرات الموت إلى الحياة البرزخية في القبر لابد لنا من حديث عن أشراط الساعة وما يكون بين يديها من العلامات والأشراط والدلائل التي نطق بها الكتاب والسنة الصحيحة حتى نكون على بينة منها.

حكى البيهقي عن شيخه الحاكم أنه قال:" أول الآيات ظهورًا خروج الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها". وسيأتي في كلام الحاكم أيضًا أن خروج الدابة بعد طلوع الشمس مع توجيهه.

وكلها ذكرت في القرآن إما صريحًا أو إيماءً ، وذلك في قوله تعالى:﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**﴾ .

فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه :"ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانهالم تكن آمنت من قبل،الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها" .

الأنعام:١٥٨.

أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٨) وأحمد في "مسنده"(٢/٤٤٢) والترمذي: في "تفسير القرآن"، باب: ومن سورة الأنعام (٣٠٧٢) من طريق: فضيل بن غزون عن أبي حازم عن أبي هريرة...فذكره. وزاد فيه "أو كسبت في إيمانها خيرًا".

وأيضًا فقد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[١]، وفي قوله:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[٢] مع ما صح أنه هو الذي يقتله، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر.

ولكونه يلقب "بالمسيح" كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى -عليه الصلاة والسلام- مسيح الهدى.

بل قال البغوي في "تفسيره":"إن الدجال هو المراد بالناس في قوله تعالى:﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[٣] من إطلاق الكل على البعض".

خروج المسيح الدجال:

* فأما الدجال[٤] فأخباره تحتمل مجلدًا بحيث أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف.

* فمنها قوله ﷺ:"ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أو أمر أكبر من الدجال"[٥][٦]

---

(١) النساء:١٥٩.

(٢) الزخرف:٦١.

(٣) غافر:٥٧.

(٤) بفتح أوله والتشديد من الدجل وهو التغطية وسمى الكذاب دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بباطله.

(٥) والمراد من الحديث أنه أكبر فتنة وأعظم شوكة.

(٦) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٦) وأحمد في "مسنده" (٢٠/٤) من طريق: أيوب بن حميد بن هلال عن رهط منهم: أبو الدهماء وقتادة عن هشام بن عامر...فذكره.

* ومن الوارد فيه[١] مما قاله فيه أحد رواته الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن محمد المحاربي أحد أتباع التابعين المتوفى سنة خمس وتسعين ومائة: "أنه ينبغي أن يدفع إلى مؤدب الأبناء ليعلمه الصبيان في الكتَّاب"[٢].

* وكذا قال النووي وغيره: كان السلف يستحبون أن يلقن الصبيان أحاديث الدجال ليحفظوها، وترسخ في قلوبهم، ويتوارثها الناس[٣].

* قول أبي أمامة الباهلي ﷺ: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، وكان أكثر خطبته عن الدجال والتحرز منه، وكان من قوله ﷺ :" يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله[٤] ذرية آدم عليه السلام أعظم فتنة من فتنة الدجال، وإن الله تعالى لم يبعث نبيًّا بعد نوح عليه السلام[٥] إلا حذره أُمته، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم[٦] فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين العراق والشام، فيعيث يمينًا ويعيث

---

(١) أي في الحديث السابق.
(٢) سيأتي في الحديث الذي بعده.
(٣) تهذيب الأسماء(١/١٨٤).
(٤) أي: خلقهم.
(٥) أخرج هذه الرواية الحاكم في "المستدرك" (٤/٥٤٢-٥٤٣) وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٥/١٣٥) من طريق: عبدالله بن سراقة عن عبيدة بن الجراح وقال الذهبي في "التلخيص": صحيح. وجاء التصريح باسم نوح -عليه السلام- في حديث ابن عمر عند البخاري في "الجهاد والسير"، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي (٣٠٥٧) وعند مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر ابن صياد (٢٩٣١) ولفظه: "ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح".
(٦) كذا عند الحاكم وعند ابن ماجه "ظهرانيكم".

شمالًا. ألا يا عبادالله فاثبتوا، فإنه يبدأ فيقول: أنا نبي، وإنه لا نبي بعدي[(١)]، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، فإنه أعور يعني العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"[(٢)].

* وفي رواية[(٣)]: "أعور العين اليمنى"[(٤)].

* وفي أخرى: "ممسوح العين عليها ظفرة غليظة[(٥)]، وإن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يعني مفرقة "ك ا ف ر"[(٦)] يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب"[(٧)].

---

(١) سيأتي الكلام على ذلك وبيان ما يدعيه الدجال.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم (٤٠٧٧) وذكره الحافظ في "فتح الباري" (١١/١٧٩) وابن كثير في "تفسيره" (١/٥٨١)، وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه" (٨٨٤).

(٣) انظر ما قبله.

(٤) فإن قال قائل: كيف نجمع بين قوله ﷺ في هذه الرواية "أعور العين اليمنى" وما جاء عنه ﷺ "أعور العين اليسرى". **الجواب**: جمع القاضي عياض في "شرح مسلم" بين هاتين الروايتين فقال: تصحح الروايتان معًا بأن تكون المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة بالهمز أي: التي ذهب ضوؤها وهي العين اليمنى كما في حديث ابن عمر وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط هي الطافية بلا همزة وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى، وعلى هذا فهو أعور العين اليمنى واليسرى معًا فكل واحدة منهما عوراء أي: معيبة، فإن الأعور من كل شيء المعيب، وكلا عيني الدجال معيبة فإحداهما معيبة بذهاب ضوئها حتى ذهب إدراكها والأخرى بنتوئها اهـ. قال النووي: هو في نهاية الحسن. أي هذا الجمع بين الروايتين الذي قاله القاضي عياض. وانظر شرح النووي(١/٤٠٨) ط الشعب."وفتح الباري"(١٣/١٠٤-١٠٥).

(٥) هي بفتح الظاء المعجمة والفاء، وهي جلدة تغشى البصر، قال الأصمعي: لحمة تنبت عند طرف العين.

(٦) عند مسلم وغيره من حديث أنس بدون ذكر الألف.

(٧) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال (٢٩٣٤) وأحمد في

زاد في رواية: "جفال الشعر، وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستعن بالله وليقرأ فواتح سورة الكهف فيكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النار على إبراهيم عليه السلام" .

وفي رواية أخرى: "لأنا بما مع الدجال أعلم منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحدًا فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد" .

"مسنده" (٣٨٦/٥) من طريق: ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان...فذكره. والصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيها عمن أرد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك. وهناك من قال إنها مجاز وإشارة إلى سمات الحدوث عليه وهذا مذهب ضعيف. وانظر "النووي شرح مسلم"(٧٨٢/٥) ط الشعب بتصرف.

عند الحاكم وغيره "فليستغيث".

أخرج الشطر الأول منه وهو قوله "جفال الشعر..."إلخ: مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه(٢٩٣٤) وأحمد في "مسنده"(٣٩٧/٥) وابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم(٤٠٧١) من طريق: شقيق عن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه. والشطر الثاني من الرواية وهي قوله:"فمن ابتلى بناره..."إلخ. أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى(٤٠٧٧). والحاكم في "المستدرك"(٥٨٠/٤) والطبراني في "الكبير"(٧٦٤٤) من طريق: عمرو الحضرمي عن أبي أمامة الباهلي –رضي الله عنه- وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة".

والمعنى: يخفض رأسه إليه فيشرب منه.

أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب:ذكر الدجال وصفته وما معه(٢٩٣٤) وأحمد في "مسنده"(٣٨٦/٥) وأبو داود في "الملاحم"، باب:خروج الدجال(٤٣١٥) من طريق:ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه.

* وفي رواية: "فلا تهلكوا"[(١)].

* "ومن لقيه منكم فليتفل في وجهه"[(٢)].

* وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وبعثت لك أُمَّك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان على صورة أبيه وعلى صورة أُمه، فيقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار وحين يلقيها شقين[(٣)].

* زاد في رواية: "ويمشي الدجال بينهما ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن[(٤)] ثم يزعم أن له ربًّا غيري، ثم يبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله الدجال، والله ما كنت قط أشد بصيرة فيك مني الآن"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (١٠٦-نووي) وأحمد في "مسنده" (٣٩٣/٥) من طريق: ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه.

(٢) "ضعيف" تقدم تخريجه، انظر ضعيف ابن ماجه (٨٨٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي. وفيه "ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم" بدلا من "الآن".

(٤) قال الخطابي: فإن قيل كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد الكافر؟ فإن إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتر يدعي الربوبية؟

فالجواب: أنه على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر إذا لو كان إلهًا لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان وانظر فتح الباري (١٢٦/١٣).

(٥) قوله "ويمشي الدجال" أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

* زاد في رواية: "فيريد أن يقتله ثانيًا فلا يسلط عليه"[١].

* وفي رواية[٢]: "ثم يدعو رجلا ممتليًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك[٣]. فقال رسول الله ﷺ: ذاك الرجل أرفع أُمتي في الجنة[٤]، وكان بعض الصحابة يظن أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما مات علموا أنه غيره"[٥].

* "وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وأن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر، ويأمر الأرض أن تنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدرّه ضروعًا"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في "الحج"، باب: لا يدخل الدجال المدينة (١٨٨٢) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٧) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء في فتنة الدجال (٢٢٤٠) وابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى -عليه السلام (٤٠٧٥) من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه.

(٣) قلت: وفي حديث عبدالله بن معتمر "ثم يدعو برجل فيما يرون فيؤمر به فيقتل ثم يقطع أعضاءه كل عضو على حدة فيفرق بينها حتى يراه الناس ثم يجمعها ثم يضرب بعصاه فإذا هو قائم فيقول: أنا الله الذي أميت وأحيي. قال: وذلك كله سحر، سحر أعين الناس، ليس يعمل من ذلك شيئًا. قال الحافظ في "الفتح" (١٣/١٢٧): وهو سند ضعيف جدًّا.

(٤) وجاء عند مسلم وغيره "هذا أعظم شهادة عند رب العالمين" وفي رواية: "ذلك الرجل أقرب أمتي مني وأرفعهم درجة" وانظر فتح الباري (١٣/١٢٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى -عليه السلام(٤٠٧٧) وقد تقدم.

(٦) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى -عليه السلام

* وفي رواية[1]: "أنه يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم يدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنه[2]، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل"[3].

* "وإن من فتنته أن يركب حمارًا ما بين أذنيه أربعون ذراعًا[4]، وأنه يصيح ثلاث صيحات يسمعهن أهل المشرق وأهل المغرب"[5].

تحريم مكة والمدينة عليه:

* وأنه لا يبقى شيء إلا وطئه، وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من

(٤٠٧٧) ونعيم بن حماد في "الفتن" (٥٣٧/٢) من حديث أبي أمامة الباهلي.

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- وتقدم تخريجه.

(٢) وفي مسلم "عنهم".

(٣) قال ابن العربي: والذي يظهر على يدي الدجال من الآيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه والجدب على من يكذبه واتباع كنوز الأرض له وما معه من جنة ونار ومياه تجري كل ذلك محنة من الله واختبار ليهلك المرتاب وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف ولهذا قال ﷺ "لا فتنة أعظم من فتنة الدجال" وكان يستعيذ منها في صلاته تشريعًا لأمته. وانظر فتح الباري(١٢٧/١٣).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده"(٣٦٧/٣) والحاكم في "المستدرك"(٥٧٥/٤) والديلمي في "الفردوس"(٨٩٢٢) من حديث جابر بن عبدالله. قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله "على شرط مسلم". وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(١٤٦/١٥) من طريق: عبدالملك بن ميسرة عن حوط العبدي قال: قال عبدالله: إن أذن حمار الدجال لتظل سبعين ألفًا" قال الذهبي: حوط مجهول، والخبر منكر. ويروى في حديث آخر "سبعون باعًا" قال ابن كثير: ولا يصح.

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٧٣/٤) من حديث عبدالله بن عمر قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله "منكر".

نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة صلتًا بالسيوف، حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة .

وفي رواية: "وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد إنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ وذكر ما تقدم في قتله .

فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه تنفي المدينة يومئذ الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد

أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى (٤٠٧٧).

أخرجه البخاري في "الفتن"، باب: لا يدخل الدجال المدينة (٧١٣٢) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه.

وفي رواية عند مسلم (١١٣-نووي) من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه: "يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين. فتلقاه المسالح، مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحد دونه. قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل: كيف تجمع بين قوله ﷺ: "ترجف المدينة ثلاث رجفات" وبين قوله ﷺ: "لا يدخل المدينة رعب المسيح"؟

الجواب: ويجاب عن ذلك بأن الرعب المنفي في الحديث هو الخوف والفزع حتى لا يحصل لأحد فيها بسبب نزوله قربها شيء منه، أو هو عبارة عن غايته وهو غلبته عليها، والمراد بالرجفة الإرفاق وهو إشاعة مجيئه وأنه لا طاقة لأحد به، فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق فيظهر حينئذ تمام أنها تنفي خبثها، وانظر "فتح الباري" (١١٤/١٣).

يدعى ذلك اليوم يوم الخلاص[1].

نزول المسيح عليه السلام:

* قالت أُم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين الناس[2]؟ قال: هم يومئذ قليل وجلهم يومئذ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فيسير الدجال حتى ينزل فيها فيحاصرهم فبينما هو محاصرهم إذ نزل عيسى عليه السلام حين يدخل ذلك الإمام في صلاة الغداة فإذا رأى الإمام عيسى عليه السلام عرفه فيرجع القهقري ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي عيسى عليه السلام وراءه فإذا سلم ذلك الإمام قال عيسى عليه السلام: افتحوا وأقيموا الباب فيفتح ووراؤه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف مُحَلًّى وساج فإذا نظر إليه ذاب كما يذوب الملح في الماء وانماع ثم ولى هاربًا فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك لضربة لن تفتني بها فيدركه عيسى عليه السلام عند باب لُدٍّ الشرقي فيقتله ويهزم الله عز وجل يهوده ويقتلون أشد القتل فلا يبقى شيء مما خلق الله دابة ولا شجر ولا حجر يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فيقول: يا عبدالله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه لا ينطق، ويقال: إنه من شجرهم[3].

---

(١) أخرج هذا اللفظ ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه. وأما ذكر الرجفات الثلاث فأخرجه البخاري في "الفتن"، باب: ذكر الدجال (٧١٢٤) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: قصة الجساسة (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه. وأما تسمية اليوم بيوم الخلاص فتقدم في "سنن ابن ماجه" من حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- وجاء في حديث محجن بن درع كما أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٣٨/٤).

(٢) أخرج مسلم (٢٩٤٥) عن جابر بن عبدالله عن أم شريك قالت: "يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم قليل".

(٣) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى (٤٠٧٧) من حديث

* وفي رواية: "فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر فإذا رفعه تحدر منه مثل الجمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله"[١].

* قال رسول الله ﷺ: "فيكون عيسى عليه السلام في أُمتي حكمًا عدلا وإمامًا مقسطًا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحنش فلا يضره وتُفِرُّ الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها يملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد غير الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفاثور[٢] الفضة تنبت نبتها كعهد آدم عليه السلام حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الفرس بالدريهمات ويكون الثور بكذا وكذا من المال فقيل: يا رسول الله، ما يرخص الفرس؟ قال: لا يركب لحرب أبدًا، قيل: فما يغلي الثور؟ قال: تحرث الأرض كلها"[٣].

وإن أيامه أربعون سنة فسنة كنصف سنة سنة وكثلث سنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم وآخر أيامه كالشررة فيصبح أحدكم على

أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- باختلاف يسير في الألفاظ.

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه.

(٢) الفاثور: الخوان. وقيل هو: طست أو جام من فضة أو ذهب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه.

باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي، قيل: يا رسول الله، فكيف نصلي في هذه الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال ثم تصلون[١].

وفي رواية: "قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره[٢]، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح[٣].

ذكر سنوات الشدائد:

* وإن قبل خروجه سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله في السنة الثالثة فلا تمطر قطرة ويأمر الأرض فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله. قيل: يا رسول الله، فما يعيش الناس إذا كان ذلك؟ قال: التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير يجري ذلك مجرى الطعام"[٤].

* وكان أبو أمامة رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث يقول: وما نسيته أكثر[٥].

---

(١) انظر ما قبله.

(٢) قال القاضي عياض: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، وقالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.(النووي شرح مسلم٥/٧٨٧ط الشعب).

(٣) تقدم وهو عند مسلم من حديث النواس بن سمعان –رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى (٤٠٧٧).

(٥) حديث أبي أمامة الباهلي –رضي الله عنه– تقدم تخريجه مرارًا وقد جعله المصنف أصلا في هذا الباب وزاد عليه ونقص كما أشار هو بذلك.

ولا بأس بالإشارة لشيء من غريب هذا الحديث وفوائده:

فذُرا بالمعجمة وخَلةَ بالفتح والمعجمة، أي: أخذ في طريق بين الشام والعراق، وزعم بعضهم أنه يروى بالحاء المهملة وضم اللام قال: وكأنه يريد حلوله وليس بجيد.

ويعيث بالمثلثة، أي: يفسد فأصل العيث الفساد.

واثبتوا هو أمر من الثبات وتحريض على عدم التزلزل ومفارقة هذا الدين القيم والإعراض عن هذه التمويهات والتوهمات وفي التنزيل ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ ، وفي الرواية الأخرى: "ولا تهلكوا" يعني: إن لم تثبتوا[٢].

والطافئة بالهمزة وغيرها فالمهموزة التي ذهب نورها، وغير المهموزة التي نتأت وطفئت ثم إنه لا تنافي بين اختلاف الروايتين في محل العور؛ إذ العور في اللغة العيب، وعيناه طافية بلا همزة ظاهرة ناتئة.

والجُفَال الكثير، أي: الكثير الشعر.

والجَزلتان: القطعتان بالفتح وحكي الكسر، ومعنى رمية الغرض: أن يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض، ولذا جاء أنه يمشي بينهما.

والسارحة: الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى، ومعنى تروح، أي: ترجع.

والذُّرا: بضم المعجمة الأعالي والأسنمة وهو جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

وأسبغه: بالمهملة ثم المعجمة، أي: أطوله لكثرة اللبن، وكذا وأمده.

البقرة: ٦٠.

تقدم تخريجه.

خواصر: جمع خصر، وذلك لكثرة اقتلابها من الشبع.

* ويعاسيب النحل: هي ذكورها، والمراد جماعتها لا ذكورها خاصة ولكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته.

* والظُّرَيب: بالمعجمة تصغير ظرب، ككتف واحد الظراب الجبال الصغار.

* والسبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

* والساج: الطيلسان، وقيل: بخصوص المقور ينسج كذلك، وفي "الصحيح": "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة".

* وانساخ: قريب من معنى ذاب.

* وباب لُدٍّ: هي بلد قريب من بيت المقدس.

* والغرقد: ضرب من شجر العضاه شجر أُم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك.

* والمنارة: بفتح الميم موجودة اليوم كما قال النووي [(١)] شرقي دمشق بكسر المهملة وفتح الميم على المشهور، وقيل: بكسر الميم.

* وهذا الحديث من جملة فضائل دمشق ونزوله عليه السلام عندها في عدة أحاديث.

* منها عن أوس بن أوس الثقفي بلفظ: "عليه مُمَصرتَان كأنما يقطر رأسه ماء" [(٢)].

---

(١) النووي شرح مسلم (٥/٧٨٨) ط الشعب.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده"(٢/٤٠٦) وأبو داود في "الملاحم"، باب: خروج الدجال(٤٣٢٤) والحاكم في "المستدرك"(٢/٥٩٥) من حديث: أبي هريرة -رضي الله عنه. قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص". وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة"(٢١٨٢).

* وفي لفظ: "ينزل بين ممصرتين".

* والمُمَصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة.

* ولا ينافيه ما عند الطبراني عن حذيفة رفعه أنه ينزل بإيلياء فذاك أول[1].

* ويروى عن ابن عائش الحضرمي أنه يخرج عند المنارة البيضاء عند الباب الشرقي ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقيت شيئًا لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم وتخرج اليهود والنصارى من المسجد ثم يخرج عيسى عليه السلام بمن معه من أهل دمشق يتبع الدجال إلى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقًا قد حصره الدجال قال: فيأمر عيسى عليه السلام بفتح الأبواب ويتبعه حتى يدركه بباب لُدٍّ ويذوب كما يذوب الشمع ويقول عيسى: إن لي فيك ضربة فيضربه فيقتله الله على يديه ثم يمكث في المسلمين ثلاثين سنة أو أربعين ويهلك الله على يديه يأجوج ومأجوج فلا يبقى منهم عين تطرف وترد الأرض إلى بركاتها حتى إن العصابة يجتمعون على العنقود وعلى الرمانة وينزع من كل ذات حُمَةٍ حُمَتها يعني سمها حتى إن الحية تكون مع الصبي، والأسد مع البقرة فلا يضران شيئًا ثم يبعث الله ريحًا طيبة[2] تقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس تقوم عليهم الساعة.

* والمهرودتان: بالدال المهملة في الأكثر والمعنى ثوبان مصبوغان

---

(1) أخرجه نعيم بن حماد في "الفتن" (١٥٩١).

(2) وفي صحيح مسلم (٧٩١/٥) ط الشعب "فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".

بالورس ثم بالزعفران، وقيل: هما شقتان والشقة نصف الملاءة.

* والجُمان: بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من فضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمي الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء والحسن.

* ولا يحل: بكسر الحاء، أي: لا يمكن ولا يقع.

* ونفسه: بفتح الفاء، أي: لا يجد ريح نفسه إلا مات.

* ويدق الصليب ويقتل الخنزير[1]، أي: يبطل دين النصرانية، ويكون الدين واحدًا، فلا يعبد غير الله، زاد في رواية أخرى: مع الخنزير القرد[2].

* ووضع الجزية، أي: لعدم بقاء أحد يؤديها فإنه عليه السلام لا يقبل إلا الإسلام[3].

* وترك الصدقة لكثرة إفاضة المال بحيث يدعى إليه فلا يوجد من يقبله؛ وذلك لنزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم؛ وحينئذ

---

(١) قال الحافظ: (٥٦٧/٦): أي: يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس ويستفاد منه أيضًا تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل.

(٢) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١٣٤٢) وقال الحافظ في "الفتح" (٥٦٧/٦) وإسناده لا بأس به.

(٣) قيل: معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك. وتعقبه النووي بقوله: الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام. وقال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا [فتح الباري ٥٦٧/٦].

تخرج الأرض كنوزها وتقيء أفلاذ كبدها، وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة، ولا يتقرب إلى الله حينئذ إلا بالعبادة من صلاة وصوم وغيرهما من شرائع الدين لا بالتصدق بالمال للاستغناء، بحيث كما صح تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها .

ورفع الشحناء والتباغض؛ لفقد أسبابهما غالبًا.

والحُمَةُ: بالتخفيف السم، أي: ينزع سم كل دابة.

ووضعت الحرب أوزارها، أي: انقضى أمرها وخفت أثقالها حيث لم يبق قتال.

والمعنى في سلب قريش ملكها، أي: لا يصير لها مع نبي الله عيسى اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يكون حينئذ معارضًا لقوله ﷺ: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان" .

وفاثور: هو بالفاء، الخوان يتخذ من الرخام ونحوه، قال الأغلب العجلي: إذا انجلى فاثور عين الشمس.

يقال: هم على فاثور واحد، أي: على مائدة واحدة ومنزلة واحدة،

السجدة هي السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة وتطلق ويراد بها الركعة.

ومعنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد. وفيه إشارة إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير (فتح الباري ٦/٥٦٨).

أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء"، باب: نزول عيسى بن مريم –عليهما السلام (٣٤٤٨) ومسلم في "الإيمان"، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا ﷺ (١/٣٧٠) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه.

أخرجه البخاري في "الأحكام"، باب: الأمراء من قريش (٧١٣٩) من حديث جبير بن مطعم –رضي الله عنه.

والفاثور أيضًا موقع، قال الجوهري: وأضافه للفضة لصفائها وقبولها لما يلقى فيها.

*ومن فوائده الرد على الحرالي المغربي الزاعم أنه استخرج من علم الحرف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها مع أن هذه تحديدات وعلوم استأثر الله بها على سائر أنبيائه ورسله فضلا عن من دونهم [١].

*ومنها أن الرجل الذي يأمر الدجال بقتله وينشر بالمنشار -بالياء فيهما، وقيل: النون - أو يقطع بالسيف جزلتين على اختلاف الروايتين.

*قال أبو إسحاق ابن سفيان راوي "صحيح مسلم" عنه: "يقال: إنه الخضر" [٢]، وكذا قال معمر في "جامعه" وهذا مشي منهما على أنه حي، وذهب إليه جماعة كثيرون، ومنهم ابن الصلاح والنووي [٣].

---

(١) وقد وقع مثل ذلك في هذا العصر فخرج علينا من يزعم انقضاء عمر أمة الإسلام وحدد عمرها بألف وأربعمائة سنة تزيد قليلا ثم حدد هذا القليل ووضع له غاية ونهاية وهي ألا تزيد الأمة على الألف أكثر من خمسمائة عام مستدلا على ذلك بأدلة من السنة وغيرها وكلام العلماء عليها. ولكن لم يسلم له ذلك فقد وقع الكاتب في غلط شديد حيث أن حساب عمر الأمة أمر من أمور الغيب التي استأثر الله بعلمها كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...﴾ الآية. أيضًا لم يأت في ذلك خبر عن المعصوم ﷺ وانظر تفصيل ذلك في كتاب "الإفحام لمن زعم انقضاء عمر أمة الإسلام" د/عبدالحميد هنداوي.

(٢) أخرجه مسلم في "الفتن"، باب: ذكر الدجال (٧٩٣/٥) ط الشعب.

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣٢٦/١) من طريق الدارقطني: حدثنا محمد بن الفتح القلانسي حدثنا العباس بن عبدالله الرومي، حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال. وقال: وهذا منقطع وغريب. وقال ابن حجر في "الزهر النضر" ص(٥٢) بعد أن ذكر ما رواه الدارقطني في "الأفراد": رواد ضعيف ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما. وقد كثرت أقوال العلماء حول حياة الخضر ومماته والصحيح

ولا مانع من الجمع بين الروايتين النشر والقتل وجوّز بعضهم أن يكونا رجلين(١).

إلحاق بيت المقدس بمكة والمدينة:

ومنها إلحاق بيت المقدس بمكة والمدينة في عدم دخول الدجال لظاهر قوله: افتحوا الباب الذي الدجال من ورائه، ثم وجدت ذلك صريحًا في كتاب "باعث النفوس على زيارة القدس المحروس" للإمام شيخ الإسلام البرهان إبراهيم الفزاري ابن الفركاني فحكى في أثناء فضائله قوله: ويمنع الله عز وجل عدو الله الدجال الدخول إلى بيت المقدس ويغلب على الأرضين كلها إلا بيت المقدس ومكة والمدينة. انتهى.

بل عند أبي جعفر الطبري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص استثناء الكعبة وبيت المقدس من دخوله لهما(٢). زاد الطحاوي: "ومسجد الطور" رواه من حديث جنادة بن أبي أُمية عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وفي بعض الروايات: "فلا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فإن الملائكة تطرده عنها"(٣).

الذي عليه إجماع المحققين من العلماء أنه مات وأنه لو كان حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ وانظر الفتح (٥٣٧/٦) و"الزهر النضر في نبأ الخضر" لابن حجر.

(١) قال الحافظ: "والأصل عدم التعدد، ورواية المنشار تفسر رواية الضرب بالسيف، فلعل السيف كان فيه فلول فصار كالمنشار، وأراد المبالغة في تعذيبه بالقتلة المذكورة، ويكون قوله: فضربه بالسيف مفسرًا لقوله: أنه نشره بالمنشار، وقوله: فيقطعه جزلتين إشارة إلى آخر أمره لما ينتهي نشره" [الفتح:١٠٢/١٣].

(٢) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٥٠/٧) وقال: رواه الطبراني وغيره وفيه من لم أعرفهم.

(٣) وهو عند أحمد في "مسنده" من حديث جنادة بن أمية الأزدي ولفظه أنه قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول

*ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث سمرة بن جندب مرفوعًا: "وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة ثم يحاصر بيت المقدس وينزل عيسى عليه السلام فيقتله"(١).

*وعلى كل حال فالمقيم بواحد منها عصمته من الله عز وجل وإلا فقد ثبت أنه يخرج إليه كل منافق ومنافقة(٢).

*بل يروى أن أكثر أتباعه النساء نسأل الله التوفيق وإصلاح فساد القلب(٣)(٤).

*وأما ما يروى عن معاوية بن حيدة رفعه: "إذا كان آخر الزمان فعليكم

الله ﷺ يذكر في الدجال...فذكره. وفيه "وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى". والحديث ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٤٣/٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٥١/١٥) وأحمد في "مسنده" (١٧/٥) والحاكم في "المستدرك" (٣٣٠/١) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص" وذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٤١/٧) وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقه ابن حبان.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) والحديث أخرجه أحمد في "مسنده" (٦٦/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة -واد قريب من المدينة- فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا، مخافة أن تخرج إليه" وقال الشيخ أحمد شاكر (٥٣٥٣):إسناده صحيح. والحكمة من كون النساء أكثر أتباع الدجال هي سرعة تأثرهن به وغلبة الجهل عليهن.

(٤) ويروى أيضًا أن أتباع الدجال أولاد المومسات وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(١٥٩/١٥) عن واصل عن أبي وائل قال: أكثر أتباع الدجال اليهود وأولاد المومسات.

بالشام فإنه من مات بالشام فكأنما مات ببيت المقدس"، وعن أبي هريرة رفعه: "إذا وقعت الفتنة في مشارق الأرض ومغاربها فعليكم بعسقلان" فنعم للرباط وهو في أشباه لهما فلا يثبت.

* نعم ثبت: "إن الله قد تكفل لي بالشام وأهله"[1].

* وكذا جاء : معقل المسلمين من الملاحم دمشق[2].

ومن الدجال ببيت المقدس[3].

ومن يأجوج ومأجوج الطور[4]، ومع هذا كله، فالمحفوظ من حفظه الله وثبته.

* ومنها تعيين الإعلام باختفاء اليهود بأيام -عيسى عليه السلام، فالحديث في "الصحيحين"[5] اجتماعًا وانفرادًا عن جماعة من الصحابة بدون تعيين فليقيد بما هنا.

* ومنها كون السنين الخداعات قبله، ويمكن أن تكون هي الوارد أنه يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن،

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/١١٠) والحاكم في "المستدرك" (٤/٥١٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي في "التلخيص".

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/١٩٧) وأبو داود في "الفتن والملاحم"، باب: في المعقل من الملاحم" (٤٢٩٨) والحاكم في "المستدرك" (٤/٤٨٦) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص". وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (٣٦١١).

(٣) تقدم من حديث سمرة بن جندب عند أحمد والحاكم.

(٤) تقدم من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- وهو عند مسلم.

(٥) تقدم تخريجه.

ويتكلم فيها الرويبضة، أي: الرجل التافه في أمر العامة [(١)]، وهو المشار إليه بكون زعيم القوم أرذلهم وفاسقهم وبذم إمرة السفهاء سيما وقد ثبت "إذ وسد الأمر [(٢)] إلى غير أهله فانتظر الساعة" [(٣)].

*فلا مانع من كون سببها الجدب، وقد فسر خداعها بكثرة الأمطار فيها وقلة الريع؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف، ويشهد له ما ثبت "ليست السنة ألا تمطروا، ولكن السنة [(٤)] أن تمطروا ثم لا تنبت الأرض شيئًا" [(٥)].

*وعن أنس قال: "كنا نتحدث ألا تقوم الساعة حتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض" [(٦)].

عودة إلى ذكر المسيح عيسى عليه السلام، وعدّه في الصحابة:

*ومنها عد عيسى عليه السلام في الصحابة، وهو وإن اشترك مع غيره من

---

(١)أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٢٢٠)، وابن ماجه في "الفتن"، باب: شدة الزمان (٤٠٣٦) والحاكم في "المستدرك" (٤/٥١٢) من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣٢٦١).

(٢)وسد الأمر: أي: أسند إليه وجعل لغير أهله والمعنى أن ذلك يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة أشراط الساعة.

(٣)أخرجه البخاري في "العلم"، باب: من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه (٥٩) وأحمد في "مسنده" (٢/٣٦١) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه.

(٤)المراد بالسنة هنا القحط، ومنه قوله تعالى: **﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾**.

(٥)أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة (٢٩٠٤) وأحمد في "مسنده" (٢/٣٥٨) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه.

(٦)أخرجه أحمد في "مسنده"(٣/٢٨٦) والحاكم في "المستدرك"(٤/٥٤٠) وأبو يعلى في "مسنده"(٣٥٢٧) من حديث أنس –رضي الله عنه. قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وذكره الهيثمي في "المجمع"(٧/٣٣٠) وقال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الجميع ثقات.

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم في رؤيته ﷺ ليلة الإسراء فقد اختص بائتمامه بواحد من الأُمة المحمدية وحكمه بشريعته ﷺ ونزوله في الأرض وكونه على أحد القولين رفع وهو حي، بل قال بعضهم: إنه لما وجد في الإنجيل فضل الأمة المحمدية إذ قال: ﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ**﴾[1] دعا الله أن يجعله من أُمة محمد ﷺ فاستجيب دعاؤه ورفع إلى السماء إلى أن ينزل آخر الزمان مجددًا لما درس من دين الإسلام ودين محمد -عليه الصلاة والسلام. انتهى[2].

* ولذا ذكره في الصحابة الذهبي ثم شيخنا، وحينئذ فهو أفضل الصحابة مطلقًا وآخرهم موتًا.

* وقد ألغز التاج السبكي حيث قال في قصيدته التي بآخر القواعد:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من ... خير الصحاب أبي بكر ومن عمر

ومن علي ومن عثمان وهو فتى ... من أمة المصطفى المختار من مضر[3]

* قال النووي رحمه الله: إذا نزل عيسى عليه السلام كان مقررًا للشريعة المحمدية لا رسولا إلى هذه الأمة.

* زاد غيره: "ويكون قد علم بأمر الله تعالى في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم بين الناس والعمل به في نفسه".

---

(١) الفتح:٢٩.

(٢) قال الحافظ في "الإصابة"(٥/٥٢): ويتجه ذكر عيسى خاصة -أي في الصحابة دون غيره من الأنبياء- لأمور اقتضت ذلك أولها أنه رفع حيًا وهو على أحد القولين والثاني: أنه ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ويحكم بشريعة محمد -ﷺ- فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي.

(٣) انظر "الإصابة"(٥/٥٢).

*ثم قال النووي:"يصلي وراء إمام هذه الأمة تكرمة من الله تعالى لها من أجل نبيها".

* وفي "الصحيح": "كيف بكم إذا نزل عيسى بن مريم وإمامكم منكم"[١].

* قال: "وقد جاء أنه يتزوج بعد نزوله ويولد له ويدفن عند النبي ﷺ اه.

* يعني: في الحجرة النبوية مع النبي ﷺ بعد صلاة المسلمين عليه، ويروى عن عبدالله بن عمر ورفعه: "ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيتزوج ويولد له ويمكث خمسًا وأربعين سنة ويُدفن معي في قبري فأقوم أنا وهو من قبر واحد بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما" فاختلف في مدة إقامته في الأرض بعد نزوله آخر الزمان.

* فقيل: سبع سنين، وقيل: أربعين.

* ووقع عند أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه: "أنه يمكث في الأرض أربعين سنة"[٢]، وهو عند أبي داود والطبراني في "الأوسط"، وقد لا ينافيه حديث ابن عمر إن ثبت بحمله على إلغاء الكسر، وقيل غير ذلك.

* ومنها أنه يستدل بقوله: "تقدرون له" على مشروعية تعلم الميقات ليعلم به دخول وقت الظهر مثلا والأيام الطويلة والقصيرة بالنسبة لغير أيام الدجال بحيث يصلي صلوات السنة أو الشهر في ذلك اليوم[٣].

عودٌ إلى ذكر الدجال اللعين:

* ومنها أنه ثبت أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تفسير ذلك.

(٤) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: ذكر ابن صياد (٧٧٩/٥) ط الشعب، وأحمد في "مسنده" (٢٨٣/٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

* وإنه يخرج عند فتح المسلمين القسطنطينية[1][2].

* وأنه يخرج من قبل المشرق جزمًا[3].

---

(١) القسطنطينية: هي بضم القاف، وإسكان السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون، وهي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم (النووي ٧٧٩/٥).

(٢) قد ورد ذلك في عدة أحاديث:

(أ) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ "عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال" ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدث ثم قال: إن هذا لحق كما أنك هاهنا، أو كما أنك قاعد، يعني معاذ بن جبل. والحديث أخرجه أبوداود في "الملاحم"، باب: أمارات الملاحم (٤٢٩٤) وابن ماجه في "الفتن"، باب: الملاحم (٤٠٩٢).

(ب) حديث أبي هريرة عند مسلم (٧٤٧/٥) ط الشعب. وفيه: "فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذا صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم...الحديث"

(ج) وعن يحيى بن سعيد عن سليمان بن عيسى قال: "بلغني أن الدجال يخرج بعد فتح القسطنطينية وبعدما يقيم المسلمون فيها ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرا. أخرجه نعيم بن حماد في "الفتن" (١٤٨٦).

(٣) جاء في عدة أحاديث أيضًا منها:

(أ) عن أبي هريرة مرفوعًا "يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك. أخرجه مسلم(١٣٨٠).

(ب) وفي رواية عنه "يخرج الدجال من هاهنا وأشار نحو المشرق" أخرجها ابن حبان في "صحيحه" (٦٧٩٢) وقال: قول أبي هريرة "وأشار نحو المشرق" أراد به البحرين؛ لأن البحرين مشرق المدينة وخروج الدجال يكون من جزيرة من جزائرها لا من خراسان. والدليل على صحة هذا أنه موثق في جزيرة من جزائر البحر على ما أخبر تميم الداري وليس بخراسان بحر ولا جزيرة.

(ج) وعنه أيضًا قال: حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق "إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة...الحديث. أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٦٨١٢).

ثم جاء أنه يخرج من خراسان[١] ومن أصبهان[٢].

ادعاؤه الإيمان والصلاح:

* وأول شيء يدعيه الإيمان والصلاح.

* فعند ابن السكن من حديث غيلان مولى رسول الله ﷺ قال: "يخرج الدجال فيدعو الناس إلى العدل وإلى الحق فيما يرونه فلا يبقى مؤمن ولا كافر إلا اتبعه وهم لا يعرفونه فبينما المؤمنون في همٍّ من ذلك إذ خسفت عيناه وظهر بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن فعند ذلك فارقه المؤمنون واتبعه الكافرون"[٣] اهـ.

(هـ) عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يخرج في بقيتهم الدجال". أخرجه الحاكم في "المستدرك" وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وذكره الهيثمي في "المجمع"(٦/٢٢٨) ورواه أحمد وشهر فيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) أما خروجه من خراسان فجاء عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- مرفوعًا قال: "إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة" أخرجه أحمد في "مسنده" (١/٧) وقال أحمد شاكر (٣٣): إسناده صحيح.

(٢) جاء ذلك عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان" أخرجه أحمد في " مسنده " (٣/٢٢٤). وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: "إن يخرج وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم ليس بأعور إنه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة" أخرجه أحمد في "مسنده" (٦/٧٥). وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال من قبل أصبهان". وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٣٣٩) وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" عن محمد بن محمويه الجوهري ولم أعرفه.

(٣) ذكره ابن حجر في "الإصابة" (٥/٣٣٧).

ثم يدعي النبوة ثم الإلهية .

وكان موجودًا في العهد النبوي وأنه محبوس في بعض الجزائر[٢].

قال كعب الأحبار : "يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة، ثم يطلب فلا يدري أين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطي الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فيتفرق عنه الناس فيأتي النهر فيأمره أن يسيل إليه فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس ويأمر جبل طور سيناء وجبل ذي قا أن ينتطحا فينتطحا ويأمر الريح أن تثير سحابًا من البحر فتمطر الأرض ويخوض البحر في اليوم ثلاث خوضات لا تبلغ حقويه وإحدى يديه أطول من الأخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد إلى غير ذلك مما في بسطه طول" .

أخرج الطبراني من طريق سليمان بن شهاب قال: "نزل عليَّ عبدالله بن المعتمر وكان صحابيًا فحدثني عن النبي ﷺ أنه قال: "الدجال ليس به خفاء يجيء من قبل المشرق فيدعو إلى الدين فيتبع ويظهر، فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحث على ذلك، ثم يدعي أنه نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه، فيمكث بعد ذلك فيقول: "أنا الله، فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان" قال الحافظ في "الفتح" (٩٨/١٣): وسنده ضعيف.

إشارة إلى حديث تميم الداري وهو عند مسلم.

ذكره ابن حجر في "الفتح" (٩٢/١٣).

إليك بعض فوائد ومسائل متعلقة بالدجال:

-**صفة الدجال:** مما سبق من الأحاديث الواردة في ذكر الدجال التي ذكرها المصنف وأيضًا مما لم يذكره تتلخص صفات الدجال في الآتي: أنه رجل، شاب، أحمر، قصير،

أفجح، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة -أي ليست بارزة- ولا جحراء- أي: ليست غائرة منجحرة في نقرتها- كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، وأنه عقيم لا يولد له (انظر أشراط الساعة- يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل).

-**الوقاية من فتنة الدجال:** لقد أرشد النبي ﷺ أمته بعض الإرشادات حتى تنجو من فتنة الدجال وتكون وقاية لها ومع ذلك فالأمر كما قال المصنف: فالمحفوظ من حفظه الله وثبته فمن هذه الإرشادات:

(١) التعوذ من فتنة الدجال في الصلاة وغيرها: روى ذلك البخاري في "الأذان"، باب: الدعاء قبل السلام (٨٣٢) ومسلم في "المساجد ومواضع الصلاة"، باب: التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم (٢٣٣/٢) ط الشعب. من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: "سمعت رسول اللهيستعيذ في صلاته من فتنة الدجال". وروى مسلم أيضًا من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" قال مسلم بن الحجاج بلغني أن طاوسًا قال لابنه أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعد. قال النووي: وظاهر كلام طاوس -رحمه الله- أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته. وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه. والله أعلم. قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه. والله أعلم. قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (٩٥/١٠): قال شيخنا الحافظ أبوعبدالله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ.

(٢) **حفظ آيات سورة الكهف:** أخرج مسلم في "صلاة المسافرين وقصرها"، باب: فضل سورة الكهف (٤٥٩/٢) ط الشعب من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- "أن النبي ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية: "من آخر الكهف" قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها قوله تعالى ﴿**أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا**﴾ ...الآية.

(٣) الابتعاد عنه فلا يراه: قال ابن كثير: ومن ذلك الابتعاد عنه فلا يراه؛ فإن من رآه افتتن، كما جاء في حديث عمران بن حصين: "من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن المؤمن ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ لما يبعث به من الشبهات" قلت: وهوحديث شاذ أخرجه الترمذي وانظر "الضعيفة" (١٣٣٦).

(٤) سكنى المدينة النبوية ومكة: وقد تقدمت الأحاديث في ذلك.

-الرد على منكري ظهور الدجال:

"وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئًا، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء؛ لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ [ابن كثير في "البداية والنهاية"- تحقيق د/عبدالحميد هنداوي- ط المكتبة العصرية(٩٢/١٠)]

وحتى نجيب على هذا الاعتراض من أصحاب العقول المريضة ننقل طائفة من كلام العلماء في إثبات خوارق الدجال وأنه حقيقة وليس خيالا.

قال القاضي عياض في "شرح النووي لمسلم (٧٨٠/٥) ط الشعب:

هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص يعينه، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي= =يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب، ومعه جنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره، ويقتله عيسى -عليه الصلاة والسلام، ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافًا لمن أنكره، وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافًا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقًا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس، لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفًا من أذاه؛ لأن فتنته عظيمة جدًا، تدهش العقول، وتحير الألباب مع سرعة مروره

وأما نزول عيسى عليه السلام فقد تقدم ما يحصل منه غرض السائل[1].

في الأمر، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة"[صحيح مسلم (٥/٧٨٠-٧٨١) ط الشعب].

-ما جاء في أبوي الدجال:

أخرج أحمد في "مسنده" من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "يمكث أبوا الدجال ثلاثين عامًا لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء، وأقله نفعًا، تنام عيناه، ولا ينام قلبه". ثم نعت أبويه، فقال: "أبوه رجل طويل، مضطرب اللحم، طويل الأنف، كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية -ضخمة-، عظيمة الثديين". قال: فبلغنا أن مولودًا من اليهود ولد بالمدينة،= =فانطلقت أنا والزبير بن العوام، حتى دخلنا على أبويه، فرأينا فيهما نعت رسول الله ﷺ، وإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة، له همهمة، فسألنا أبويه، فقالا: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا، ثم ولد لنا غلام أعور، أضر شيء، وأقله نفعًا. فلما خرجنا مررنا به، فقال: ما كنتما فيه؟ قلنا: وسمعت؟ قال: نعم، إنه تنام عيناي، ولا ينام قلبي. فإذا هو ابن صياد. وأخرجه الترمذي من حديث حماد بن سلمة، وقال: حسن غريب.

قال ابن كثير: بل هو منكر جدًا. والله أعلم[ابن كثير في "البداية والنهاية"(١٠/٩٧)].

قلت: والحديث فيه علي بن زيد وهو ضعيف في الحديث ولا يحتج به ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما.

-انقطاع خبر الدجال على المنابر علامة على خروجه:

أخرج عبدالله بن أحمد في "زوائد المسند" (٤/٧٢) عن الصعب بن جثامة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر". والحديث معلول بالانقطاع.

(١) الحكمة من نزول عيسى -عليه السلام- دون غيره من الأنبياء: قال الحافظ في "الفتح" (٦/٥٦٨): قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل إنه دعا الله لما

* ومما لم يتقدم قوله في "الصحيح": "ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم".

* فذلك إما حقيقة على ظاهره تبريكًا وبرًا أو أشار به إلى كشف ما يكونون فيه من الشدة والخوف ويحدثهم عليه السلام بدرجاتهم في الجنة[1].

* **تتمة**: صح عن حسان بن عطية أحد ثقات التابعين أنه قال: "لا ينجو من فتنة الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة"[2] فيحتمل رفعه، فإن مثله لا يقال رأيا، ويحتمل أنه أخذه عن بعض أهل الكتاب.

خروج يأجوج ومأجوج

وأما خروج يأجوج ومأجوج[3] وهم كما قال الله:﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾[4].

* وهم من بني آدم عليه السلام[5] ثم من بني يافث بن نوح[6].

رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال، فيقتله، والأول أوجه.

(1) انظر النووي "شرح مسلم" (٧٨٩/٥) ط الشعب.

(2) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧٧/٦) وقال الحافظ في "الفتح" (٩٢/١٣) وسنده حسن صحيح.

(3) يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، وقيل عربيان. وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجت النار أجيجًا: إذا التهبت. أو من الأجاج: وهو الماء الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته. وقيل من الأج: وهو سرعة العدو. وقيل: مأجوج من ماج؛ إذا اضطرب، وانظر"فتح الباري"(١١٤/٦).

(4) الأنبياء:٩٦.

(5) الدليل على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم -عليه السلام- ما أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء"، باب: قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير

* ثم قيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم، وقيل: من ولد آدم من غير حوى، وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلقوا منها.

* ورُدَّ بأن الأنبياء لا يحتلمون، وأجيب بأن المنفي أن يرى النبي في المنام أنه يجامع فيحتلم لا دفق الماء فقط، والأول المعتمد"[٢].

* وفي "فتاوى النووي" أنهم من ولد آدم لا من حوى عند جماهير العلماء فيكونون إخواننا لأب قال شيخنا: "ولم نر هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حوى قطعًا"[٣].

في يديك فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف...الحديث". ومنها حديث: عبدالله بن عمرو "أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم...الحديث". أخرج الحاكم طرفًا منه في "المستدرك" (٤/٤٩٠) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي. وذكره الهيثمي في "المجمع" (٨/٦): وقال رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" ورجاله ثقات. قال الحافظ في "الفتح" (١٣/١١٤): وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبدالله بن سلام مثله.

(١) والدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "ولد نوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة لا خير فيهم وولد لحام القبط والبربر والسودان" ذكره الهيثمي في "المجمع" (١/١٩٣) وقال: رواه البزار وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي عن أبيه فمحمد وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم صدوق وضعفه يحيى بن معين والبخاري، ويزيد بن سنان وثقه أبو حاتم فقال: محله الصدق، وقال البخاري: مقارب الحديث وضعفه يحيى وجماعة. وذكره الحافظ في "الفتح" (١٣/١١٤) وقال: في سنده ضعف. وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤/٤٦٣) من قول سعيد بن المسيب.

(٢) فتح الباري (١٣/١١٤).

(٣) المصدر السابق (١٣/١١٤).

* ويروى في المرفوع: "يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح"(١).

* ومن وجه آخر: "يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الذرية"(٢).

* ومن وجه آخر: "أنهم يجامعون ما شاؤوا ولا يموت الرجل منهم حتى يترك من ذريته ألفًا فصاعدًا"(٣).

* ويروى في "طولهم: "شبرًا شبرًا فأكبرهم وأطولهم ثلاثة"(٤).

* ويروى من الموقوف: "ذهب الناس وبقي النسناس"، فقيل: هم يأجوج ومأجوج(٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٣٨٥٥) وأبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن"(١١٠٦/٥) والديلمي في "الفردوس" (٥٢٣/٥) وابن عدي في "الكامل" (١٦٨/٦) وقال: منكر موضوع. وذكره الهيثمي في "المجمع" (٦/٨) وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه يحيى بن سعيد العفار وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٦٨٢٨) من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" (١١٣٣٤) من حديث أوس بن أوس.

(٤) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٢٧/٤) من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٥) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (١٣٤٢) وقال: قال في "المقاصد" لا أصل له في المرفوع ولكن عند أبي داود ومن جهته الخطابي في العزلة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- من قوله: "ذهب الناس وبقي النسناس فقيل له: وما النسناس؟ قال: قوم يتشبهون بالناس وليسوا بناس" وأخرجه بهذا اللفظ البيهقي في "الزهد الكبير" (٢١٩) من حديث أبي هريرة وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣٢٨/١) وذكره الذهبي في "السير" (٣٤٢/٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنه.

*وفي حديث للنواس بن سمعان مرفوع: "سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين"[1].

*ففي "الصحيح"[2] أن عيسى عليه السلام "بينما هو كذلك" فيما تقدم "إذ أوحى الله عز وجل إليه إني قد أخرجت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم" بل هم عاجزون عن دفعهم وطردهم "فحرز عبادي إلى الطور" أي: ضمهم فيه واجعله لهم حرزًا "ويبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربوا ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا مرة ماء" "ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر" بمعجمة وميم مفتوحتين "وهو جبل بيت المقدس" يعني: لكثرة شجره فالخمر الشجر الملتف، "فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم وهو مخضوب دمًا، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور"، أي: الحيوان المعروف والثور أيضًا القطعة من الأقط اللبن الجامد المستحجر "لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف" بنون ثم معجمة مفتوحة وآخره فاء وهو دود يخرج من أنوف الإبل والغنم واحدتها نغفة "وفي رقابهم فيصبحون فرسى" بفاء وسين مهملة مفتوحتين، أي: قتلى الواحد فريس وفرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها "كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلى ملأه زهمهم ونتنهم" يعني: أن الأرض تنتن من جيفهم "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله إليهم طيرًا كأعناق البخت" جمال طوال الأعناق "فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم

---

(١) تقدم من حديث النواس بن سمعان وهو عند مسلم.

(٢) أي: صحيح مسلم والحديث تقدم من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه.

يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر"، أي: بيت مدينة وقرية أو بادية فأهل البوادي يتخذون بيوتهم من وبر الإبل، وأهل القرى والأمصار يبنونها بالمدر الطين ونحوه "فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة" أي: كالمرآة -بكسر الميم- لصفائها ونظافتها أو الصفحة أو كالروضة أو غير ذلك "ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بِقِحْفِهَا" بكسر القاف شبهها بقحف الرأس وهو ما فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل "ويبارك في الرسل" بكسر الراء وسكون المهملة، أي: اللبن "حتى إن اللقحة الواحدة" أي: القريبة العهد بالولادة، "لتكفي الفئام" يعني: الجماعة الكثيرة من الناس "واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ" أي: الجماعة من الأقارب "وبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة" .

واختلف في المراد بقوله يتهارجون، فقيل: يتسافدون، وقيل: يتشاورون، والظاهر ما قال شيخنا أنه بمعنى يتقاتلون، أو أعم من ذلك، ويؤيد حمله على التقاتل تفسير الهرج في الحديث الآخر بالقتل، والله المستعان.

وأما خروج الدابة وخروجها في آخر الزمان من مكة إما من صدع

ذكر المصنف هنا حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- بطوله وأدخل فيه ابن الشرح من عنده.

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١٩/١٠): وقال ابن جريج عن أبي الزبير: أنه وصف الدابة، فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا، يخرج معها عصا

الصفا، وبه جزم غير واحد[١].

أو من المروة[٢]، أو من شعب أجياد[٣] أو من بعض أودية تهامة من وراء مكة[٤]، أو من مدينة قوم لوط[٥].

موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه. ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه...إلخ.

(١) جاء ذلك في حديث عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدًا ينادي ويجهر إلهي مرني أن أسجد لمن شئت قال: فتجتمع إليه زبانيته فيقولون يا سيدهم ما هذا التضرع فيقول: إنما سألت ربي -عز وجل- أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال: ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه". والحديث أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٩٤) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٨/٨) ورواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق وهو ضعيف. وفي رواية أخرى عنه "تخرج الدابة من صدع في الصفا جرى الفرس ثلاثة أيام لا تخرج ثلثها. أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٦٧/٧) ونعيم بن حماد في "الفتن"(٦٦٤/٢).

(٢) أخرج نعيم بن حماد في "الفتن" (٦٦٧/٢) والفاكهي في "أخبار مكة" (٢٣٦٠) عن عمر بن سهل عن مهدي بن عمران قال سئل أبو الطفيل وأنا عنده فقيل له من أين تخرج الدابة فقال: بلغني أنها تخرج من الصفا أو المروة".

(٣) ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١٨/١٠) عن عبدالله بن عمرو، أنه قال: تخرج الدابة من تحت صخرة بشعب أجياد، فتستقبل المشرق، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل الشام، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المغرب، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة، فتصبح بعسفان. قيل له: ثم ماذا؟ قال: ثم لا أعلم.

(٤) أخرج أبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن" (٧٠٠) ونعيم بن حماد في "الفتن" (٦٦٥/٢) عن قتادة أن ابن عباس كان يقول: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم يخرج من أودية تهامة.

(٥) ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١٨/١٠): عن وهب بن منبه، أنه حكى عن عزير النبي، أنه قال: تخرج الدابة من تحت سدوم يعني مدينة قوم لوط.

وتخرج كما في بعض المرفوعات أو الموقوفات ثلاث خرجات من الدهر، فمرة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني: مكة.

ثم تكمن زمانًا طويلا ثم تخرج مرة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية يعني: مكة، قال رسول الله ﷺ: "بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي تربو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعًا وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن ليقول: يا كافر اقض حقي، وحتى أن الكافر ليقول: يا مؤمن اقض حقي" .

وفي رواية عند أحمد: "تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلوا وجه المؤمن بالعصى حتى أن أهل

أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٣٠/٤) والطبراني في "الكبير" (٣٠٣٥) وأبو داود الطيالسي في "مسنده" (١٠٦٩) ونعيم بن حماد في الفتن (٦٦٦/٢) قال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وهو أبين حديث في ذكر الدابة وقال الذهبي: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد. وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٨) قال: رواه الطبراني وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك. قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١٨/١٠): هكذا رواه مرفوعًا -أي أبو داود الطيالسي- من هذا الوجه بهذا السياق، وفيه غرابة. ورواه ابن جرير من طريقين، عن حذيفة بن أسيد موقوفًا، ورواه أيضًا عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا وفيه أن ذلك في زمان عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن في إسناده نظر. فالله أعلم.

الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر"[١].

* وعن علي رضي الله عنه "أنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية وأنها تخرج حُضر الفرس -بمهملة مضمومة ثم معجمة، أي: عدو الفرس الجواد، أي: السابق الجيِّد- وما خرج ثلثها"[٢].

* وفي "النهاية" قيل: طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر[٣]، وقيل: هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جَمْع[٤] والناس سائرون إلى منى[٥].

* وقيل: من أرض الطائف، ومعها عصى موسى وخاتم سليمان -عليهما السلام- لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، تضرب المؤمن بالعصى وتكتب في وجهه مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر. وعن بعض المفسرين لها خلق عظيم تخرج من صدع في الصفا لا يفوتها أحد، تسم المؤمن فينير وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه كافر.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/٢٩٥) والترمذي (٣١٨٧) وابن ماجه (٤٠٦٦) ونعيم بن حماد في "الفتن" (٢/٦٦٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥/٢١٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) وجاء عن أبي هريرة أنه قال: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب. ذكره ابن كثير في "البداية" (١٠/١١٩).

(٤) الجمع: علم للمزدلفة، سميت به لأن آدم عليه السلام وحواء لما أهبطا اجتمعا بها.

(٥) أخرج نعيم بن حماد في "الفتن" وابن مردويه في "تفسيره" عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "إذا كان الوعد الذي قال الله **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾** قال: ليس ذاك حديثًا ولا كلامًا، ولكنه سمة تسم من أمرها الله به. فيكون خروجها من الصفا ليلة منى، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض، ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمرها الله فهلك من هلك، ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بأنطاكية". وانظر الدر المنثور(٥/٢١٧).

* وقيل: عن عبدالله بن عمرو بن العاص: "إنها الجساسة المذكورة في الحديث"[1].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما "أنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته العُقاب"[2].

* وعن بعض المتأخرين الأقرب أن يكون إنسانًا متكلمًا يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم فينقطعوا فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة لقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُم﴾[3].

طلوع الشمس من مغربها

* وأما طلوع الشمس من مغربها الذي قيل في حكمته: إن إبراهيم عليه السلام قال لنمروذ: ﴿فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[4]، وأن الملحدة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن؛ فيطلعها الله تعالى من المغرب لِيرُي المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكر هذا القول والذي قبله القرطبي في "تفسيره" (٢١٧/٧) وذهب إلى أن أولى الأقوال هو أنها فصيل ناقة صالح وهو أصحها واستدل بحديث حذيفة المتقدم وقال: موضع الدليل من هذا الحديث أنه الفصيل قوله: "وهي ترغو" والرغاء إنما هو للإبل وذكر كلامًا آخر. وتعقب عليه بما جاء في روايات أخرى أنها "تدنو" و"تربو" كما عند الحاكم والحديث الذي استدل به فيه رجل متروك تركه أحمد كما تقدم في تخريج الحديث.

(٣) ذكره أيضًا القرطبي في "تفسيره" (٢١٧/٧) وذكر الرد عليه.

(٤) البقرة:٢٥٨.

(٥) الأنعام:١٥٨.

كما صح في حديث مرفوع جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص -وكان يقرأ الكتب- أنه قال: "إنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فيؤذن لها حتى إذا بدا لله[1] أن تطلع من مغربها وفعلت كما كانت تفعل لم يرد عليها مرة بعد أخرى ثلاثًا حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه وإن أذن لها في الرجوع لم تدرك المشرق قالت: يا رب ما أبعد المشرق من لي بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعي فتطلع على الناس من مغربها"[2].

* وفي حديث مرفوع: "ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون فإن أحدهم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فبينما هم كذلك ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها قال: وحينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل"[3] يعني: إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فإنه من كان مؤمنًا قبل، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطًا فأحدث توبة يومئذ لم تقبل توبته وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾ أي: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك.

* ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما استثناء من كان صغيرًا يومئذ فإنه لو أسلم

---

(١) هكذا عند أحمد وفي رواية: "حتى إذا شاء الله" وفي أخرى "فإذا أراد الله".

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه كما في "الدر المنثور"(٣/١١١)، وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٢/١٩٥)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة.

بعده قبل منه، وكذا من كان مذنبًا وتاب من الذنب فإنه يقبل منه"[1].

قال القرطبي بعد الحكاية عن الملحدة لإنكاره: "فعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين المكذبين خاصة، فأما المصدقون فإنه تقبل توبتهم وينفعهم إيمانهم قبل".

قال ابن كثير: "وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لاقتراب وقت القيامة وظهور أشراطها كما قال:﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[2]، وقال تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[3].

وربما يستأنس له بما قيل مما هو غريب: "أن الدابة تقتل إبليس"، وبما قيل مما رفع وهو أيضًا غريب: "أنه إذا طلعت الشمس من مغربها يخر ساجدًا وينادي جهرًا إلهي مرني أن أسجد لمن شئت فيجتمع إليه زبانيته فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: أنا قد سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال: ثم تخرج الدابة من صدع في الصفا، قال: فإذا خطوة تضعها في أنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه"[4].

وما يروى في التقاء شيخين فيقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: لما طلعت الشمس من مغربها غير صحيح[5].

---

[1] ذكره القرطبي في "تفسيره" (٧/٢١٩).
[2] محمد: ١٨.
[3] غافر: ٨٤-٨٥.
[4] تقدم تخريجه.
[5] أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (٧٩٧) والديلمي في "مسند الفردوس"

*كالذي يروى عن ابن عمر "أنه يبقى الناس بعد طلوعها من مغربها مائة وعشرين سنة حتى تغرسوا النخل"[١].

*وإن صح ذلك يحتاج إلى تأويل.

*وبالجملة فالوارد في كون أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة مع صحته لا ينافي الوارد في كون أولها الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج لحمله فيها على الأمور المألوفة؛ لأنه شيء مشاهد بخلافه فيهما فليس بمألوف بل هو مخالف للعادات المستقرة، أي: خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان والكفر أمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية فهما أول بهذا التأويل وآخر على الإطلاق كما مشى عليه الحاكم وأقره تلميذه البيهقي ناصر السنة ثم جنح إليه ابن كثير ووقوعها مترادفة كالحامل المتم التي شارفت الموضع.

* قال شيخنا: والذي ترجح من مجموع الأخبار أن أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض تنتهي بموت عيسى، وأن طلوع الشمس من المغرب أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، فلعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد ثبت أنهما أعني طلوع الشمس وخروج الدابة ضحى أول الآيات فأيهما خرج قبل فالآخر منه قريب.

* قال الحاكم: والذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم

(٨٣/٥).

(١) ذكره الشوكاني في "فيض القدير"(٨١/٣) وقال: قال ابن حجر: سنده جيد.

تخرج الدابة ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قال شيخنا: والحكمة فيه أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، وتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

ذكر النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر

وأما قوله ﷺ: "أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"[1] فقد جاء في حديث عند مسلم أنها آخر الآيات، ولفظه: "اطلّع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ فقالوا: نذكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى المحشر"[2].

ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها بأنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا.

وفي "الصحيح": "يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم

---

(١) أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء"، باب: خلق آدم وذريته(٣٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء في الخسف (٢١٨٣) وأبو داود في "الملاحم"، باب: أمارات الساعة (٤٣١١) وابن ماجه في "الفتن"، باب: أشراط الساعة (٤٠٤١) من حديث حذيفة بن أسيد.

النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا"[١].

قال القاضي عياض: "والحشر في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها".

* ويروى عن كعب الأحبار قال: "تخرج نار تحشر الناس فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام"[٢].

* وهو موضح أخرى لفظها: "تطرد الناس إلى محشرهم"[٣] فالمراد به الشام؛ لأن بها يحشر الناس ليوم القيامة.

* ومنه حديث ابن عمر: "فهلا إلى الشام أرض المنشر"[٤].

* أي: موضع النشور وهي الأرض المقدسة من الشام يحشر الله الموتى إليها يوم القيامة وهي أرض المحشر، وعند خروج النار يقل حينئذ الظهر وتباع الحديقة بالبعير الواحد لكثرة المفتقرين إليه، ولا يلتفت حينئذ إلى ما ينقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله، بخلاف طروق غيرها من الفتن كالدجال فإنه لا يلوي فيها عن الأهل فضلا عن المال، وأما

---

(١) أخرجه البخاري في "الرقاق"، باب: كيف الحشر (٦٥٢٢) ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٥/٧١٣) ط الشعب، والنسائي في "الكبرى" (٢٨٦١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٧/٤٨٤) وأبو عمرو الداني (٥/٩٩٨) ونعيم بن حماد في "الفتن" (٢/٦٢٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٦/٤٦٣) والترمذي في "المناقب"، باب: ما جاء في فضل المدينة (٣٩١٨) وابن ماجه في "إقامة الصلاة"، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس(١٤٠٧) وأبو يعلى في "مسنده" (٧٠٨٨) والطبراني في "الكبير" (٢٥/٣٥) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٣٠٧٧).

عند حصول الأمن المفرط وذلك في زمن المهدي وعيسى عليه السلام فحين يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره.

ثم إن هذه النار ليست النار التي ظهرت بنواحي المدينة في سنة أربع وخمسين وستمائة.

وقال النووي: تواتر العلم بخروجها عند جميع أهل الشام.

وكالتي كانت نحوها في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية زمن الجاهلية زمن خالد بن سنان وقام بها حتى أخمدها، بل وقعت بالمدينة في عصرنا.

وبعد موت عيسى عليه السلام تهب ريح فتقبض أرواح المؤمنين كما تقدم في أواخر الكلام على خروج يأجوج ومأجوج مع أنه لم يقع الإفصاح هناك بكونه بعد موته ثم إنه لم يعين جهة مجيء الريح وقد ثبت في "الصحيح": "أن الله تعالى يبعث ريحًا من اليمن".

وفي رواية: "من قبل الشام".

فإن في حديث: "يخرج الدجال في أُمتي فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ثم يرسل الله تعالى ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير من إيمان إلا قبضته"، وفيه: "فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع -يعني بخفة الطير: مسارعتهم وخفتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات كطيران الطير، وكأحلام السباع، أي: في الإفساد والعدوان في خلق السباع العادية- لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان

أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: في الريح التي تكون قرب القيامة (١١٧).

ثم ينفخ في الصور -ولا مانع من المجيء منهما معًا أو يكون ابتداؤها من أحد الإقليمين ثم تجيء من الآخر ويتصل ذلك وينتشر وتلك الريح ألين من الحرير- فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته"[١].

* قال النووي: وفي معناه أحاديث منها: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله"[٢].

* وفي لفظ: "لا تقوم على أحد يقول الله"[٣].

* وفي لفظ: "لا تقوم إلا على شرار الخلق"[٤].

* قلت: وفي لفظ: "إلا على حثالة الناس"[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في الحديثين السابقين.

(٢) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان (١٤٨) والترمذي في "الفتن"، باب: منه (٢٢٠٧). ومعنى قوله ﷺ: "حتى لا يقال في الأرض: الله الله" قولان:

أحدهما: أن معناه أن أحدًا لا ينكر منكرًا ولا يزجر أحد أحدًا إذا رآه قد تعاطى منكرًا.

الثاني: حتى لا يذكر الله في الأرض ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان يتواكلون الخير بينهم، حتى لا يقول أحد لأحد: اتق الله خف الله.

وانظر "البداية والنهاية" (١٠/١٣٢) تحقيق د/عبدالحميد هنداوي بتصرف.

(٣) انظر ما قبله.

(٤) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: قرب الساعة (٢٩٤٩) وأحمد في "مسنده" (١/٣٩٤) من حديث ابن مسعود بلفظ "إلا على شرار الناس". وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤/٤٨٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والطبراني في "الكبير" (٧٧٥٧) والقضاعي في "مسند الشهاب" (٦٠١) من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه. وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٢٨٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله وثقوا وفيهم ضعف ورواه بإسناد آخر ضعيف. وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤/٥٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي والروياني في "مسنده" (١/١٦٢) من حديث ابن عمرو موقوفًا وغيرهم.

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٤٩٩) والحاكم في "المستدرك" (٤/٥٤١) والطبراني

❁ وفي رواية: "لا تقوم على مؤمن"[١].

❁ وفي رواية: "لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى عجاج لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا"[٢].

❁ يعني بالشريطة: أهل الخير والدين، والأشراط من الأضداد، يقع على الأشراف والأراذل وبالعجاج الغوغاء الأراذل ومن لا خير فيه واحدهم عجاجة.

❁ ثم قال النووي تلو كلامه: "وكلها وما في معناها على ظاهرها، وأما الحديث الآخر "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله"[٣] فليس مخالفًا لها؛ لأن معناه أنهم لا يزالون على الحق حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق فيه بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب".

❁ وقريب منه قول شيخنا: أمر الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي تعقبها قيام الساعة ولا يتخلف عنها إلا شيئًا يسيرًا فيكون الظهور قبل هبوبها فأما ما بعده فلا يبقى إلا الشرار وليس فيهم مؤمن فعليهم تقوم الساعة.

في "الكبير" (١٥٦). قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي. وذكره الهيثمي في "المجمع" (١٣/٨) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات.

(١) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢١٠/٢) والحاكم في "المستدرك" (٤٨١/٤) من طريق الحسن البصري عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه. قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبدالله بن عمر". وذكره الهيثمي في "المجمع" (١٣/٨) وقال: رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة محمد (١٥٦).

رجوع الناس عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان:

* وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح، ولعل هذا هو الوقت المشار إليه بقوله: "لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أُمتي إلى عبادة الأوثان من دون الله تعالى"[١].

* وفي لفظ: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى إن الله يبعث ريحًا طيبة فيتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم"[٢].

* ونحوه: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب[٣] إليات -أي: أعجاز- نساء دوس على ذي الخلصة"[٤].

* يعني: صنم دوس التي كانت تعبده في الجاهلية.

* وفي لفظ:"لا تقوم الساعة حتى تتدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة"[٥].

* على أن ابن بطال قال فيه وما أشبهه: ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه ثبت أن الإسلام إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعود غريبًا كما بدأ وجنح إلى أن الطائفة التي تبقى

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢٥٠١).

(٢) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٩٠٧) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء أن الخلفاء من قريش (٢٢٢٨).

(٣) تضطرب أي: يضرب بعضها بعضًا.

(٤) أخرجه البخاري في "الفتن"، باب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان (٧١١٦) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة"، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة(٢٩٠٦).

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٢٢/٤).

على الحق تكون ببيت المقدس، وقال: فبهذا تأتلف الأخبار.

يعني: حيث حملها في الطرفين على ما قال.

ونازعه شيخنا بأنه ليس فيما احتج به تصريح ببقاء أولئك إلى قيام الساعة وإنما فيه حتى يأتي أمر الله فيحتمل أن يكون المراد بأمر الله ما ذكر من قبض من بقي من المؤمنين، يعني: كما سلف فظواهر الأخبار تقتضي أن الموصوفين بكونهم ببيت المقدس أن آخرهم كان مع عيسى عليه السلام ثم إذا بعث الله الريح الطيبة فقبضت روح كل مؤمن لم يبق إلا شرار الناس.

وقد ثبت: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس" .

وذلك إنما يقع بعد طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وسائر الآيات العظام.

تشبيه الآيات في انتشارها وتلاحقها بالخرزات المنظومات في سلك:

وثبت: "أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة" .

بل قيل كما في مرسل لأبي العالية: "إن بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر تتابعن كتتابع الخرزات في النظام" .

وفي موقوف عن أبي هريرة: "أنها ثمانية أشهر" .

ويشهد لتواليها: "الآيات خرزات منظومات في سلك إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضًا" .

تقدم تخريجه قريبًا.
سيأتي معناه فيما بعده.
أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(٧/٥٠٧).
أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٧/٥٠٧).
أخرجه أحمد في "مسنده"(٢/٢١٩) والحاكم في "المستدرك"(٤/٥٢٠) وابن أبي

*وفي رواية: "بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط إذا سقط منها واحدة توالت"[(١)].

*وبهذا كله يستدل على عدم صحة رفع "يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة"[(٢)]. ولكن يمكن الجواب بأنها تمر مرًّا سريعًا كمقدار مرورها أشهرًا قبل ذلك[(٣)].

*فقد صح في المرفوع: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر وفيه واليوم كاحتراق السعفة"[(٤)].

*وإليه الإشارة في بعض الروايات: "يتقارب الزمان وتنقص السنون"[(٥)].

*إذا علم هذا فالوارد في أشراط الساعة وعلاماتها كثير، ومنه ما هو محتج به، ومنه ما لعله يأتي هنا أو لا يثبت مما أرجو التفرغ له وتمييز مراتبه.

*كظهور الفتن التي كان ابتداؤها قتل أمير المؤمنين عمر ثم عثمان ثم الحسين وما وقع في الحرة وصفين والجمل.

*وغيرها مما لشرحه أماكن والمراد كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها مما يؤثر في أمر الدين.

شيبة في "المصنف" (٤٦٦/٧) وذكره الهيثمي في "المجمع"(٣٢١/٧) وقال: فيه علي بن زيد وهو حسن الحديث.

(١) ذكره ابن حجر في "الفتح" (٣٥٤/١١) وعزاه لابن عساكر في "تاريخ دمشق".

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) انظر "فتح الباري" (٣٥٤/١١).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥٣٧/٢) وابن حبان في "صحيحه" (٦٨٤٢) وأبو يعلى في "مسنده" (٦٦٨٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

(٥) ذكره ابن حجر في "الفتح" (٨٤/١٣) وعزاه للطبراني من حديث أبي موسى -رضي الله عنه.

وفي لفظ: "أن ﷺ ذكر فتنة عظمها تكون في الأمة بين يدي الساعة"[1].

ومن أسباب الفتنة بسط الدنيا والتنافس فيها[2].

والنساء لقوله ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء".

أخرجه أبوداود في "الفتن والملاحم"، باب: ما يرجى في القتل (٤٢٧٧).

وجاء ذلك في حديث عمرو بن عوف عند البخاري في "المغازي"، باب: شهود الملائكة بدرًا (٤٠١٥) وفي "الرقاق"، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٤٢٥) وعند مسلم في "الزهد" (٢٩٦١) وفيه "ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافوسها وتهلككم كما أهلكتهم". وفي الحديث: أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا والفقير آمن من ذلك وفيه أن المنافسة في الدنيا تجر إلى هلاك الدين وانظر "فتح الباري" (١١/٢٤٩).

التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، وأصلها من الشيء النفيس في نوعه يقال: نافست في الشيء منافسة ونفاسة ونفاسها، ونفس الشيء بالضم نفاسه صار مرغوبًا فيه، ونفست به بالكسر بخلت، ونفست عليه لم أره أهلا لذلك وانظر "فتح الباري (١١/٢٤٩).

أخرجه البخاري في "النكاح"، باب: ما تبقى من شؤم المرأة(٥٠٩٦) ومسلم في "الذكر والدعاء"، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء من حديث أسامة بن زيد–رضي الله عنه.

قال الحافظ في "الفتح": وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، ويقع في المشاهدة حب الرجل ولد من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها. وقد قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك

* ومنع الأُمراء إعطاء الحقوق وإقرار القراء الأمراء في غيهم، ولكن تحصل السلامة مع توفيق الله بالصبر والأخذ لما بذل والترك لما منع [١].

* وكذا من أسبابها ظهور الفاحشة الذي هو السبب في فشو الطاعون والأوجاع.

* ونقص المكيال والميزان الذي هو سبب للسنين، أي: القحط وشدة المؤنة وجور السلطان.

* ومنع الزكاة الذي هو سبب في منع القطر ولولا البهائم لم تمطروا.

* ونقض عهد الله ورسوله الذي هو السبب في تسليط العدو وأخذ ما بالأيدي إلى غيرها من الأسباب [٢].

على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد. وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد في أثناء حديث "واتقوا النساء فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"اهـ.

[١] وجاء في هذا المعنى أحاديث منها:

(أ) ما أخرجه مسلم في "الإمارة"، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٨٥٤) من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ "ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضى وتابع قالوا: أفلا نقاتلهم قال: لا ما صلوا" وفي رواية: "إنه يستعمل عليكم أمراء..."الحديث.

(ب) وما أخرجه مسلم في "الإمارة"، باب: في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق (١٨٤٦) من حديث وائل بن حجر -رضي الله عنه- وفيه "أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم يمنعونا حقنا فما تأمرنا...قال اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

(ج) ومنها ما أخرجه البخاري في "الفتن"، باب: قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورًا تنكرونها"(٧٠٥٢) من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال لنا رسول الله ﷺ: "إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم" وغير ذلك من الأحاديث في هذا المعنى.

[٢] جاء هذا المعنى بمجموعه في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما والحديث أخرجه ابن

قال عطاء الخرساني: "إذا كان خمس كان خمس إذا أكل الربا فالخسف والزلزلة، وإذا جار الحكم فقحط المطر، وإذا ظهر الزنا فكثرة الموت، وإذا منعت الزكاة فهلاك الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة فالدولة"[1].

وأما خروج المهدي فهو قبل نزول عيسى كما هو الأظهر أو بعده، ولا ينافيه كون المهدي الأعظم هو عيسى.

وثبت "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي".

وفي رواية: "في أُمتي المهدي يخرج فيعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا -شك راويه- قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي اعطني قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله"[2].

ماجه في "الفتن"، باب: العقوبات (٤٠١٩) والنسائي في "الكبرى"(٤٣٧١) و"المجتبى"(٦/٣٧) والحاكم في "المستدرك" (٤/٥٨٣) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٣١٤). قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣٢٤٦).

أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٥/١٩٩).

أخرجه أحمد في "مسنده" (١/٣٧٧) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء في المهدي (٢٢٣٠) وأبو داود في "المهدي" (٤٢٨٢) والبزار في "مسنده" (١٨٠٤) وأبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن" (٥٦٨).

أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٢١) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء في المهدي (٢٢٢٢) وابن ماجه في "الفتن"، باب: خروج المهدي (٤٠٨٣) والحاكم في "المستدرك" (٤/٦٠١) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٧/٥١٢) وأبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن" (٥٥٠) ونعيم بن حماد في "الفتن"(١/٣٦٠) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣٢٩٩).

*ولجمع من الحفاظ ومنهم العماد ابن كثير في المهدي تأليف[١].

*قال أبو الحسن الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه. انتهى.

*وحينئذ فقوله في حديث آخر: "لا مهدي إلا عيسى"[٢] أي: لا مهدي كاملًا معصومًا[٣].

*وعبادة الأوثان من اللات والعزى وذي الخلصة كما تقدم.

*وفي رواية: "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمتي بالمشركين"[٤].

---

(١) قال ابن كثير: والمقصود أن المهدي الموعود به يكون في آخر الزمان ويكون أصل خروجه من ناحية المشرق ثم يأتي مكة فيبايع له عند البيت الحرام، كما ذكر ذلك في الحديث، وقد أفردت في ذكر المهدي جزءًا على حدة. (وانظر البداية والنهاية (٣٥/١٠) تحقيق د/عبدالحميد هنداوي).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: شدة الزمان (٤٠٣٩) والحاكم في "المستدرك" (٤٤١/٤) وابن عبدالبر في "التمهيد" (١٥٥/١) من طريق محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس... فذكره. وهذا إسناد ضعيف وفيه ثلاث علل: الأولى: عنعنة الحسن البصري، فإنه قد كان يدلس.

الثانية: جهالة محمد بن خالد الجندي، فإنه مجهول كما قال الحافظ في "التقريب".

الثالثة: الاختلاف في سنده. كذا قال الشيخ الألباني في "الضعيفة" (٧٧).

(٣) قال ابن كثير: وهذا الحديث فيما يظهر في بادئ الرأي مخالف للأحاديث التي أوردناها في إثبات مهدي غير عيسى بن مريم، إما قبل نزوله وهو الأظهر والله أعلم، وإما بعد نزوله، وعند التأمل يكون هذا الحديث لا ينافيها، ويكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى ابن مريم، ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديا أيضا. (وانظر البداية والنهاية (٣٦/١٠).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٨٤/٥) والترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء لا تقوم

* وكثرة خصومات الناس[1] في ربهم وعدم التوجه بذكر الله وشكره وشدة غضب الله لذلك. وتقوم الساعة والخوض في ما يؤدي إلى أمر عظيم بحيث يروى "لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهرًا"[2]، وذلك عند كلامهم في ربهم وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر، وزوال جبال عن أمكانها[3].

* وكثرة الزلازل[4] والصواعق[5]، وكأن المراد بكثرتها شمولها ودوامها.

الساعة حتى يخرج كذابون (٢٢١٩) وأبو داود في "الفتن"، باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٢) والحاكم في "المستدرك" (٤/٤٩٦) وأبو داود الطيالسي (٩٩١) وابن ماجه في "الفتن"، باب: ما يكون من الفتن (٣٩٥٢) قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين" وأقره الذهبي في "التلخيص" وصححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣١٩٢).

(1) أخرجه اللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" (٢١٣) وابن سعد في "الطبقات" (٥/١١٣) عن محمد بن الحنفية موقوفًا "لا تذهب الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم".

(2) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٣٨٤٣) وذكره الهيثمي في "المجمع" (١/٨١) وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" من حديث أبي هريرة.

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/١٦) والحاكم في "المستدرك" (١/٣٢٩-٣٣٠) وابن خزيمة في "صحيحه" (١٣٩٧) وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص". وهو حديث طويل من حديث سمرة بن جندب وفيه "ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم، تسألون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا وحتى تزول الجبال عن مراثيها على أثر ذلك القبض وأشار بيده..."الحديث.

(4) أخرجه البخاري في "الفتن" (٧١٢١) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه.

(5) جاء ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا قال: "تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صعق تلكم الغداة فيقولون فلان وفلان (أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٦٥) والحاكم في "المستدرك" (٤/٤٤٤) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وأقره الذهبي على صحة الحديث ولكن تعقبه بقوله: "عمارة ثقة لم يخرجوا

* ففي حديث: "وبين يدي الساعة سنوات الزلازل"[(١)].

* وفي آخر: "وتكثر الصواعق عند اقتراب الساعة"[(٢)].

* وإلا فقد وقعت الزلازل الكثيرة بعراق العجم، والقليل منها بالأندلس وغيرها.

* ومشاهدة أمور عظام لم يحدث بها المرء نفسه بحيث يسأل أكان النبي ﷺ ذكر لكم منها ذكرًا[(٣)].

* وظهور أهل المنكر على أهل المعروف[(٤)].

* وخروج دجالين كذابين حصروا في رواية ثلاثين أو أزيد[(٥)].

* وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه[(٦)].

له". وذكره الهيثمي في "المجمع" (٩١٨) وقال: رواه أحمد عن مصعب وهو ضعيف.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠٤/٤) والحاكم في "المستدرك" (٤٤٧/٤-٤٤٨) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "لم يخرجا لأرطأة وهو ثبت والخبر من غرائب الصحاح" وذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٠٦/٧) وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار وأبو يعلى ورجاله ثقات.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣٥٨/٣) من حديث حذيفة -رضي الله عنه، وأخرجه نعيم بن حماد في "الفتن" (٦٤٢/٢) من حديث مكحول.

(٥) جاء ذلك في حديث أبي هريرة وفيه: "حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله" أخرجه البخاري في "الفتن" (٧١٢١) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٦٩/٥) ط الشعب. وفي رواية عند مسلم "ينبعث". وجاء أيضًا من حديث ثوبان -رضي الله عنه- وفيه: "وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم: أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (١٦٨٣) وغير ذلك وانظر "فتح الباري" (٩٣/١٣).

(٦) أخرجه البخاري في "الفتن"، باب: تغير الزمان حتى تعبد الأوثان (٧١١٧)، ومسلم

ولا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه[١].

والدخان كما وقع قديمًا.

والنار كما تقدم[٢].

"واجتراء الصغير على الكبير واللئيم على الكريم"[٣].

ويروى "ارحموا ثلاثة وذكر عالمًا يتلاعب به الصبيان"[٤].

وخسوف ثلاثة بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب[٥].

والخسف وإن وجد في مواضع من العجم والمغرب وغيرهما وهلك بسببه خلق كثيرون فيحتمل أن يكون المراد بالثلاثة قدرًا زائدًا على ما وجد كأن يكون أعظم منه قدرًا أو مكانًا.

وفي حديث آخر: "والذي بعثني بالحق نبيًا لا تنقضي الدنيا حتى يقع بأهلها

في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٦٠/٥) ط الشعب. من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه. قال القرطبي في "التذكرة" قوله: "يسوق الناس بعصاه" كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته عليهم وعسفه بهم. قال: وقد قيل إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تنساق الإبل والماشية لشدةعنفه وعدوانه. وانظر "فتح الباري" (٨٣/١٣).

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة"(٧٦٠/٥) ط الشعب. من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٢٩٥/٧) وقال: رواه الطبراني في"الأوسط" وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٤) أخرجه الخطيب من حديث أنس مرفوعًا بسند فيه مجهول، كما في كشف الخفاء للعجلوني (١٣١/١) بتحقيقنا.

(٥) تقدم تخريجه.

الخسف والقذف والمسخ قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا رأيت النساء ركبن السروج وكثرت القينات وفشت شهادات الزور واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء"[١].

"لتركبن سنن من كان قبلكم.."

* واقتفاء الأمم قبلها في ما لا يجمل.

* وفي "الصحيح": "لتركبن سنن[٢] من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب[٣] سلكتموه قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن"[٤].

* وفي حديث آخر: "لتركبن سنن من كان قبلكم حتى لو أن أحدهم ضاجع أمه في الطريق لفعلتم"[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤/٤٣٧) وسكت عنه. وقال الذهبي: "سليمان هو اليمامي ضعفوه والخبر منكر". وذكره الهيثمي في "المجمع" (٨/١٠) وقال: رواه البزار والطبراني في "الأوسط" وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو متروك.

(٢) قال النووي: السنن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وحجر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة بالمعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به ﷺ. [شرح صحيح مسلم (٥/٥٢٥) ط الشعب].

(٣) الضب: بفتح المعجمة وتشديد الموحدة دويبة معروفة يقال خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضي البهائم. والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم اتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم. وانظر "فتح الباري" (٦/٥٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء"، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٦) وفي "الاعتصام بالكتاب والسنة"، باب: قول النبي ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم (٧٣٢٠) ومسلم في "العلم"، باب: النهي عن إتباع متشابه القرآن والتحذير (٥/٥٢٤) ط الشعب.

(٥) ذكره الديلمي في "الفردوس" (٣/٢٣٨) بلفظ المصنف. وأخرجه الحاكم في

وفي رواية: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمتي بأخذ القرون قبلها"[1] الحديث.

ولعن آخر الأُمة أولها[2].

وتناكر الناس وتختلف قلوبهم وأقوالهم، والتظاهر بالمآخاة المعبر عنه بإخوان العلانية أعداء السريرة مما سببه رغبة بعضهم إلى بعض ورهبة بعضهم من بعض[3].

وفي رواية: "يتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم وإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم"[4].

"المستدرك"(٤/٤٥٥) وقال: "صحيح"، وأقره الذهبي في "التلخيص" من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- ولفظه: "حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه".

(1) أخرجه البخاري في "الاعتصام بالكتاب والسنة"، باب: قول النبي ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

(2) أخرجه الترمذي في "الفتن"، باب: ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (٢٢١٠) من حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث علي بن أبي طالب إلا من هذا الوجه ولا نعلم أحدًا. رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري غير الفرج بن فضالة والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعفه من قبل حفظه وقد رواه عنه وكيع وغير واحد من الأئمة. وأخرجه الترمذي (٢٢١١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وابن ماجه (٢٦٣) من حديث جابر -رضي الله عنه.

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/٢٣٥) وذكره الهيثمي في "المجمع" وقال: رواه البزار والطبراني في "الأوسط" وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.

(4) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٢٨٧) بنحوه عن سليمان -رضي الله عنه- وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" وفيه جماعة لم أعرفهم.

*إذ المأمور به ما أوصى به بعضهم بعض أقربائه بقوله: "خالق المؤمن وخالق الفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن والمؤمن يحق عليك أن تخالصه"[١]، ومما قيل قديمًا:

ألا رب هل تدعو صديقًا وهل ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد ما كان شاهدًا ... وبالغيب باتور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه ... تميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم ... من الغل والبغضاء والنظر الشزر
فرشني بخير طال ما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري

وتسليم الخاصة[٢]، أي: يخص من يختاره للسلام عليه إما لوجاهة أو نحوها من رغبة أو رهبة.

* وفي لفظ: "وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة".

* يعني: غير عامل بسنية السلام على من عرف ومن لم يعرف.

نقص العلم واندراس الإسلام:

* ونقص العلم.

* وفي لفظ: "ويقل العلم"[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/٢٨٠) عن حذيفة -رضي الله عنه- بنحوه.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (١/٤٠٨) والحاكم في "المستدرك" (٤/٤٤٥-٤٤٦) وقال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده صحيح". وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٣٢٨-٣٢٩) ونسبه لأحمد والبزار ببعضه وقال: "ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح" كذا قال الشيخ أحمد شاكر في "التعليق على المسند (٣٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في "العلم"، باب: رفع العلم وظهور الجهل (٨١).

وفي رواية: "قبض العلم" .

وفي لفظ: "ينزل الجهل ويرفع العلم" .

وفي رواية : "ويظهر الجهل" .

وفي رواية أخرى: "يكثر الجهل" والتعبير بقبض أو رفع فيه إشارة إلى أن المراد أنه لا يبقى إلا الجهل الصرف ولكن ذلك لا يمنع من وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون مغمورين في أولئك.

ويتأيد بحديث: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على الكتاب في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها، وفيه قول صلة لحذيفة صحابيه: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما ذكر وأنه أعرض عنه حتى كرر القول عليه ثلاثًا ثم قال له حذيفة في الثالثة: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثًا" .

وما قوله: "ويسرى على الكتاب" فجاء بلفظ آخر وهو: "لينزعن القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلا فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في

أخرجه البخاري في "العلم"، باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد أو الرأس (٨٥).
أخرجه البخاري في "الفتن"، باب: ظهور الفتن (٧٠٦٣)، ومسلم في "العلم"، باب: "رفع العلم وقبضه وظهور الجهل" (٢٦٧٣).
تقدم تخريجه.
أخرجه البخاري في "النكاح"، باب: يقل الرجال ويكثر النساء (٥٢٣١).
أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: ذهاب القرآن والعلم (٤٠٤٩) والحاكم في "المستدرك" (٤٧٣/٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. والحديث صححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٨٧).

الأرض منه شيء"[١].

* وفي رواية: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء" الحديث. وفيه: "منك خرجت وإليك أعود"[٢].

* وفي رواية: "حتى يعج القرآن إلى الله ﷻ يقول: إني أتلى ولا يعمل بي فعند ذلك يرفع"[٣].

* وفي لفظ: "يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا تذكر منه كلمة واحدة ويرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية"[٤].

* والصحيح أن هذا وخراب البيت إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وعلى كل حال فهو معارض في الظاهر بما حصل الجمع به بينهما حسب ما بين في محله.

* وظهور القلم بالقاف، أي: الكتابة، وسيأتي قول الحسن: لقد أتى علينا زمان يقال كاتب بني فلان ما في الحي غير الكاتب الواحد[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٧٠٠) وعبدالرزاق في "المصنف" (٥٩٨١) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/٣٣٠) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال شداد بن معقل وهو ثقة.

(٢) ذكره الديلمي في "مسند الفردوس" (٥/٧٩).

(٣) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء"(٢/٤٧٢) وعزاه للديلمي عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الدارمي في "سننه" (٣٣٤١) ولفظه عن عبدالله بن مسعود قال: "أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول.

(٥) سيأتي قريبًا.

- وموت النبي ﷺ كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي[١].

- وكذا فتح بيت المقدس[٢]، وقد وقع زمن عمر في سنة (ست عشرة)، وتمني رؤية النبي ﷺ، ففي "الصحيح": "والذي نفسي بيده ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله"[٣].

- والتماس رجل من الأمة كما تلتمس الضالة فلا يوجد.

- ويرفع الذكر والقرآن.

- والتماس العلم عند الأصاغر فلا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم هلكوا[٤].

- وتعلم العلم لغير الله وفشوه وإظهاره بحيث يكثر المتسمى به ويقل الفقيه حقيقة[٥].

- وقول من أقرأ منا من أعلم منا.

- وكثرة الخطباء ويكون العالم -أي: بالاسم- كالنسناس يعني: لا يثبت ولا يستقر على حاله.

---

(١) أخرجه البخاري في "الجزية والموادعة"، باب: ما يحذر من الغدر (٣١٧٦).

(٢) تقدم في الذي قبله.

(٣) أخرجه البخاري في "المناقب"، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٥٨٩).

(٤) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٣٦١/٢٢) وابن المبارك في "الزهد" (٦١) وأبو عمرو الداني في "الفتن" (٦٢/٢) واللالكائي في "شرح أصول السنة" من حديث أبي أمية اللخمي، كذا قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩٥) وقال: هذا إسناد جيد.

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٥٥/٥) من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم في زمان علماؤه كثير خطباؤه قليل من ترك فيه عشير ما يعلم هوى أو قال هلك وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه يكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشير ما يعلم نجا".

* ويروى عن فاطمة بنت الخطاب مرفوعًا: "لا تزال أُمتي بخير ما لم يظهر فيهم حب الدنيا في علماء فساق وقراء جهال وجبابرة فإذا ظهر ذلك خشيت أن يعمهم الله بعقاب" رواه الواقدي.

* والسؤال عما ما لم يكن.

أن يمشي الشيطان في الأسواق، وأن يقول حدثني وهو كاذب:

* ومشي إبليس في الأسواق يتشبه بالعلماء يقول حدثني فلان بن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا.

* وفي مقدمة "صحيح مسلم" عن ابن مسعود قال: "إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث"[١].

* وخروج شياطين من البحر أوثقهم سليمان عليه السلام.

* وفي مقدمة "صحيح مسلم"[٢] أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: "إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا"[٣].

قبض العلم وتحديث الجهلة والتساوي في المكانة:

* ويروى: "إذا كان في آخر الزمان يجيء النساء من كل زاوية فيجلسن

---

(١) أخرجه مسلم في "المقدمة"، باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء (١/٦٦) ط الشعب.

(٢) أخرجه مسلم في "المقدمة"، باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء (١/٦٦) ط الشعب.

(٣) ومعناه أنها تقرأ شيئًا ليس بقرآن وتقول إنه قرآن لتغري به عوام الناس فلا يغترون [النووي شرح مسلم (١/٦٦) ط الشعب].

ويقلن: حدثنا وأخبرنا، فإذا رأيتم ذلك فبددوا جمعهن"[1].

وخزن العمل، يعني: تركه[2].

وتقارب الزمن في حديث أوله: "يقبض العلم ويقرب الزمن"[3].

ومعناه يقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله. قاله ابن بطال.

ويشير إليه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم"، [أي: الناس يتشبهون بندمائهم لا بآبائهم فمن أهانه الزمان أهانوه ومن أعانه أعانوه].

وقول كعب الأحبار رحمه الله: "إن لكل زمان ملكًا يبعثه الله على نحو قلوب أهله فإذا أراد صلاحهم بعث الله فيهم مصلحًا وإذا أراد هلكتهم بعث فيهم مترفيهم"[4].

وجاء في الحديث: "لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فإذا تساووا هلكوا"[5].

يعني: لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف لله تعالى

---

(1) ذكره الديلمي في "مسند الفردوس" (٢٥٦/١).

(2) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٥٥٤/٤) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي. من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعًا: "من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها قيل وما المثناة قال: ما اكتتبت سوى كتاب الله -عز وجل. والحديث ذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٢٦/٧) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(3) تقدم تخريجه قريبًا.

(4) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٣٠/٦).

(5) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٩٠٨٤) عن الحسن البصري -رحمه الله- موقوفًا قال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا استووا فذلك هلاكهم.

يلجأ إليهم عند الشدائد ويستشفى بآرائهم ويتبرك بدعائهم ويؤخذ بتقويمهم وآثارهم وآرائهم.

* وقال الطحاوي: قد يكون معناه في ترك طلب العلم خاصة والرضى بالجهل وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم بل درج العلم تتفاوت كما قال تعالى:﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا.

* قال شيخنا: وكأنه يريد غلبة الجهل وكثرته بحيث ينقص العلم بفقد العلماء على أن الخطابي ذكر في تقارب الزمن أن تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة كما في الحديث الماضي.

* والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمن، وذلك من علامة قرب الساعة، يعني: مما هو محسوس الآن.

* وارتفاع الأصوات في المساجد.

* ويتباهون فيها ولا يعمرونها إلا قليلا[٢].

* وزخرفة المساجد، وفي لفظ: المحاريب وخراب القلوب.

* واتخاذ المساجد طرقًا[٣].

* وغلو أهل الفسق فيها[٤].

* واتخاذ القرآن مزامير يقدمون من يغنيهم به وإن كان أقلهم فقهًا[١].

---

(١) يوسف:٧٦.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/١٣٤) وأبو داود (٤٤٩) وابن ماجه (٧٣٩) والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٧٤٢١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٥/١٨٨) وقال: غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث حمزة. قلت: حمزة هذا متهم بالوضع كما قال الحافظ في التقريب.

* وتدافع أهل المسجد في من يصلي بهم فلا يجدون أحدًا[2].
* وانفصال الخمسين من الصلاة ولا يقبل الواحد منه.

* وكثرة موت الفجأة المعبر عنه في بعض الأخبار بموت الرجل بغير وجع.
* ويكون في الناس مُوتان كقُعاص الغنم.
* فالموتان بوزن البُطلان الموت الكثير الوقوع.
* والقُعاص بالضم داء يأخذ الغنم لا يُلبثها أن تموت.
* وكان ابتداء ذلك طاعون عمواس[3].
* وتمني الموت حتى إن الرجل يمر بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانك ليس به الدين إلا البلاء[4].

---

(1) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤٩٤/٣) من حديث عابس الغفاري وفيه "بادروا بالأعمال خصالا ستًا: إمْرةَ السُفهاءِ، وكثرة الشُرَط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم ما يقدمونه إلا ليغنيهم". والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع"(٩٧٩).

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٨١/٦) من حديث سلامة بنت الحر الفزارية –رضي الله عنها- مرفوعًا: "إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إمامًا يصلي بهم" والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (١٩٨٥) و"ضعيف أبي داود(٩٠).

(3) تقدم تخريجه من حديث عون بن مالك.

(4) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٥٨/٥) من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه يقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء".

* ومن أسباب تمنيه كون الشرار من الناس الأُمراء والأشحاء منهم الأغنياء.

* ففي الحديث: "إذا كانت أُمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وعكسه عكسه"[١].

* وهلاك العرب[٢].

* ونقص الثمرات وكثرة المطر وقلة النبات[٣].

* بل يروى عن كعب الأحبار أنه قال لابن الزبير وهو يبني البيت: "اشدده وأوثقه فإنا نجد في الكتب أن السيول ستعظم في آخر الزمان".

* وكون المطر قيظًا، أي: في شدة الحر إذ المطر إنما يراد للنبات وبرد الهواء.

* ويروى: "لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تكن منه بيوت المدر ولا تكن منه إلا بيوت الشعر"[٤].

* ويروى أيضًا: "إذا كان الشتاء قيظًا وغاض الكرام غيضًا"، أي: فنوا وبادوا.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١٧٦/٦) وقال: غريب من حديث سعيد وصالح لم نكتبه إلا من حديث عبيدالله بن معاوية وهو الجمحي. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع"(٧٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥١٣/٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "لعن الله كسرى إن أول الناس هلاكًا العرب ثم أهل فارس".

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٦٢/٢) وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٣١/٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ أحمد شاكر (٧٥٥٤): "إسناده صحيح".

والريح الحمراء، أي: الشديدة، كقولهم سنة حمراء ورد في علاماتها ريح تلقي الناس في البحر.

وكون الأيام والليالي لا تذهب حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا .

وحتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسع وتسعون وينجو واحد .

ومعناه أن العرب تتقاعد عن الانتجاع لطلب الغيث ويشتغل كل منهم بغراس الأرض وعمارتها وإجراء مياهها كما شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم. ورجوع العرب حراثين .

وكثرة المال حتى يُهِمَّ رب المال من يقبله فلا يجده كما يشير إليه في ما

أخرجه مسلم في"الزكاة"، باب: اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٤٨/٣) ولفظه: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا. وأخرجه أحمد في "مسنده" (٣٧٠/٢) والحاكم في "المستدرك" (٤٧٧/٤) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وأقره الذهبي في "التلخيص". وذكره الهيثمي في "المجمع" (٣٣١/٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ولفظه: "لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا..."الحديث.

أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٤٤/٥) ط الشعب. من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

ذكره الهيثمي في "المجمع" (٢٦٠/٤) من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- ولفظه: "لا تقوم الساعة حتى يرجعوا حراثين" وقال الهيثمي: فيه جعفر بن الزبير وهو كذاب.

تقدم بترك الصدقة ويعطى الرجل المائة دينار فيتسخطها"[١].

* وفي "الصحيح": "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا"[٢].

* ووقع التعبير عنه في رواية: "بظهور الكنوز"، وبقوله: "يفيض المال"، أي: يكثر وهذا في زمن عيسى عليه السلام بحيث تترك القِلاص بكسر القاف جمع قلوص بفتحها وهو من الإبل كالفتاة من النساء، والمعنى أنه يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة.

* وفي رواية: "لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يمسكها إلا أراذل الناس"[٣].

* وغبطة المرء بخفة المال كما كان يغبط بكثرة المال وتكون الدنيا قبل هذا مع الأشرار ويتمنى أبو الخمسة أنهم أربعة[٤].

* وفشو التجارة وكثرتها حتى تعين المرأة زوجها عليها ويتجر الرجل

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في "الزكاة"، باب: اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف(٣/٤٩) ط الشعب.

(٣) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"(٧/٣٣١) وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه من لم أعرفه.

(٤) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/٢٨٢) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه علي ابن يزيد الألهاني وهو متروك.

وامرأته جميعًا بل يتجر النساء[١].

* قال الحسن: لقد أتى علينا زمان إنما يقال: تاجر بني فلان وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد[٢].

* وقلة المكاسب بحيث يضرب التاجر إلى اليمن فلا يجاوز ربحه رأس ماله.

* ولا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه الدراهم الحلال والأخ في الله وذكر خصلة ثالثة[٣].

* وعدم المبالاة بما يصل إليه من المال أمن حلال أم من حرام[٤].

* وأكل الربا بحيث يروى شموله حتى إن من لم يفعله أصابه من غباره[٥]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (٢٤٤/٧) عن الحسن عن عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر العلم ويبيع الرجل البيع فيقول لا حتى أستأمر تاجر بني فلان ويُلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد.

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية"(٣٧٠/٤) وقال: غريب من حديث الثوري تفرد به روح بن صلاح عنه. وذكره الهيثمي في "المجمع"(١٧٢/١) وقال: رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه روح بن صالح ضعفه ابن عدي وقال الحاكم ثقة مأمون وذكره ابن حبان في "الثقات" وبقية رجاله موثقون".

(٤) أخرجه البخاري في "البيوع"، باب: من لم يبال من حيث كسب المال (٢٠٥٩) والبغوي في "شرح السنة" (٢٠٣٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام".

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤٩٤/٤) وأبو داود في "البيوع"، باب: اجتناب الشبهات (٣٣٣١) والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن أبي داود" قلت والحديث وإن كان في إسناده ضعف فإن معناه صحيح ،وقد أثبت الواقع صحة ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كما هو مشاهد في هذه الأيام .

* وعد الصدقة -يعني: الزكاة ونحوها- مغرمًا، أي: يرى أن إخراج زكاته غرامة يغرمها، بل صار الكثير منهم أو أكثرهم ممن له ديانة في الجملة يجتزئ عنها بما يؤخذ منه من المكوس، وكذا بما يتعرض له في أخذه زيادة على ذلك، وعز على الفقراء التوصل إلى استحقاقهم، بل غالب من يعطى إنما هو للوجاهة، وقد لا يكون ممن يسقط به الفرض، ولذا تسلط الحكام عليهم.

* وكثرة المستحذين وقلة المعطين، وقطيعة الأرحام[1]، وسوء الجوار، وتقريب الصديق وبره، وجفاء الأب وبعده، وطاعة الزوجة، وعقوق الأم، وكون الولد غيظًا بمعجمتين، يعني: يغيظ أباه وأُمه بعقوقه لهما وعدم امتثاله أمرهما.

* وظهور البخل والشح، وهو إلقاؤه في قلوبهم على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى.

* ويبخل الصانع بصنعته حتى يترك تعليمها لغيره.

* ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير.

* وقوله : يلقى، أي: يتلقى ويتعلم ويتواصى به ويدعى إليه، ويجوز أن يكون بتخفيف اللام والقاف، أي: لا يترك لإفاضة المال وكثرته.

* وبالجملة فالمحذور كما أشار إليه ابن أبي جمرة من ذلك ما يترتب عليه مفسدة والشحيح شرعًا هو من منع ما وجب عليه وإمساك ذلك محق للمال مذهب لبركته.

---

(١) ورد ذلك في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: "إن الله لا يحب الفحش أو يبغض الفاحش والمتفحش قال ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين..." الحديث أخرجه أحمد في "مسنده"(٢/١٦٢-١٦٣).

ويؤيده: "ما نقص مال من صدقة"[1].

فإن أهل المعرفة فهموا منه أن المال الذي يخرج منه الحق الشرعي لا تلحقه آفة ولا عاهة، بل يحصل له النماء، ومن ثم سميت الزكاة لأن المال ينمو بها ويحصل فيه البركة. انتهى.

ويؤيده: "ما تلف مال في بر وبحر إلا بمنع الزكاة"[2].

وغلبة أهل المد على مدهم وأهل القفيز على قفيزهم وهما مكيلان مما يشهد له ما صح منعت العراق مدها وقفيزها.

وفي رواية: "إذا منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدْيهَا بضم الميم ثم دال ساكنة على وزن قفل ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم"[3].

وفي تأويله قولان:

أحدهما: لإسلامهم فسقطت عنهم الجزية.

وثانيهما: وهو الأشهر أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين.

---

[1] أخرجه مسلم في "البر والصلة"، باب: استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

[2] ذكره الهيثمي في "المجمع"(٦٣/٣) وقال:رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه عمر بن هارون وهو ضعيف.

[3] أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٤٥/٥) ط الشعب. و(القفيز) مكيال معروف لأهل العراق، قال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، وهو خمس كيلجات. و(المد) مكيال معروف عند أهل الشام، قال العلماء: يسع خمسة عشر مكوكا. وأما (الأردب) فمكيال معروف عند أهل مصر، قال الأزهري وآخرون يسع أربعة وعشرين صاعًا. وانظر "النووي شرح مسلم" (٧٤٥/٥-٧٤٦) ط الشعب.

* وأما قوله: وعدتم إلى آخره فهو بمعنى: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ"[(١)].

انتفاخ الهلال وتخريب البيت:

* وأن يرى الهلال لليلة فيقال: هو ابن ليلتين لانتفاخه وكبره.

* وفي رواية: "اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة"[(٢)].

* وللدارقطني عن عامر الشعبي عن أنس رفعه: "من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قَبَلا"[(٣)]، أي: يرى ساعة يطلع لعظمه فيقال: ابن ليلتين"، يقال: رأيت الهلال قَبَلا، وقبل، أي: معاينة.

* وتخريب الكعبة على يد ذي السويقتين من الحبشة[(٤)] بعد موت عيسى عليه السلام وقبض أرواح المؤمنين.

* مع أن ظهور ذي السويقتين قال كعب الأحبار[(٥)] في زمن عيسى، وكذا قال الحليمي وأن الصريخ يأتي عيسى عليه السلام بذلك. فيبعث إليه طائفة ما بين الثمان إلى

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا (٣٥٨/١) ط الشعب.

(٢) أخرجه الطبراني في"الكبير" (٢/٧٨/٣) والعقيلي في "الضعفاء" (٢٣٨) وابن عدي (٢٣١/٢، ٢٣٧) من طريق: عبدالرحمن بن يوسف عن سليمان بن مهران عن شقيق بن سلمة عنه. قال العقيلي: "عبدالرحمن بن يوسف مجهول في النسب والرواية والحديث غير محفوظ، ولا يعرف إلا به. وقال ابن عدي: "ليس بمعروف، والحديث منكر عن الأعمش بهذا الإسناد، ولا أعرف لعبدالرحمن غيره. كذا قال الشيخ الألباني في "الصحيحة"(٢٢٩٢).

(٣) انظر ما قبله وراجع "السلسلة الصحيحة" (٢٢٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في "الحج"، باب: قول الله تعالى **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام...﴾** الآية (١٥٩١) ومسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٥٩/٥) ط الشعب.

(٥) انظر البداية والنهاية (١١٤/١٠)- تحقيق د/عبدالحميد هنداوي.

التسع، وقيل: ذلك في زمنه أيضًا وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت مما لا ينافيه في المعنى المروي: "أنه لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت"[1]، وفي لفظ: "استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة"[2][3].

وفي حديث لأحمد وأبي داود مرفوع: "اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين"[4].

وعن كعب الأحبار أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس فيقادا إلى الجنة وفيها أهلها والعرض والحساب ببيت المقدس".

---

[1] أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤/٤٥٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأعله الذهبي؛ لأن آدم بن إياس ذكره موقوفًا وأن أبا داود الطيالسي رواه عن شعبة مرفوعًا.

[2] أخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/٤٤١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص" والحديث صححه الشيخ الألباني في"الصحيحة"(١٤٥١).

[3] قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٠/١١٤): ولا منافاة في المعنى بين الروايتين؛ لأن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها، بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم، وطمأنينة الناس وكثرة أرزاقهم في زمان المسيح -عليه السلام- ثم يبعث الله ريحًا طيبة. فيقبض بها روح كل مؤمن ومؤمنة، ويتوفى نبي الله عيسى بن مريم -عليه السلام- ويصلي عليه المسلمون، ويدفن بالحجرة النبوية مع رسول الله ﷺ، ثم يكون خراب الكعبة على يدي ذي السويقتين بعد هذا، وإن كان ظهوره في زمن المسيح، كما قال كعب الأحبار، والله سبحانه أعلم.

[4] أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/٣٧١) وأبوداود في "الملاحم"، باب: في النهي عن تهييج الترك والحبشة (٤٣٠٢) والحاكم في "المستدرك" (٤/٤٥٣) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص"، والحديث حسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٩٠).

* وفي لفظ لكعب قال: "حجة أحب إلي من عمرتين، وعمرة أحب من ركبة إلى بيت المقدس، ولا تقوم الساعة حتى يسير أحدهما إلى الآخر لأن المقام والميزان عندهما"[١].

* ونحوه: "تزف الكعبة إلى الصخرة فيتعلق بها جميع من حج واعتمر فإذا رأتهما الصخرة قالت: مرحبًا بالزائرة والزائرين إليها".

* ونفي المدينة شرار أهلها مما يشهد له: "تنفي المدينة خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد"[٢].

* وبلوغ المساكن إهاب أو يهاب وهو اسم موضع بنواحي المدينة، وقيل: لسهيل راويه: وكم ذلك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلا.

ذكر متفرقات من العلامات الصغرى والكبرى:

* ولا يقسم الميراث[٣]، وذلك إما لكثرة الأموال أو لعدم وجدان من يحسن قسمتها حتى كان بعض أئمة الفرائض يقول: ما دمت بين أظهركم فأنتم آمنون من ظهور الدجال.

* ولكن الثابت في "الصحيح" أنه في مقتلة بين الروم وأهل الشام يتعاد بنو الأب من المسلمين كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم غير الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح أو بأي ميراث يقسم.

* ورفع الأمانة واتخاذها مغرمًا، وفي "الصحيح": "إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة"، قيل: يا رسول الله، وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير

---

(١) أخرجه أبونعيم في "الحلية" (٦/١٥-١٦).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.

أهله فانتظروا الساعة" ، ولا ينافيه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم فتح مكة: "إن الأمانة في الناس اليوم قليلة".

ويخون الأمين ويؤتمن الخائن ويصدق الكاذب ويكذب الصادق[٢].

وعد الفاحشة زيارة وكثرة الزنا والتسافد في الطرق تسافد الحمر بأن يقوم الرجل إلى المرأة فيفترسها في الطريق ويرفع ذيلها كما يرفع ذنب الغنم فيكون خير الناس وأمثلهم يومئذ من يقول: لو واريتها وراء هذا الحائط فهو في ذلك الزمن مثل أبي بكر وعمر.

واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال .

والتغاير على الغلام كما يتغاير على المرأة.

ورضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط.

وكثرة السراري، ففي رواية: "إذا ولدت الأمة ربتها" ، أي: سيدتها، ويكن في آخر الزمان من المشار إليهن بالحشمة بحيث يكنَّ تحت الرجل الكبير دون غيرهن من الحرائر.

ومنهم من جعل كثرتهن لكثرة الفتوحات، يعني: فيكون ذلك علامة كثرتها، ولكن ليس هذا حينئذ من أشراط الساعة؛ لأنه كان في صدر هذه الأمة كثيرًا .

أخرجه البخاري في "العلم"، باب: من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه(٥٩).

تقدم تخريجه.

تقدم تخريجه.

أخرجه البخاري في "الإيمان"، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام والإحسان (٥٠).

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١٢٨/١٠): "قوله -عليه السلام: "أن تلد الأمة ربتها" يعني به أن الإماء يكن في آخر الزمان هن المشار إليهن بالحشمة، تكون الأمة

* والتغالي في المهور وإغفال "لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم"[١]، وكون التيسير السبب في دوام الألفة غالبًا[٢].

* وكثرة الطلاق الذي هو يمين الفساق.

* وكون الرجل يخرج من عند أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أصابه أهله من بعده.

* وفي لفظ: "لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده"[٣].

* ويتزوج الرجل النبطية ويترك ابنة عمه.

تحت الرجل الكبير دون غيرها من الحرائر، ولذلك قرن ذلك بقوله: "وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان" يعني بذلك أنهم يكونون رءوس الناس، قد كثرت أموالهم، وامتدت وجاهتهم، فليس لهم دأب ولا همة إلا التطاول في البناء، وهذا كما في حديث: "لا تقوم الساعة حتى يكون أحظى الناس بالدنيا لكع بن لكع" وفي الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة رذالها" وفي الحديث الآخر: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" ومن فسر هذا بكثرة السراري لكثرة الفتوحات، فقد كان هذا في صدر هذه الأمة كثيرًا جدًّا، وليس هذا بهذه الصفة من أشراط الساعة المتاخمة لوقتها. والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٤٤٨) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٧/٢٣٥) والحاكم في "المستدرك" (٢/١٧٨) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وأقره الذهبي في "التلخيص".

(٢) كما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: "إن من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا" والحديث أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"(٧/٢٣٥). وكما جاء عنها أيضًا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها -قال عروة: يعني يتيسر رحمها للولادة- قال عروة وأنا أقول من عندي من أول شؤمها أن يكثر صداقها. والحديث أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٧/٢٣٥).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/٨٣-٨٤).

* وكثرة النساء وقلة الرجال بحيث يتبع الرجل الواحد خمسون امرأة، يعني: ممن يلذن به[١].

* وقد قال أبو القاسم القرطبي أخو شارح مسلم أبي العباس: إنه ربط نحوًا من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبايهن من العدو لما خرجوا من قرطبة.

* "ويتبع الرجل قريب من ثلاثين امرأة يقلن: انكحنا".

* "وتجد المرأة النعل فتقول: كانت هذه نعل رجل".

القتل الكثير "الهرج".

* واستخفاف بالدماء وكثرة الهرج، أي: القتل والكذب[٢].

* وقد قال رجل لخالد بن الوليد رضي الله عنه: "يا أبا سليمان اتق الله فإن الفتن قد ظهرت فقال أما وابن الخطاب حي فلا، وإنما تكون بعده فينظر الرجل فيفكر هل يجد مكانًا لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو به من الفتنة والشر فلا يجد فتلك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة أيام الهرج"[٣].

* والاجتلاد بالسيوف وقتل الإمام فعن حذيفة "لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم"[٤].

* وعنه أنه قال: "ما تعدون قتل عثمان فيكم أتعدونه فتنة؟ قلنا: نعم، قال: هي والله هي والله أول الفتن وآخرها الدجال".

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/٩٠).
(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/٣٨٩).

* وقتل الرجل لأخيه، أي: ونحوه من أب وقريب على الدنيا.

* وإذا وضع السيف في الأمة لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة.

* ولا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا المقتول على أي شيء قتل القاتل والمقتول في النار[١].

ذكر الفتوح والملاحم:

* واقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين دعواهما واحدة ويكون بينهما مقتلة عظيمة، وقد وقع ذلك في زمن الصحابة رضي الله عنهم مما كانوا مجتهدين فيه، والمخطئ منهم معذور لأنه بالاجتهاد. ولا حاجة للتطويل في شرحه.

* وغزوة جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم فيفتحها الله واحدة بعد أخرى ثم الدجال.

* قال نافع بن عتبة راويه عن النبي ﷺ كما سيأتي قريبًا: "لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم".

* وفتح قسطنطينية بضم أولها وثالثها وهي من أعظم مدائن الروم، ففي "صحيح مسلم" مرفوعًا: "أسمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر

---

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٥/٧٥٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج القاتل والمقتول في النار.

فتفرج لهم فينظرونها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون"[١].

فهذه المدينة هي التي عيناها ولكن قوله من بني إسحاق إنما هو من بني إسماعيل وسياق الحديث يدل له فإنه إنما أراد العرب.

ويروى: "لا تقوم الساعة حتى يملك القسطنطينية وجبل الديلم رجل من أهل بيتي".

وعن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل مرفوعًا: "عُمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال"[٢] ولابن ماجه وأبي داود عن معاذ رفعه "الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال" في سبعة قال أبو داود: سبعة أشهر"[٣] ولابن ماجه عن عبدالله بن بسر مرفوعًا أيضًا: "بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة"[٤].

وعن نافع بن عتبة بن أبي وقاص رفعه: "تقاتلون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تقاتلون الروم، ثم تقاتلون الدجال، قال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم"[٥].

---

[١] أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٦٧/٥) ط الشعب.

[٢] أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٤٥/٥) وأبو داود في "الملاحم"، باب: في أمارات الملاحم (٤٢٩٤) والحديث صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٠٩٦).

[٣] أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: الملاحم (٤٠٩٢) وأبو داود في "الملاحم"، باب: تواتر الملاحم (٤٢٩٥) والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه" (٨٩٠) والجامع (٥٩٤٥).

[٤] أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: الملاحم (٤٠٩٣) وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه" (٨٩١).

[٥] تقدم تخريجه.

* بل صح مرفوعًا: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق -وهما موضعان بالشام بقرب حلب فالأولى بفتح الهمزة وعين مهملة والثانية بكسر الموحدة على الصحيح- فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته"[1].

* وصح فيما يكون بين يدي الساعة "هدنة -أي: مصالحة بين المتحاربين أو بين المسلمين والكفار- تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون بكم فيسيرون إليكم على ثمانين غاية، أي: راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا فسطاط المسلمين، أي: محلهم الذي يجمعهم من مدينة أو غيرها يومئذ بأرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق".

* فالغوطة بالضم اسم البساتين والمياه التي حول دمشق.

* وعن كعب الأحبار مما رويناه في فضائل الشام للربعي أنه قال: "معاقل المسلمين ثلاثة فمن الروم دمشق، ومن الدجال الأردن، ومن يأجوج ومأجوج الطور" انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٥/٧٤٦-٧٤٧) ط الشعب.

* والمعاقل هنا الحصون واحدها معقل.

* ولابن ماجه في "سننه" وأبي الحسن الربعي في فضائل الشام من جهة سليمان بن حبيب عن أبي هريرة رفعه: "إذا وقعت الملاحم بعث الله تعالى من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجوده سلاحًا يؤيد الله بهم الدين"(١).

* والملاحم جمع ملحمة وهي الحروب وموضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسَّدَى أو قيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتل فيها.

* وصح قول المستورد القرشي عن عمرو بن العاص سمعت النبي ﷺ يقول: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. فقال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربعة: إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة -وفي لفظ: وأخبرهم عند مصيبة- وأوشكهم كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك"(٢).

* وفي حديث يروى: "عليكم بجهاد بني الأصفر فإن لكم كفلين من الأجر على جهاد من سواهم من أهل الأرض".

* وقتال الترك وفي أخبارهم تصنيف سمعناه وهم كما صح "صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف -بضم المعجمة ثم لام ساكنة وفاء، أي: فطسها قصارها من انبطاح، وقيل: هو غلظ في أرنبة الأنف، وقيل: هو تطامن فيها

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "الفتن"، باب: الملاحم (٤٠٩٠) وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٤٧/٥) ط الشعب.

وكله متقارب -كأن وجوههم المجان- بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن الترس -المطرقة- بإسكان الطاء وتخفيف الراء والمعنى تشبيه وجوه الترك في عرضها ونتوء وجناتها بالترسة المطرقة -ينتعلون الشعر"، وفي لفظ: "تقاتلون قومًا نعالهم الشعر"[(١)].

*ويروى: "اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب من أُمتي ملكهم بني قنطوراء" الحديث.

*زاد في رواية: "فإنهم أصحاب بأس شديد وغنائمهم قليلة".

*قال النووي رَحِمَهُ اللهُ هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ فقد وجد حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ وقاتلهم المسلمون مرات. انتهى.

*وعنى المرات التي قاتل فيها المسلمون الترك في خلافة بني أُمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدودًا إلى أن فتح ذلك شيئًا بعد شيء وكثر السبي منهم وتنافس فيهم الملوك لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ثم غلبت الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحدًا بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضًا فملكوا بلاد العجم ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم وكان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب واستكثر هؤلاء أيضًا من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغز فخربوا البلاد وفتكوا في العباد ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر فكان خروج جينكيزخان بعد الستمائة فأسعرت بهم

---

(١)أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

الدنيا نارًا خصوصًا المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة.

ثم لم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم اللنك ومعناه الأعرج واسمه تمر بفتح المثناة وضم الميم وربما أشبعت فطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه في البلاد، وظهر بجميع هذا مصداق قوله ﷺ: "إن بني قنطور أول من يسلب أمتي ملكهم"[1].

فالمراد ببني قنطور الترك وقنطورا بالمد والقصر، قيل: كانت جارية لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولادًا فانتشر منهم الترك حكاه ابن الأثير واستبعده، وجزم به المجد في "القاموس" مع حكاية قول آخر أن المراد بهم السودان.

وفي حديث آخر: "كأن وجوههم الحجف -بفتحتين جمع حجفة الترس- يلحقون أهل الإسلام بمنابت الشيح كأني أنظر إليهم وقد ربطوا خيولهم بسواري المسجد"[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "كأني بالترك وقد أتتكم على براذين مجذمة الآذان حتى تربطها بشط الفرات"[3].

وأسند الحاكم صاحب الصحيح في "مستدركه" إلى محمد بن يحيى أبي

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٨/٥)، والحاكم في المستدرك (٥٢١/٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(3) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٤٧٥/٤) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٣١٢/٧) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إن كان ابن سيرين سمع من ابن مسعود.

بكر الصولي النحوي أنه قال: أول من مدح الترك من شعراء العرب علي بن عباس الرومي حيث يقول:

إذا ثبتوا فسد من حديد تخال عيوننا فيه تحار
وإن برزوا فنيران تلظى على الأعداء يضرمها استعار[١]

* وقتال خوز وهم من بلاد الأهزاز من عراق العجم بحيث قيل إنهم صنف منهم.

* وقتال كرمان وهي بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند ورواه بعضهم بالإضافة فيهما خور كرمان واستشكل الجمع بينه وبين قتال الترك قال شيخنا: ويمكن أن يجاب بكونهما حديثين ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين.

* وكون المغنم دولا جمع دُولة بالضم فيكون لقوم دون قوم ولا يفرح بالغنيمة إما للاختصاص أو للكثرة والاستغناء أو لما تقدم في "لا يقسم ميراث"[٢].

* ورخص الخيل بعد غلوها لقلة التوجه للجهاد "وخليفة يحثو أو يحثي المال حثيًا أو حثوًا ولا يعده عدا"[٣].

* وفي لفظ: "يقسم المال ولا يعده"[٤]، وذلك لكثرة الأموال والغنائم

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٤/٤٧٤-٤٧٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٦٣/٥) ط الشعب.
(٤) أخرجه مسلم في "الفتن وأشراط الساعة" (٧٦٣/٥) ط الشعب.

والفتوحات مع سخاء نفسه.

* وكثرة القذف والتساهل بشأنه .

* وكثرة الشرور بحيث يكرم الرجل مخافة شره ويترك العمل "فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" وفيض اللئام فيضًا أي: يكثروا.

* وفي لفظ: "وتهلك الوعول" وهم من وجوه الناس وأشرافهم "وتظهر التحوت" وهو الذي كان تحت أقدام الناس من ليس يعلم بينهم أو فيهم.

* وفي لفظ: "التحوت فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة وأهل الوعول البيوت الصالحة".

* والمعنى يغلب الضعفاء من الناس أقوياءهم شبه الأشراف بالوعول لارتفاع شأنها على أنه قيل: إنه أراد بظهور التحوت ظهور الكنوز التي تحت الأرض.

* وفي "الصحيح": "إذا كان الحفاة العراة رعاء الشاء رؤوس الناس فذلك من أشراطها".

* وفي الحديث أيضًا: "لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة رذالها".

* وفي آخر: "لا تقوم الساعة حتى يكون أخص الناس بالدنيا لكع بن لكع" وهو عند العرب العبد ثم استعمل في الحر للذم.

* وصح: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" ولله در القائل:

أيا دهر أعملت فينا أذاكا ... ووليتنا بعد وجه قفاكا

قلبت الشرار علينا رؤوسا ... وأجلست سفلتنا مستواكا

تقدم تخريجه.

فيـــا دهـــر إن كنـــت عاديتنـــا فهـا قـد صـنعت بنـا مـا كفاكـا

* وقال آخر:

ذهب الرجال الأكرمون ذو الحجى والمنكـــرون لكـــل أمـــر منكـــر
وبقيـت فـي خلـف يزيـن بعضهـم بعضـا ليـدفع معـور عـن معـور

* وتطاول الناس سيما الحفاة العراة في البنيان حيث كثرت أموالهم واشتدت وجهاتهم ولم يكن لهم دأب ولا همة سوى في البناء غالبًا.

* واتخاذ بيوت توشى كما توشى المراحل يعني: تنقش وتزخرف.

* وتخريب عمران الدنيا وعمارة خرابها يعني: بحيث يعمر خرائب عنترة ونحوها ويكاد جامع عمرو بن العاص أن يخرب.

* وخروج الناس من المدينة إلى الشام.

* واتخاذ القينات، أي: الإماء القينات والمعازف -بمهملة ثم معجمة- أي: الدفوف وغيرها مما يضرب به وكثرة ذلك.

* وشرب الخمر ولبس الحرير.

* وأن توضع العمائم وتلبس القلانس.

* وحيف الأئمة، أي: جورهم وظلمهم.

* وبيع الحكم فهو كناية عن الارتشاء والإرشاء، ويروى "الدراهم والدنانير خواتيم الله في أرضه من جاء بها قضيت حاجتهم ومن لا فلا".

* ويأتي على الناس زمان من لم يكن معه فيه أصفر وأبيض لم يتهن بالعيش.

* وفشو شهادات الزور وكتمان شهادة الحق.

* ونقص الأحلام، أي: العقول.

* وكثرة الشرط بمعجمة وفتح الراء وهم أعوان السلطان ونحوه قال بعضهم: بل هم نخبة أصحاب الكبير الذين يقدمهم على غيرهم من جنده انتهى وهم الآن أعوان الظلمة ويطلق غالبًا على أقبح جماعة الوالي ونحوه بل يطلق على الوالي نفسه فيقال والي الشرطة وربما توسع إطلاقه على ظلمة الحكام.

* ولا تنطح ذات قرن جماء بفتح الميم والتشديد والمد والجماء التي لا قرن لها يعني: من كثرة عدم الظلم وذلك في زمن عيسى عليه السلام وتكليم السباع للإنس كما تقدم كأنه أيضًا في زمن عيسى عليه السلام وكثرة الهمازين واللمازين والهمز العيب للناس بالغيب واللمز العيب والوقوع في الناس وقيل: العيب في الوجه.

* إلى غير ذلك مما ذكر مما لا يحصر.

* والحاصل أن العلامات التي أخبر الشارع بأنها ستقع بعده قبل قيام الساعة مما في بعضها ما هو غير مذموم على أقسام.

أحدها: ما وقع على وفق ما قال كتمني رؤيته ﷺ واقتتال الفئتين العظيمتين وقتال الترك وكثرة الهرج وظهور الفتن وتطاول الناس في البنيان وتمني بعض الناس الموت وأخذ أمته بأخذ القرون قبلها مما هو مندرج في علامات النبوة حيث وقع طبقًا للخبر وفي كتاب "دلائل النبوة" للبيهقي وغيره مما هو بالأسانيد المقبولة الكثيرة.

ثانيها: وقعت مبادؤه أو ظهر الكثير منه ولم يستحكم والمراد ما استحكم بحيث لم يبق مما يقابله إلا النادر فهذا هو الذي يعقبه قيام الساعة؛ ومن هذا

القسم تقارب الزمان وكثرة الزلازل وإلقاء الشح وخروج الدجالين الكذابين وتوسيد الأمر إلى غير أهله وعدم قسم الميراث.

ثالثها: لم يقع منه إلى الآن شيء كطلوع الشمس من مغربها وإعلام الشجر وغيره باختفاء اليهود خلفه.

وهذا التقسيم أحسن من قول بعضهم من العلامات ما هو إمارة لمجرد القرب كالدخان والخسف.

ومنها ما هو إمارة للحصول كالدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تحشر الناس.

نسأل الله السلامة والخلاص إلى انتهاء القيامة

فصل

في الإيمان باليوم الآخر

وما فيه من البعث والنشور ولقاء الله تعالى

اعلم -رحمني الله وإياك- أنه "يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله ﷻ الحاصل فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يأيها الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[٦].

---

(١) البقرة:٤٥-٤٦.

(٢) الأنعام:٥٤.

(٣) الانشقاق:٦.

(٤) الكهف:١١٠.

(٥) يونس:٧-٨.

(٦) الأنعام:٣١.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٦) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾(٧) وغيرها من الآيات.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال: "ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب

---

(١) يونس:١٥.

(٢) العنكبوت:٥.

(٣) البقرة:٢٢٣.

(٤) البقرة:٢٤٩.

(٥) الفرقان:٢١.

(٦) التوبة:٧٧.

(٧) النبأ:٢٧.

الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه -وفي رواية- والموت قبل لقاء الله".
وفيه عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" قال فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا. فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" وليس من أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وفيه عن عبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ المرفوع منه دون شرحه.

وفيه عن أبي هريرة ﵁ قال: "قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال فيلقى العبد فيقول أي قل ألم أكرمك وأسوّدك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول أي قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث: فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذًا. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من الذي

يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعلمه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه" وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة "بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه". وروي أنه كان قرآنا فنسخت تلاوته، والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله ﷻ كثيرة جدًا، ومن كذب بذلك كفر.

(البعث والنشور) أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي الله الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ الله مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله

---

(١) البقرة:٥٥-٥٦.

(٢) البقرة:٧٣.

(٣) البقرة:٢٤٣.

(٤) البقرة:٢٨.

يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾[٤] الآيات.

---

(١) البقرة:٢٥٨-٢٦٠.

(٢) الأعراف:٥٧.

(٣) الرعد:٥.

(٤) الأنعام: ٢٩-٣١.

وقال تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ الله مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ الله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ(٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [١]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [٥].

---

[١] إبراهيم: ٤٧-٤٨.

[٢] الحجر: ٢٣-٢٥.

[٣] التوبة: ١٠٥.

[٤] الإسراء: ٤٩-٥٢.

[٥] الإسراء: ٩٧-٩٩.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ -إلى قوله- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾(٤) الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾(٥) الآيات. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا(٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾(٦) الآيات إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا

---

(١)الإسراء:١٠٤.

(٢)الكهف:١٢.

(٣)الكهف:١٩-٢١.

(٤)الكهف:٤٧-٤٨.

(٥)الكهف:٩٩.

(٦)مريم:٦٦-٩٨.

(٧)طه:٥٥.

(١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

---

(١) طه:١٠٢-١٠٨.

(٢) الأنبياء:١.

(٣) الأنبياء:٣٨-٣٩.

(٤) الأنبياء:١٠٤.

وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[٢].

وقال تعالى عن كفر عاد: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ(٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ(٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ(٨١) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ(١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

---

(١) الحج: ١-٧.

(٢) المؤمنون: ١٢-١٧.

(٣) المؤمنون: ٣٣-٣٧.

(٤) المؤمنون: ٨٠-٨٣.

بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ(١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [(٢)] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [(٤)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [(٥)].

وقال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ - إلى قوله تعالى- ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ(٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ(٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

---

(١) المؤمنون: ١١٢-١١٦.

(٢) النور: ٦٤.

(٣) الفرقان: ٣.

(٤) يونس: ٤٥.

(٥) يونس: ٣٤.

فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ الله وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ الآيات[1].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ الله الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ الله يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الله يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾الآيات -إلى قوله- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾الآيات[3].

وقال تعالى: ﴿الله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ﴾[4].

---

(١) النمل: ٦٤-٨٧.
(٢) العنكبوت: ١٩-٢٢.
(٣) الروم: ٦-٢٧.
(٤) الروم: ٤٠.

وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

الآيات. وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦] الآيات.

---

(١) الروم:٤٨-٥٠.

(٢) الروم:٥٥-٥٦.

(٣) لقمان:٢٨.

(٤) السجدة:١٠-١١.

(٥) الأحزاب:٦٣.

(٦) سبأ:٢٩-٣٠.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ(٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[6] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ

سبأ: ٥١.

سبأ: ٧.

فاطر: ٩.

يس: ١٢.

يس: ٣٣.

يس: ٤٨-٥٣.

الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ(١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[٥] الآيات.

---

(١) يس: ٧٧-٨٣.

(٢) الصافات: ١١-٢٣.

(٣) ص: ٧٩-٨١.

(٤) الزمر: ٣٠-٣١.

(٥) غافر: ١٥-١٦.

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٦] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[٧].

(١) غافر:٣٢-٣٣.
(٢) فصلت:٣٩.
(٣) فصلت:٥٤.
(٤) الشورى:٧.
(٥) الزخرف:١١.
(٦) الدخان:٣٤-٤٠.
(٧) الجاثية:٢٢.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ(٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ الله يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ(٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[3] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ -إلى قوله- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ(١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ -إلى قوله- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[5] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾[6] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣)

---

(١) الجاثية: ٢٤-٢٦.

(٢) الأحقاف: ٣٣.

(٣) ق: ١-٤.

(٤) الذاريات: ١-٦.

(٥) الطور: ١-١١.

(٦) الطور: ٤٥.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾[٤] إلى آخر السورة، وسورة الواقعة بتمامها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ الله وَنَسُوهُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ -إلى قوله- ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا

---

(١) النجم: ٤٢-٤٤.

(٢) القمر: ٦-٨.

(٣) القمر: ٤٦.

(٤) الرحمن: ٣١.

(٥) الحديد: ١٢.

(٦) المجادلة: ٦-٧.

(٧) المجادلة: ١٨.

مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾الآية[٢].

وقال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يأيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[٤] الآيات، وسورة الحاقة بكمالها.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الآيات[٥]، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[٦] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا﴾[٨] الآيات.

---

(١) الممتحنة:١٣.

(٢) التغابن:٩.

(٣) التحريم:٧-٨.

(٤) الملك:٢.

(٥) القلم:٣٥.

(٦) المعارج:١.

(٧) المعارج:٤٢-٤٤.

(٨) الزمل:١١.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[٣].

وجاء جوابه في الحديث "بلى إنه على كل شيء قدير" وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[٤].

الآيات بل السورة بتمامها، وجميع السور التي بعدها: المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموت

---

(١) المدثر:٨-١٠.

(٢) القيامة:١-٤.

(٣) القيامة:٣٦-٤٠.

(٤) الإنسان:١.

بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة، فيقول ﷻ: ﴿**كذلك الخروج، كذلك النشور، كذلك تخرجون، كذلك يحيي الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾.

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدا، وقد تقدم كثير منها في مواضع متفرقة، وقال البخاري رحمه الله "حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد".

وقال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده "حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبدالرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش قال: إن رسول الله ﷺ "بصق يومًا في كفه فوضع عليها إصبعه، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى بني آدم أنى تعجزني وقد خلقتك مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق، وأنى أوان الصدقة". ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم" قال: ونزلت الآيات من آخر يس. وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث، منها: وقال رسول الله ﷺ "إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا

فيه يركب يوم القيامة، قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب" وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب".

وقال رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "ما بين النفختين أربعون –قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت –ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل.

قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

ورواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه، دون قوله "ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء" وتقدم حديث عبدالله بن عمرو قريبًا وفيه "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا.

قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله –أو قال: ينزل الله- مطرًا كأنه الطل –أو الظل، نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق".

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة" وفي حديث الصور الآتي قريبا إن شاء الله "ثم ينزل الله عليهم

ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطراثيث -أو كنبات البقل- حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله ﷻ: ليحي حملة العرش، فيحيون. يأمر الله ﷻ إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان. ثم يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نورًا وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون" الحديث[١].

---

(١) حافظ بن أحمد حكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول في التوحيد- دار الفكر- (٢/١٧٠-١٨٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

... هذه الأكوان... إلخ

يشير بذلك إلى قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[1] الآيات.

وإلى ما في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرضة النقي ليس فيها معلم لأحد".

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة".

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾.

قالت قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: "على الصراط"، وفيه من حديث اليهودي الذي سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلمة دون الجسر" الحديث، ولابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن حبرًا من اليهود سأل النبي ﷺ فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فأين الخلق عند ذلك؟ فقال "أضياف الله،

---

[1] إبراهيم: ٤٨.

فلن يعجزهم ما لديه" ورواه ابن أبي حاتم أيضًا.

وفي حديث الصور الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال "يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها وجه ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة" وهذا هو الذي أسار رحمه الله إليه بقوله: وتمد أيضًا مثل مد أديمنا إلخ البيت.

وقوله: وهما كتبديل الجلود لساكني النيران.. إلخ يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾.

ووجه المشابهة بين التبديلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت.

ومعنى قوله "غيرها" أي صارت غيرها لعودها بعد ما نضجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصي في الدنيا وبها تجازي في الآخرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودًا بيضًا أمثال القراطيس، يعني تجدد لهم الجلود التي نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبدًا والعياذ بالله، وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهي هي، والله أعلم.

وقوله رحمه الله : وكذلك يقبض أرضه وسماءه بيديه.. إلخ، يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1] .

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[2] .

---

(١) الأنبياء:١٠٤.

(٢) الزمر:٦٧.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** الآية.

وللإمام أحمد والترمذي -رحمهما الله- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه؟ وأشار بالسبابة، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، كل ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل **﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾** الآية.

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض".

وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال "إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك".

وفي لفظ مسلم "يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك -ويقبض أصابعه ويبسطها- أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ".

ولفظ أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال "إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر **﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** ورسول الله

ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به".

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة.

وقوله رحمه الله"وتحدث الأرض التي كنا بها، أخبارها إلخ" يشير إلى قوله تعالى:﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[1] .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾.

قال "أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها" ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الحدسي أن رسول الله ﷺ قال: تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أجد عامل عليها خيرًا أو شرًا إلا وهي مخبرة" .

وقال البخاري رحمه الله : أوحى لها وأوحي إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد، وكذا قال ابن عباس.

وعنه رضي الله عنه قال: قال لها ربها قولي فقالت: وقال مجاهد: أوحى لها أي أمرها.

---

(١) الزلزلة:٤-٥.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ:

وتقيء يوم العرض من أكبادها كالاسطوان نفائس الأثمان

كل يراه بعينه إلخ. يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[1].

وإلى ما رواه مسلم رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، فيجئ القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجئ القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا.

وقوله "وكذا الجبال تفت فتًا محكمًا إلخ" يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾[2].

وقوله عز وجل ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ الآية.

وقوله عز وجل: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[3].

وقوله عز وجل: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[4].

وفي آية القارعة: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[5].

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلا﴾[6].

---

(١) الزلزلة:٢.
(٢) طه:١٠٥-١٠٧.
(٣) الواقعة:٥-٦.
(٤) المعارج:٩.
(٥) القارعة:٥.
(٦) المزمل:١٤.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[(١)].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[(٢)].

وقوله ﷻ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[(٣)].

وقوله ﷻ: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[(٤)].

وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾[(٥)] وما في معانيها من الآيات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾[(٦)] أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[(٧)] أي يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييرًا فيذرها أي الأرض قاعًا صفصفًا أي بسطًا واحدًا، والقاع هو المنبسط المستوي من الأرض والصفصف الأملس ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾[(٨)] أي: لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا صدعا ولا أكمة ولا مكانا منخفضًا ولا مرتفعًا.

كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف –رحمهم الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾

---

(١) المرسلات:١٠.
(٢) التكوير:٣.
(٣) النبأ:٢٠.
(٤) الحاقة:١٤.
(٥) الكهف:٤٧.
(٦) طه:١٠٥.
(٧) طه:١٠٥.
(٨) طه:١٠٧.

أي قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1] أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر.

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فتتت فتا. وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدِّي: كسرت كسرًا. وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييرا. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت. ونظيرها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[2].

وقال ابن كيسان: جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[3]: غبارًا متفرقًا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء. وقال أبو إسحاق عن الحارث عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء.

وقال العوفي عن ابن عباس: الهباء يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا. وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته، وقال قتادة: هباء منبثا، كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح.

وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدي: العهن الصوف، وقال البغوي: كالصوف المصبوغ، ولا

---

(١) النمل:٨٨.

(٢) طه:١٠٥.

(٣) الواقعة:٦.

يقال عهن إلا للمصبوغ، وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف.

وقال: المنفوش المندوف، وقال ابن كثير: المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، وقال في قوله: ﴿كَثِيبًا مَهِيلًا﴾: أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء.

وقال البغوي: رملا سائلا، قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه، وقال ﴿نُسِفَتْ﴾[(١)] قلعت من أماكنها، وقال ابن كثير: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر.

وقال في ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[(٢)]: أي يخيل إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر. وقال في ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾[(٣)]: تذهب عن أماكنها وتزول. ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾[(٤)] أي: بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحدا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية.

قال مجاهد وقتادة ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾: لا حجر فيها ولا غيابة. وقال قتادة أيضًا: لا بناء ولا شجر.

وقال البغوي: ﴿فَدُكَّتَا﴾ كسرتا ﴿دَكَّةً﴾ كسرة ﴿وَاحِدَةً﴾ قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثم عهنا منفوشًا، ثم تصير هباء منثورا.

---

(١) المرسلات:١٠.

(٢) النبأ:٢٠.

(٣) الطور:١٠.

(٤) الكهف:٤٧.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : وكذا البحار فإنها مسجورة، قد فجرت.. إلخ يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[1] وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[2] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فجر الله تعالى بعضها في بعض، وقال الحسن: فجر الله تعالى بعضها في بعض فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها. وقال الكلبي: ملئت. وقوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارًا تضطرم.

وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحرًا واحدًا.

وقال الكلبي: ملئت. وقيل: صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن: يبست. وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة. والمعنى المتحصل من أقوالهم -رحمهم الله- أنها يفجر بعضها في بعض فتمتلئ ثم تسجر نارًا فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بينهما فقال "مسجورة قد فجرت" والله تعالى أعلم.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : "وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعنا" إلخ. يشير إلى قوله الله ﷻ: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[3].

وقوله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[4] خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي صار أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران.

---

(١) التكوير:٦.
(٢) الانفطار:٣.
(٣) القيامة:٨-٩.
(٤) التكوير:١.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت.

وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: ذهب ضوؤها، وقال سعيد بن جبير: كورت غورت.

وقال ربيع بن خيثم: رمي بها، وقال أبو صالح: ألقيت، وعنه أيضًا: نكست.

وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها.

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله تعالى ريحًا دبورًا فيضرمها نارًا. وكذا قال عامر الشعبي. ولابن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: "كورت في جهنم" وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ "الشمس والقمر يكوران يوم القيامة".

وللبزار عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة".

وقوله رحمه الله "وكواكب الأفلاك تنثر كلها..إلخ" يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا

النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[3] أي محى نورها وذهب ضوؤها، وانكدرت: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكذا السماء تشق شقًا ظاهرًا وتمور" إلخ. يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[5].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾[6].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[9].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾[10].

---

(١) التكوير:٢.
(٢) الانفطار:٢.
(٣) المرسلات:٨.
(٤) الانشقاق:١.
(٥) الحاقة:١٦.
(٦) الفرقان:٢٥.
(٧) المزمل:١٨.
(٨) الانفطار:١.
(٩) التكوير:١١.

وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[٣].

وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[٤].

وقوله ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٥].

قوله ﴿انْشَقَّتِ﴾: أي صارت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ عن ابن عباس: تغير لونها، وعنه قال كالفرس الورد. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد.

وحكى البغوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد اغبر لونها، فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه. ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: هو جمع دهن، شبه السماء في تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانًا، وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب. وذلك حين يصيبهما حر جهنم، وقال ابن عباس والكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن. وقال عطاء الخراساني: كلون الدهن في الصفرة.

وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان، وقال

---

(١) المرسلات: ٩.

(٢) النبأ: ١٩.

(٣) الطور: ٩.

(٤) المعارج: ٨.

(٥) الرحمن: ٣٧.

ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ "يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم" قال الجوهري: الطش المطر الضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكا، وعنه: هو تشققها.

وقال مجاهد: تدور دورًا، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة.

وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل تضطرب، وقال البغوي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة، قال: والمور يجمع هذه المعاني كلها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء، والتردد والدوران، والاضطراب.

وقال تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [١] عن علي قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم، والملك اسم جنس -أي الملائكة- على أرجاء السماء، قال ابن عباس على ما لم ير منها أي حافاتها، وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعي، وقال الضحاك: أي أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: متشقق.

---

(١) الحاقة: ١٦-١٧.

قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله، و﴿فُرِجَتْ﴾ قال ابن كثير: أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ "والعرش والكرسي لا يفنيهما إلخ" وكذا قوله "والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى.. إلخ" يعني أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه.

وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها، وقد جاء في تفسير قوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾[١]: أن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب.

وقد قال الإمام أحمد في ذلك: إنه هو اعتقاد السلف الصالح. قال فإن احتج مبتدع بقوله عَجَّلَ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ**﴾[٢] و﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[٣] قيل: إن المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان، ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضًا فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت، وكذا جاء في العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند موته كما في حديث الصور الطويل، وقوله "ولأجل هذا قال جهم إنها عدم.. إلخ" يعني أن لجهم إلحادًا في آيات الله جميعها، فكما ألحد في آيات الأسماء والصفات ألحد أيضًا في آيات الوعد الوعيد، وجحد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة

---

(١) الزمر:٦٨.

(٢) القصص:٨٨.

(٣) الرحمن:٢٦.

فيهما وقضى أيضًا بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتي إن شاء الله، وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأنبياء لأنهم تحت الثرى　　　أجسادهم حفظت من الديدان

..إلخ.

يشير إلى ما في السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله كيف تعض صلاتنا عليك وقد أمرت؟ قال يقولون: بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ "أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلي عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ، قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

ورواه ابن ماجه بإسناد جيد، وفي رواية للطبراني "ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صلاته، قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: وبعد وفاتي، إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

والأحاديث في بلوغ صلاتنا إليه، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جدا، وبعضها في الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد.

وقد ثبت أيضًا في أجساد الشهداء أنها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم

عن عطاء عن جابر قال "لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليَّ دينا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه"، ولأصحاب السنن عنه رضي الله عنه من حديث طويل، وفيه فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبدالله، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل".

وللبيهقي عنه رضي الله عنه قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دمًا". وفي رواية ابن إسحاق عنه قال "فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس".

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه: من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره -عمرو بن الجموح- ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دمًا، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك - رضي الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا، وفي ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله "وكذاك عجب الظهر لا يبلى إلخ"، يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا وفيه "وليس من الإنسان شيء إلا سيبلى، إلا عظمًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ "وكذلك الأرواح لا تبلى... إلخ" يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريبًا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أن الأرواح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه، وهي النسمة التي يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقة، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنها بعد مفارقتها الجسد إما أن تنعم أو تعذب.

وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد، وأنها تجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله، فتطير كل روح إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم في اللديغ حتى يقوم بشرا سويا، وأنها بعد خروجها من الجسد تكلم وتتكلم وتسأل وتجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة.

وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهود النبي ﷺ عنه أنزل الله تعالى جوابهم **﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾**(1)"(2).

وقال: ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

فالشأن للأرواح عند فراقها ... **أبدانها والله أعظم شان**

"يعني أنه أعظ شأنًا من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذا ذاك الخير عيانًا، والغيب شهادة والمستور مكشوفًا، والمخبأ ظاهرًا، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما

---

(1) الإسراء:٨٥.

(2) معارج القبول- (٢/٢٠٥-٢١٩).

علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحًا وسرورًا، والمكذب يرى ويجد حور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضي إلى ما قدم.

وقوله "إما نعيم أو عذب.. إلخ" يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[1].

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات، وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر، فليرجع إليه، ولله الحمد والمنة.

وقوله رحمه الله "وتصير طيرًا سارحًا مع شكلها..إلخ" يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة "نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه".

وقوله رحمه الله: "لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر.. إلخ" يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ الآيات[2]، وما في معناها.

وفي الصحيح من حديث الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبدالله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم

---

(١) الواقعة:٨٨-٩٦.

(٢) آل عمران:١٦٩.

تأوي إلى القناديل، فاطلع إليهم ربهم ﷻ اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا" وغير ذلك من الأحاديث، وقوله:

وإذا أراد الله إخراج الورى بعد الممات إلى معاد ثان
ألقى على الأرض التي هم تحتها مطرًا غليظًا أبيضا متتابعًا..إلخ

يشير إلى حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بطوله وفيه "ثم يرسل الله- أو قال ينزل الله- تعالى مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس" الحديث.

وفي حديث الصور الطويل "ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل" وهو الذي عناه بقوله "عشرًا وعشرًا بعدها عشران".

وقوله "أوحى لها رب السما فتشققت إلخ" يشير إلى قول الله ﷻ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾.

قال ابن عباس: بحثت، وقال السدي: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوي: بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وقال في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: أثير وأخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي من الأموات.

وقوله "وتخلت الأم الولود.. إلخ" يشير إلى قوله تعالى:﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا

﴿وَتَخَلَّتْ﴾[1] قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم. اهـ.

وقوله "وأخرجت أثقالها..إلخ" يشير إلى قوله ﷻ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ -إلى قوله- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : يعني ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف: وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان، وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها، وقوله رَحِمَهُ اللهُ: "والله ينشي خلقه" أي هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم "في نشأة أخرى..إلخ" يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[3].

فهذه هي النشأة الأولى قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[4].

وهو البعث بعد الموت قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لا تَعْلَمُونَ(٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾[5] وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعدما فرقهم وينشرهم بعدما مزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[6].

---

(١) الانشقاق: ٤.

(٢) الزلزلة: ٢-٥.

(٣) النجم: ٤٥-٤٦.

(٤) النجم: ٤٧.

(٥) الواقعة: ٥٧-٦٢.

(٦) فاطر: ٤٤.

وقوله "ما قال إن الله يعدم خلقه.. إلخ" أي لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ إنه يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا، ولا إن المعذب غير من مرد على المعاصي ﴿**إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾- ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾- ﴿**وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾، بل قال تعالى ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[1]، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ "فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم" ولم يقل إنه غيركم الذي يخرج، والكلام في هذا الباب يطول جدًا، والنصوص فيها لا تحصى كثرة، وإنما أشرنا على بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان. إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سقنا من نونية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع غاية الاختصار، والإيجاز ولله الحمد والمنة[2].

كما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم في ذكر الملائكة، وقد ذكر الله ﷻ النفخ فيه في مواضع من كتابه، كقوله ﷻ ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾[3] الآيات.

---

(1) طه:٥٥.

(2) معارج القبول: (٢٢٠-٢٢٤).

(3) الزمر:٦٨.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ الله وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[1] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]. ولنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث وبالله التوفيق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية الأخرى: وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال: "إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصًا بصره في العرش ينتظر متى يؤمر" قلت: يا رسول الله وما الصور؟

قال "القرن" قلت: كيف هو؟ قال "عظيم، والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات:

النفخة الأولى نفخة الفزع.

والثانية نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهي كقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا

---

(١) النمل: ٨٧.

(٢) الأنعام: ٧٣.

صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[1] فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا، ثم ترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح، وهو الذي يقول ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾[2] فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع، وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع.

ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضًا، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ التَّنَادِ**﴾[3] فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ: "الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك".

قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله ﷻ حين يقول: ﴿**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾؟

قال: "أولئك الشهداء" وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه" قال: "وهو الذي يقول الله ﷻ ﴿**يأيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ**

---

(١) ص:١٥.

(٢) النازعات:٦-٨.

(٣) غافر:٣٢.

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1] فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار ﷻ فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت.

فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا، فيقول الله ﷻ: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله تعالى العرش فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟

فيقول: اسكت فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله ﷻ وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا.

فيقول الله تعالى: لتمت حملة العرش، فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك، فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟

فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت. فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرًا كما كان أولا، طوى السموات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار -ثلاثًا- ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم -ثلاث مرات-

---

(١) الحج:١-٢.

فلا يجيبه أحد. ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى: من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها.

ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله ﷻ: ليحيى حملة عرشي، فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه.

ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض.

فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ حفاة عراة غرلا، فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دمًا وتعرقون

القمر: ٨.

حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، فيستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاءوا نبيا أبى عليهم، قال رسول الله ﷺ : حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدًا". قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟ قال "قدام العرش، حتى يبعث الله إلي ملكًا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد.

فأقول: نعم يا رب، فيقول ﷻ: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم. قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسًا شديدًا فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟

قالوا: لا وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟

فيقولون: لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار ﷻ في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلي والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان

الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه.

ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم.

ثم يقول ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] أو ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ شك أبو عاصم ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

فيميز الله الناس وتجثو الأمم، يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] فيقضي الله ﷻ بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن. فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، ثم يقضي الله تعالى بين العباد: فكان أول ما يقضي فيه الدماء، ويأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله ﷻ كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول -وهو أعلم- فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة

---

(١) يس: ٦٠-٦٣.

(٢) الجاثية: ٢٨.

إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه، وتشخب أوداجه فيقول: يا رب قتلني هذا؟ فيقول تعالى -وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول: يا رب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه. ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فكيشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان سجدًا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله ﷻ أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال، فناج سالم، وناج مخدوش، ومكدوس على وجهه في جهنم. فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فتدخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا.

فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله. فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلا، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول: عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة، فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا، ويقول: لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم. فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد. قال رسول الله ﷺ فيأتوني ولي عند رب ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت له ساجدًا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعت رأسي يقول الله تعالى -وهو أعلم- ما شأنك؟ فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك، وقد أذنت لهم في دخول الجنة" وكان رسول الله ﷺ يقول "والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم" فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين بما ينشئ الله ﷻ وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا، فيدخل على الأول في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجًا من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت. كبدها له مرآة وكبده لها مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما أيتها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما

تشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا مني ولا منية، إلا أن لك أزواجًا غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك ولا في الجنة شيء أحب إليَّ منك، وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها، قال رسول الله ﷺ "فأقول يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانًا، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله تعالى فيقول: أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانًا ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول رب دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرًا قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له، ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر، مكتوب في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرًا لله قط: فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب: فيمحوه الله ﷻ عنهم".

قال ابن كثير ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جدا

ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه: فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قال رَحِمَهُ اللَّهُ قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جدًا، ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ فقال قرن ينفخ فيه".

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر، فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

"غرلا حفاة" الأغرل الأقلف، حفاة غير منتعلين "كجراد منتشر" شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك. قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى

(١) القمر: ٦-٨.

﴿الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا".

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال: "إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[٢] الآية.

وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي، فيقول الله ﷻ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣] قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم".

وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلا"، وفي أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، وفيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "تحشرون حفاة عراة غرلا، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك".

وفي رواية النسائي "فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال

---

(١) المدثر: ٨-١٠.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) المائدة: ١١٧-١١٨.

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه".

وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا. قال فقالت زوجته: يا رسول الله ينظر -أو يرى- بعضنا عورة بعض؟ قال: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" أو قال "ما أشغلهم عن النظر".

رواه الترمذي بنحوه وقال حسن صحيح.

وروى ابن أبي حاتم عن أنس ﷺ قال "سألت عائشة ﷺ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به. قال: إن كان عندي منه علم. قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة. قالت: واسوأتاه من يوم القيامة. قال: وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون. قالت: أية آية يا نبي الله؟ قال: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ "يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان. فقلت: يا رسول الله واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقل: قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه".

وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ "أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة"؟

قال قتادة: بلى وعزة ربنا، قلت: وذلك قول الله ﷻ: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾ الآيات. فشتان ما بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين. أولئك

الإسراء: ٩٧

يفدون ركبًا إلى جنات النعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسبحون سحبًا إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[١] قال ابن عباس: وفدا ركبانا. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال ابن جريج: على النجائب، وقال الثوري: على الإبل النوق. قال قتادة: إلى الجنة. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما يحشر والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

وروى عبدالله بن الإمام أحمد في مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال: كنا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة، ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد، ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله، فقال النبي ﷺ "والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون -أو يؤتون- بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدًا، وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون -أو فيأتون- باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين".

---

[١] مريم:٨٥-٨٦.

وذكر الحديث مطولا والصحيح وقفه. ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء، ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش. قلت: ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها، ومهلها وحميمها. وفي حديث الشفاعة الطويل "فيقال لهم ماذا تشتهون؟ فيقولون عطشنا. فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فيقال لهم: ألا تردون" الحديث. فسبحان الله وبحمده الله أكبر، كانوا في الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب، فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح له مقيله، فلما كانوا في البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه، هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون، هؤلاء إلى الرحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون، هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونًا منهم وظهورا. هؤلاء وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا، وأولئك أعد الله لهم سعيرا، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرا، وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورا، لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا، هؤلاء عليهم حلل السندس والاستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرابيلهم من قطران، هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرة وعشيا، وأولئك تركوا في جهنم جثيا، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم

عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار، هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم رب العالمين، وأولئك ينادي بهم على رءوس الإشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، فحينئذ ظهر الفرقان وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفًا، والمخبأ ظاهرًا ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[١]: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢] كم كاس في الدنيا طال يومئذ عريه، كم طاعم في الدنيا عظم يومئذ جوعه، كم ريان في الدنيا اشتد يومئذ عطشه، كم ناعم في الدنيا حق به يومئذ بؤسه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

ويجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلي
في موقف يجل فيه الخطب ويعظم الهول به والركب

"ويجمع الخلق" أولهم وآخرهم "ليوم الفصل" يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ، وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وسماه يوم التلاق لأنه يلقى فيه العبد ربه

---

(١) ص:٢٨.
(٢) الجاثية:٢١.
(٣) القصص:٨٣-٨٤.

ويلقى فيه العامل عمله ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهل السموات والأرضين، وسماه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه يوم التناد، لتنادي العباد بعضهم بعضا، ولمناداة الله ﷻ عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلا من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله ﷻ: ﴿الله لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ(١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[7].

---

(١) النساء:٨٧.
(٢) التغابن:٩.
(٣) المائدة:١٠٩.
(٤) الكهف:٩٩.
(٥) الكهف:٤٧-٤٨.
(٦) المرسلات:١٢-١٥.
(٧) غافر:١٥-١٦.

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾[٣] - ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلا﴾[٤].

وقبل ذلك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾[٥].

وقال في السعداء: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[٦].

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾- إلى قوله- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[٨].

وقال تعالى في منادة المنافقين المؤمنين ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآيات[٩].

وقال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)

---

(١) التوبة:٧٧.
(٢) الزلزلة:٦-٨.
(٣) النبأ:٣٨.
(٤) الفرقان:٢٥.
(٥) الفرقان:٢٢.
(٦) الأنبياء:١٠٣.
(٧) غافر:٣٢-٣٣.
(٨) القصص:٦٥.
(٩) الحديد:١٤.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[2] وغيرها من الآيات.

"وجميعهم علويهم" وهم عوالم السموات (والسفلى) وهو عوالم الأرضين. وقد تقدم في حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض. "في موقف" عظيم "يجل" يشتد "فيه الخطب" الشأن والأمر "ويعظم الهول" الأمر الفظيع الهائل "به" ي فيه "والكرب" الحزن الآخذ بالنفس والهم والغم. وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

---

(١) الأعراف:٤٣-٥٠.

(٢) هود:١٨.

الْعَالَمِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾- إلى قوله- ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾- إلى قوله- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾[٧].

وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه".

ورواه أحمد بلفظ "يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن ﷻ يوم

---

(١) المطففين: ٤-٦.
(٢) إبراهيم: ٤٢-٤٣.
(٣) غافر: ١٨.
(٤) المعارج: ٤-١٤.
(٥) المدثر: ٩-١٠.
(٦) الإنسان: ٧-١١.
(٧) الإنسان: ٢٧.

القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم" وله عن المقداد بن الأسود الكندي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين، قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا"

رواه مسلم والترمذي، وروى أحمد أيضًا عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق"، وفيه عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس: فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ الحجر، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه -وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا- ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده إشارة". وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم". ولابن أبي حاتم عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري "كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر" قال بشير: المستعان الله. قال: "فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب".

وفي السنن عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال قتادة: مسرعين. وقال مجاهد: مديمي النظر. ومعنى الاهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه، ويقبل ببصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد. ﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي هي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواهم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها، ومنه سمي ما بين السماء والرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئًا ولا تعقل من الخوف. وقال سعيد بن جبير: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، قال البغوي رحمه الله: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم اهـ. وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[١] قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد. ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٢] وقال ابن جريج: باكين، وقال البغوي: مكروبين ممتلئين خوفًا وجزعًا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣].

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الزكاة وفيه "من كانت له إبل لا يعطي فيها حقها في نجدتها ورسلها، قلنا: يا رسول الله، ما نجدتها

---

(١) غافر:١٨.

(٢) النبأ:٣٨.

(٣) المعارج:٤.

ورسلها؟ قال: في عسرها ويسرها. فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطأه بأخفافها فإذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حتى يقضي بين الناس فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار" الحديث. ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [١]. لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [٢].

هذه الآية كقوله تعالى: ﴿يأيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [٤] قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يا مؤمن إن لي عندك يدًا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرًا، فيقول: يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكنني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا

---

(١) المعارج: ١٠-١١.
(٢) عبس: ٣٧.
(٣) لقمان: ٣٣.
(٤) فاطر: ١٨.

هذه أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها إلي لعلي أنجو بها مما ترين. قال فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا، إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ الآية.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2].

﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نفخ، ﴿فِي النَّاقُورِ﴾الصور. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ. فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله. قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا" رواه الإمام أحمد وابن جرير. ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ عليهم وروى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة رحمه الله أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ شهق شهقة فمات، أولئك قوم قرأوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية، وبصائر نافذة، وأفهام جلية ونفوس علية، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأثمر ذلك في قلوبهم خشية الله ﷻ فذابوا خوفًا وحياء من ربهم وشوقًا

---

(١) لقمان:٣٣.

(٢) عبس:٣٤-٣٧.

إليه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

وقال تعالى فيهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[2] قال ابن عباس فاشيا. وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض. وقال مقاتل: كان شره فاشيا في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

[illegible] على نأيها مستطيرا

يعني ممتدًا فاشيا، وقوله: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال ابن عباس: ضيقًا طويلا وعنه قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وقال مجاهد ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقبض الوجه بالسيور. وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول.

وقال ابن زيد: العبوس الشر والقمطرير الشديد.

وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارًا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

[illegible] إذا ما كان يوم قماطر

[illegible] علائق الأنساب

[illegible] البليغ في المقال

---

(1) فاطر: ٢٨.

(2) الإنسان: ٧.

"وأحضروا للعرض" العرض له معنيان معنى عام وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب، والمعنى الثاني عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب المناقشة، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالا وتفصيلا كما قال ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[(١)] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[(٢)] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[(٦)].

---

(١) الحاقة:١٨.

(٢) الكهف:٤٨.

(٣) النمل:٨٣-٨٥.

(٤) الزلزلة:٦-٨.

(٥) الحجر:٩٢-٩٣.

(٦) الصافات:٢٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[١] وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله" وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه. وروى ابن جرير عن عبدالله بن مسعود نحوه موقوفًا، وفي الصحيحين: سئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال: "ما أنزل الله فيها إلا هذه الآية الفاذَّة الجامعة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرفع أبو بكر يده، وقال: يا رسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة" وعن أبي العالية في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢)

---

(١) الغاشية:٢٥-٢٦.

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين".

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: والذي لا إله غيره، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرك مني بي، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ابن آدم ماذا أجبت المرسلين" ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ "يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك"، وعن ابن عباس **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** قال: **﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾**[(١)] قال: لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ؟

وفي الصحيح عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾**[(٢)]؟ فقال رسول الله ﷺ "إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب".

وفيه عن أنس ابن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ كان يقول "يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك".

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من

---

(١) الرحمن:٣٩.

(٢) الانشقاق:٧-٨.

عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة".

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن -أو قال يا ابن عمر- هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول "يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول رب أعرف، مرتين فيقول أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوي صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادي على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين".

وفي الترمذي عن أبي بزرة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه" وقال حسن صحيح.

"وانقطعت علائق الأنساب" كما قال تعالى: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾**[2] الآيات.

وقال تعالى: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾**[3] الآيات.

وقال تعالى عن الكافرين **﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**[4]، قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين

---

[1] المؤمنون: ١٠١.

[2] المعارج: ١٠.

[3] عبس: ٣٤.

[4] الشعراء: ١٠٠-١٠١.

والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه، قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا. ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾.

رواه ابن أبي حاتم. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة. فيقول من بقي: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم. قال الحسن رحمه الله استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة. وعن قتادة في قول الله عز وجل: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾[1] قال: يفر هابيل من قابيل. ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾[2] يشغله عن شأن غيره، وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة "إنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي، حتى إن عيسى بن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني".

وارتكمت سحائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال

وعنت الوجوه للقيوم واقتص من ذي الظلم للمظلوم

"وارتكمت" اجتمعت "سحائب الأهوال" جمع هول وهو الأمر الشديد

(١) عبس: ٣٤-٣٦.

(٢) عبس: ٣٧.

الهائل المفظع "والعجم" أسكت فلم يتكلم. "البليغ" الذي كان في الدنيا مقتدرًا على البلاغة والفصاحة "في المقال" قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾.

قال ابن عباس: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾: سكنت ﴿**فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا**﴾ قال: تحريك الشفاه من غير منطق، وعنه: الهمس الصوت الخفي، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم: الهمس نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل، وقال سعيد بن جبير: همسًا سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين.

وفي حديث الشفاعة "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل" الحديث. "وعنت الوجوه" ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان. "القيوم" تضمين لمعنى قوله ﷻ ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾[3].

قال ابن عباس وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾[4] قال ابن عباس خسر من أشرك بالله، والظلم هو

---

(١) هود: ١٠٥.

(٢) طه: ١٠٨.

(٣) طه: ١١١.

(٤) طه: ١١١.

الشرك. وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء. وفي بعض الأحاديث "يقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم".

وفي الصحيحين "إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد "الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ الله به، وديوان لا يترك الله منه شيئًا" الحديث. "واقتص من ذي الظلم" أي اقتضى من الظالم "للمظلوم".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ - إلى قوله- ﴿وَالله يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[4] ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[6] وغيرها من الآيات.

---

(١) لقمان:١٣.

(٢) النساء:٤٠.

(٣) غافر:١٧-٢٠.

(٤) الزمر:٦٩.

(٥) الزمر:٧٥.

(٦) الزمر:٧٠.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: "باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور الحقة والحاقة واحد، والقارعة، والغاشية، والصارخة، والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار" ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ "أول ما يقضى بين الناس بالدماء".

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه". وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا". وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله ﷺ: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسانته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار" هذا حديث حسن صحيح، وله عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء" قال وفي الباب عن أبي داود وعبدالله بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي ﷺ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبدالله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر على

الباب. فقال: ابن عبدالله؟ قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت وأموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله يقول: "يحشر الله ﷻ الناس يوم القيامة -أو قال العباد- عراة غرلا بهما، قلت: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء. ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة، قال قلنا كيف وإنما نأتي الله ﷻ حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات".

وقد أشار البخاري إلى هذا الحديث في مواضع من صحيحه تعليقًا ووصله في كتاب خلق أفعال العباد.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة" وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال: أتدري ما ينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت: لا. قال: لكن الله يدري وسيحكم بينهما".

وساوت الملوك للأجناد　　وجيء بالكتاب والأشهاد
وشهد الأعضاء والجوارح　　وبدت السوآت والفضائح
وابتليت هنالك السرائر　　وانكشف المخفي في الضمائر

"وساوت الملوك" العظماء الرؤساء الكبراء "للأجناد" الرعايا، أي صاروا سواء في ذلك الموقف مشتركين في هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحم الله، وليس لأحد منهم مقال، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، كل

امرئ بما كسب رهين، قال الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[4] وغير ذلك من الآيات، قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا. قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم: إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشر، إلا من عفا عنه وقال البغوي في قوله ﷻ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾[5]: أي الملك الذي هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره، وفي الحديث الصحيح المتقدم "يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض" وفي لفظ "أين الجبارون أين المتكبرون" وقال قتادة: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد. وقال البغوي: يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحدًا من خلقه شيئًا كما ملكهم في الدنيا. (وجيء بالكتاب والأشهاد) قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا

---

(١) الفاتحة:٤.

(٢) الحج:٥٦.

(٣) غافر:١٦.

(٤) الانفطار:١٩.

(٥) الفرقان:٢٦.

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٥] إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ(٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[٧] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٨] وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يوسف بن راشد حدثنا جرير وأبو أسامة –

---

(١) الكهف:٤٩.
(٢) الزمر:٦٩.
(٣) البقرة:١٤٣.
(٤) النساء:٤١.
(٥) النحل:٨٤.
(٦) النحل:٨٩.
(٧) القصص:٧٤-٧٥.
(٨) ق:٢١.

واللفظ لجرير- عن الأعمش عن أبي صالح. وقال أبو أسامة: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ "يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. والوسط العدل.

ورواه أحمد وأصحاب السنن، ورواه الإمام أحمد أيضًا بلفظ "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون لا. فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد ﷺ وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا. فذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال عدلا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ علي. فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(١) فقال: حسبك الآن. فإذا عيناه تذرفان".

قال ابن كثير رحمه الله ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا

(١) النساء: ٤١.

فِيهِ﴾ أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة **﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾** أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا، **﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾** أي: لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملا وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها.

وروى الطبراني بإسناده عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفرًا من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ "اجمعوا، من وجد عودًا فليأت به، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به" قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركامًا، فقال النبي ﷺ "أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه".

وروى البغوي بإسناده عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم ومحقرت الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات"، وقوله: **﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾** كقوله ﷻ **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾**[1].

وقوله عز وجل: **﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾**[2].

وقوله تعالى: **﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾**[3].

وقوله تعالى: **﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾**[4] وغيرها من الآيات.

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) التكوير: ١٤.

(٣) الانفطار: ٥.

(٤) القيامة: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[1] قال البغوي: يعني رسولهم الذي أرسل إليهم وهو قول مجاهد، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[2] فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السائق من الملائكة، والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه. وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بنور خالقها، ذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو، قاله البغوي.

والحديث "لا يتضارون في رؤيته". ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال. ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم. ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك عطاء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون الرسل بتبليغ الرسالة وعم أمة محمد ﷺ. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[3] يعني الملائكة، قال البغوي: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

"وشهدت" على كل جاحد "الأعضاء" أعضاؤه "والجوارح" عطف تفسير،

---

(1) القصص: ٧٥.
(2) ق: ٢١.
(3) غافر: ٥١.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢] الآيات وغيرها.

وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسول الله ﷺ: أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرني من الظالم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز علي شاهدًا من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وبالكرام الكتاب شهودا، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا سحقًا فعنكن كنت أناضل".

وروى عبدالرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: "إنكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فهذه وكتفه".

ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به، وله هو ومسلم وأبو

---

(١) يس:٦٥.
(٢) فصلت:١٩-٢٣.

داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه: "ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا؟ قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقي، قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه" وهذا الحديث تقدم قريبًا بطوله ولله الحمد. وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأحمد -رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسر".

وفي رواية أحمد "من الرجل الشمال". وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه "يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول: أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل. فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب ما عملته. فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: فأنا أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى" ثم تلا: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

المجادلة:١٨.

وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم، فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول كذبوا، فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار". وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول: **﴿أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[1] فتقر الألسنة بعد الجحود، وروى أيضًا عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قل فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم يقول لآرابه تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا. وله أيضًا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: "ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة" فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي

---

(١) فصلت:٢١.

والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا. قال يقول رسول الله ﷺ "صدقت صدقت كيف يقدس الله تعالى قومًا لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم".

ورواه ابن أبي الدنيا. وقال البخاري رحمه الله حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ الآية: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض: ترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله. فأنزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ﴾ الحديث تقدم لفظه في إثبات السمع والبصر ولله الحمد.

"وابتليت" أي: اختبرت "هنالك" الإشارة إلى موقف القيامة العظيم، وهوله الجسيم "السرائر" جمع سريرة وهي ضد العلانية "وانكشف المخفي" المستور "في الضمائر" إشارة إلى قول الله ﷻ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[1].

قال البغوي رحمه الله: وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم تغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله ﷻ يوم القيامة كل سر، فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقًا ومن ضيعها كان وجهه أغبر،

---

(١) الطارق:٩.

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان" عياذا بالله من ذلك.

ونشـــرت صـــحائف الأعمـــال تؤخـــذ بـــاليمين والشـــمال
طـــوبى لمـــن يؤخـــذ بـــاليمين كتابـــه بشـــرى بحـــور عـــين
والويـــل للآخـــذ بالشـــمال وراء ظهـــر للجحـــيم صـــالي

"ونشرت صحائف" كتب "الأعمال" من حسنات وسيئات قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[1] . "تؤخذ باليمين" للمؤمن "والشمال" للكافر "طوبى" أطيب شيء واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها "لمن يأخذ باليمين كتابه بشرى" أعظم بشارة "بحور" جمع حوراء صفة لهن من حَوَر العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما "عِين" حسان الأعين "والويـل" كلمة عذاب وواد في جهنم "للآخذ بالشمال" كتابه "وراء ظهر للجحيم صال" اسم فاعل من صلى يصلي غمر فيها، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها في غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾[3] .

---

(١) التكوير: ١٠.
(٢) الإسراء: ١٣-١٤.
(٣) الإسراء: ٧١-٧٢.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ(١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿يأيها الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ .

وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[٤]:

---

(١) الحاقة: ١٨-٣٧.

(٢) الانشقاق: ٦-١٥.

(٣) الجاثية: ٢٩.

(٤) الإسراء: ١٣.

طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[١] .

قال معمر: وتلا الحسن البصري ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٢] : يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾[٣] الآية. فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٤] قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا، اللهم لا تأتينا به، فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا" حديث غريب حسنه الترمذي.

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها "ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال

---

(١) الإسراء: ١٣.
(٢) ق: ١٧.
(٣) الإسراء: ١٤.
(٤) الإسراء: ٧١.

رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[1] حتى يعلم أن يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم".

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال فعند ذلك يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه". وله عن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال "إن الله يقف عبده يوم القيامة فيبدي -أي يظهر- سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك. فيقول عند ذلك ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2] حين نجا من فضيحته يوم القيامة.

وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح في النجوى وفيه في المؤمن "ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين" وعن ابن السائب في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾[3] قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

---

[1] الحاقة: ١٩.
[2] الحاقة: ١٩-٢٠.
[3] الحاقة: ٢٥.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[1] قال: فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

---

(١) الانشقاق: ١٠.

فصل

فيما جاء في الميزان

والوزن بالقسط فلا ظلم ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا

فبين ناج راجح ميزانه ومقرف أوبقه عدوانه

"والوزن" لأعمال العباد "بالقسط" العدل "فلا ظلم" على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرمًا فلا يهضم أحد من حسناته. "ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا" الألف للإطلاق، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[3]، وقال تعالى عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[5]. "فبين ناج رجح ميزانه"إلخ قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)

---

(1) غافر:١٧.

(2) يس:٥٤.

(3) الأنبياء:٤٧.

(4) لقمان:١٦.

(5) النساء:٤٠.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٤].

وفي الترمذي عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل -يعني إن شاء الله- قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن" هذا حديث حسن غريب.

وفي سنن أبي داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه "وعند الميزان حتى يثقل أو يخف" الحديث.

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه: الأول أنه الأعمال نفسها هي التي

---

(١) الأعراف:٨-٩.

(٢) المؤمنون:١٠١-١٠٤.

(٣) القارعة:٦-١١.

(٤) الكهف:١٠٥.

توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ويدل لذلك حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، وفي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة" قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة. ومعاوية هو ابن سلام، وفيه عن النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران" وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال "كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما" وقال الترمذي رحمه الله: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ "وأهله الذين يعملون به في الدنيا" ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل اهـ. قلت: ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال إن الآتي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿**وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند

الصافات:٩٦.

النبي ﷺ فسمعته يقول: "تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة" قال: ثم سكت ساعة ثم قال: "تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت مقلتك وإن كل تاجر من وراء تجارتك، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج من الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلا" وإسناده حسن. والقول بأن الأعمال هي ذاتها التي توزن، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنه. والقول الثاني أن صحائف الأعمال هي التي توزن، ويدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب، قال أفلك عذر أو حسنة؟ قال: فبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم"

ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب. والثالث أن

الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذي في معنى حديث النواس.
الرابع أن الموزون هو العامل نفسه، ويدل لذلك ما روى أحمد عن علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتني الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد".

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه" وقال اقرأوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[1]. ولا أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها" قال وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ رواه ابن جرير.

وروى البزار عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له، فلما قام على النبي قال "يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا". قلت: والذي استظهر من النصوص -والله أعلم- أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال قال رسول الله ﷺ "توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان" فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث

(١) الكهف:١٠٥.

الوزن، ولله الحمد والمنة. وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخوفونني ويعصمونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ "يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك" فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ "ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1] فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده- إني أشهدك أنهم أحرار كلهم".

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

محكم الأنباء

من الأعمال

في النيران

"وينصب الجسر" وهو الصراط على متن جهنم "بلا امتراء" بلا شك "كما أتى في محكم الأنباء" من الآيات والأحاديث "يجوزه" يمر عليه الناس "على أحوال" متفاوتة "بقدر كسبهم" في الحياة الدنيا "من الأعمال" من إحسان أو إساءة أو تخليط، "فـ"هم "بين مجتاز" عليه "إلى الجنان" وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، "ومسرف" على نفسه "يكب في النيران" فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ(١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى

مريم: ٧١-٧٢.

وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعًا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبدالله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعًا، وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعًا وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها: فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا". وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة. وروى عبدالرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبدالله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ (٢) فلا أدري أأنجو منها أم لا. وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود الدخول. فقال نافع: لا. فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٣) وردوا أم لا؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (٤) أوردوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل

---

(١) الحديد: ١٢-١٥.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) هود: ٩٨.

نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع.

وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾(١) قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا. وعنه ﷺ في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾(٢) الآية ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾(٣) فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر.

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبدالله هو ابن مسعود ﷺ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ قال رسول الله ﷺ "يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم". ورواه الترمذي هكذا مرفوعًا.

وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفًا قال: "يرد الناس جميعًا الصراط، ورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومن يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الجيل،ومنهم من يمر كأجود الإبل،ومن يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس" الحديث.

وروى ابن جرير عنه في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ قال: الصراط على جهنم

---

(١) مريم: ٧١.

(٢) هود: ٩٨.

(٣) مريم: ٨٦.

مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم. وقال قتادة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ قال: هو الممر عليها، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" قال الزهري كأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ قال ابن مسعود: قسمًا واجبًا، وفيها عن أبي هريرة ﷺ أيضًا مرفوعًا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة فيه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله ﷻ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازي أو نحوه" الحديث. وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه "ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا" الحديث. ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة -فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي

نجاني منك، لقد أعطاني شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين" الحديث. وفي رواية عن ابن مسعود "رجل يخرج من النار حبوًا" وفيه عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولا. وفيه "وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شير كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وتشد الرجال تجري بهم أعمالهم، قال ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافا. قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا".

وفيه أيضًا في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم قال أبو سعيد "بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف"، وفيه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يسأل عن الورود الحديث. وفيه رؤية الله تعالى "فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان -منافق أو مؤمن- نورًا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون" وذكر الحديث. وقال عبدالله بن مسعود في قول الله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

الحديد: ١٢.

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه".

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل يؤمن نورا وكل منافق نورا فإذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدقلت وذلك من تأويل قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوهم واعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وقال الضحاك ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا وقال الحسن رحمه الله ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على الصراط أهـ.

---

(١) التحريم:٨.

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها وذلك لا اعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾[1] . أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك.

---

(١) الأنبياء:٩٨.

فصل

فيما ورد في الجنة والنار

والنار والجنة حق وهما موجودتان لا فناء لهما

أي ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول كونهما حقا لا ريب فيهما ولا شك وأن النار دار أعداء الله والجنة دار أوليائه: وهذا هو المشار إليه بقولنا حق قال الله تعالى ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يأيها الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يأيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

---

(١) التحريم:٦-٨.

(٢) البقرة:٢٤-٢٥.

السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقال تعالى في أولياء الشيطان ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلا﴾ .

وقال تعالى لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ

آل عمران:١٣١-١٣٣.

النساء:٥٥-٥٧.

يونس:٧-١٠.

النساء:١٢٠-١٢٢.

آمِنِينَ﴾[١] الآيات، وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة فتارة يعد ويتوعد وتارة يخبر عما أعد في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد عن الأوزاعي قال حدثني عمير بن هانئ قال حدثني جنادة بن أبي أمية عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل زاد في رواية من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء ووافقه على إخراجه مسلم وغيره.

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك زاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله هذا لفظ البخاري في باب التهجد وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع

---

(١) الحجر: ٤٢-٤٦.

الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أي الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾[2] الآيات، وغيرها.

وتقدم في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد قال فحدثني ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

البحث الثاني: اعتقاد وجودهما الآن: قال الله تعالى في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ - ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[3] - ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[5] وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها في السماء، وأن النبي ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها. وقال تعالى في النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

---

(١) يس: ٦٣-٦٤.

(٢) الطور: ١٣-١٥.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) السجدة: ١٧.

(٥) النجم: ١٤-١٥.

وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ فهي أيضا معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم.

وقال البخاري في صحيحه باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار وحديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأإلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر فقالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبرا فبكى عمر وقال عليك أغار يا رسول الله وحديثه رضي الله عنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال باب صفة النار وأنها مخلوقة ثم ذكر فيه حديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي ﷺ أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله

إن كانت لكافية قال فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك.

وفيه من حديث مالك بن صعصعة في ذلك وفيه ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات الحديث وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنه عرضت عليه الجنة والنار وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقودا فقصرت يده عنه وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج ورأى فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ورأى المرأة التي تعذب هرة حبستها وقال ﷺ لم أر منظرا كاليوم أفظع وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا ثم رجع فقال وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها وقد تقدم في أحاديث عذاب القبر

وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزلة فيها وعرض مقعده عليه وفتح باب إحديهما إليه وأن أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الفجار في سجين وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة مالا يحصى وإلى هذه المسألة الاشارة بقولنا موجودتان.

البحث الثالث: في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما وأنهما لا تفنيان أبدا ولا يفنى من فيهما:

وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا "لا فناء لهما" قال الله تعالى في الجنة: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾- إلى قوله تعالى- ﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[5].

وقال تعالى: ﴿**لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ**﴾[6] وغير ذلك من الآيات، فأخبر

---

(١) التوبة:١٠٠.
(٢) الحجر:٤٨.
(٣) هود:١٠٨.
(٤) ص:٥٤.
(٥) الدخان:٥١-٥٧.
(٦) الواقعة:٣٣.

تعالى بأبديتها بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ وأبدية حياة أهلها بقوله: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ وعدم انقطاعها عنهم بقوله: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وبعدم خروجهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[1].

وكذلك النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا

---

(١) الحجر:٤٨.

(٢) النساء:١٦٨-١٦٩.

(٣) الأحزاب:٦٤-٦٥.

(٤) الجن:٢٣.

(٥) الفرقان:٦٥-٦٦.

(٦) المائدة:٣٧.

(٧) البقرة:١٦٧.

مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[٣]

وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ -إلى قوله- ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾[٧] وغير ذلك في القرآن كثير، فأخبر تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها ولا خلاص، ولات حين مناص. فأخبر تعالى عن

(١) الزخرف: ٧٤-٧٧.
(٢) فاطر: ٣٦-٣٧.
(٣) المؤمنون: ١٠٦-١٠٨.
(٤) الشورى: ٤٥.
(٥) طه: ٧٤.
(٦) الأعلى: ١٠-١٣.
(٧) النبأ: ٢٣-٣٠.

أبديتهم فيها بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله ﷻ ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ .

وقوله تعالى: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ ونفى فناءهم فيها بقوله ﷻ ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾.

وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[3].

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ .

حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾[5] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبي سعيد هذا وأخرجاه أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين

فاطر:٣٦.

الزخرف:٧٥.

النساء:٥٦.

مريم:٣٩.

مريم:٣٩.

الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم وفي رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قال يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه ورواه البخاري دون قوله كل خالد الخ وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ يقال لأهل الجنة خلود لا موت ولأهل النار يا أهل النار خلود لا موت وقال مسلم رحمه الله حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر يعني ابن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما إذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ.

وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

إخراج عصاة الموحدين من النار:

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جناياتهم وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريبا وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة وأنها ليأتين عليها يوم وهي تصفق في

أبوابها ليس بها أحد وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الأستثناء في قوله تعالى ﴿**إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ الآية.

وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة وما أحسن ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابة الوابل الصيب قال رَحِمَهُ اللَّهُ ولما كان الناس ثلاث طبقات طيب لا يشوبه خبث وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة دار الطيب المحض وجار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ"[1].

---

(1) معارج القبول:٢٢٤- ٢٨٩.

فصل

فيما جاء في الحوض والكوثر

وحوض خير الخلق حق وبه   يشرب في الأخرى جميع حزبه

"وحوض خير الخلق" نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه عز وجل "حق" لا مرية فيه "وبه" بالحوض "يشرب" أي يروي ولذا عدى بالباء دون من لتضمن الضرب ههنا معنى الري "في الأخرى" أي في الدار الآخرة "وجميع حزبه" وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه، قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[1].

وروى البخاري بسنده إلى أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه اهـ. وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، فمن روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وحارثة بن وهب، وجندب بن عبدالله، وسهل بن سعد، وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وثوبان، وأبو ذر، وأم سلمة، وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن

---

[1] الكوثر:١-٣.

جنـدب، وحذيفـة، وأبـو بـرزة الأسـلمي، والمسـتورد بـن شـداد، وأبـو سـعيد الخدري، وعبدالله بن زيد، وأسامة بن زيد.

فأما عن أنس بن مالك فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال لما عرج بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا أبو الوليد حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر شك هدبة وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني ابن وهب عن يونس قال ابن شهاب حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال إن قدر حوضي كما بين أيله وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ وبلفظ ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وبلفظ ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك.

ورواه مسلم بلفظ إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وأما عن ابن عمر فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح.

ورواه مسلم بلفظ ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح وزاد في رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبدا زاد في أخرى قال عبيد الله فسألته فقال قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال كما بين المدينة وصنعاء وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثه سمع النبي ﷺ قوله حوضه ما بين صنعاء والمدينة فقال له المستورد ألم تسمعه قال الأواني قال لا قال المستورد ترى فيه الآنية مثل الكواكب ورواه مسلم بهذا اللفظ وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن عبد الملك قال سمعت جندبا قال سمعت النبي ﷺ يقول أنا فرطكم على الحوض.

ورواه مسلم هكذا وأما عن سهل بن سعد فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطوف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال قال النبي ﷺ إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل فقلت نعم فقال أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته هو يزيد فيها فأقول إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي.

ورواه مسلم وفيه لمن بدل بعدي وأما عن عائشة فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم وقال مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا ابن أبي عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن عبدالله بن عبيد الله بن أبي

مليكة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن أي رب مني ومن أمتي فيقول إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم وأما عن عقبة بن عامر فقال البخاري رحمه الله حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبي الخير عن عقبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف على المنبر فقال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ورواه مسلم بهذا اللفظ وبلفظ صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة وكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وأما عن عبد الله بن مسعود فقال البخاري رحمه الله حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنا فرطكم على الحوض وحدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال سمعت أبا وائل عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي ﷺ وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال قال رسول الله ﷺ أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية

الأعمش ومغيرة وأما عن أبي هريرة فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت إلى أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال هلم قلت إلى أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم وله عنه أنه كان يحدث أنه رسول الله ﷺ قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلأون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهرى وله عنه أنه رسول الله ﷺ قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي.

وقال مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي حدثنا الربيع يعني ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأذودن عن حوضي رجالا كما تذاد الغريبة من الإبل وله عن أبي حاتم عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال قال عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا ورواه مسلم بلفظ حوضي مسيرة

شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب.

وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عنه رضي الله عنه قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وله عن عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس أنه الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال إنا أعطيناك الكوثر قال رسول الله ﷺ الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت وأما عن أسماء فقال البخاري رحمه الله حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر قال حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قال رسول الله ﷺ إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم وكان ابن أبي مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا.

ورواه مسلم بسند حديث عبدالله بن عمرو متصلا بمتنه ولفظه كلفظ البخاري وأما عن ثوبان فقال مسلم رحمه الله حدثنا أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى وابن بشار وألفاظهم متقاربة قالوا حدثنا معاذ وهو ابن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق.

وقال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين لقد شق علي مركبي البريد فقال يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به قال أبو سلام حدثني ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد قال عمر لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك لا جرم إني لا أغسل رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ.

ورواه ابن ماجه بلفظ إن حوضي ما بين عدن إلى إيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا الحديث.

وفيه قال فبكى عمر حتى اخضلت لحيته وفيه ولا أدهن رأسي حتى يشعث وأما عن أبي ذر فقال مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبي شيبة قال اسحق اخبرنا وقال الآخران حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب في ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من

اللبن وأحلى من العسل.

رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال حسن صحيح غريب وأما عن أم سلمة رضي الله عنها فقال مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو وهو ابن الحارث أن بكيرا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ فلما كان يوما من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول أيها الناس فقلت للجارية استأخري عني قالت إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت إني من الناس فقال رسول الله ﷺ إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا فيقال إنك لا تدري ما أحثوا بعدك فأقول سحقا وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله حدثني الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثني أبي رحمه الله حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال ألا إني فرط لكم على الحوض وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة كأن الأباريق فيه النجوم وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله حدثنا حفص بن عمر النمري حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا فقال ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذي رحمه الله حدثنا أحمد بن نيزك البغدادي أنبأنا محمد بكار الدمشقي أنبينا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله ﷺ إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجوا أن أكون أكثرهم وارده هذا حديث حسن غريب.

وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ

مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح أهـ.

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة إليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود وقال ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي مالك سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم ولهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه قيل يا رسول الله أتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء ليست لأحد غيركم ورواه مسلم في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند وأما عن أبي برزة فقال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عبد السلام بن أبي حازم أبو طالوت قال شهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه عبيد الله قال إن محمديكم هذا لدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد ﷺ فقال له عبيد الله إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين ثم قال إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئا فقال أبو برزة نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مغضبا وأما عن المستورد فتقدم في المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب وأما حديث أبي سعيد الخدري.

فقال ابن ماجة رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال إن لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأما عن عبد الله بن زيد فرواه البخاري ومسلم عنه مطولا في قصة قسم غنائم حنين وفي آخره قوله ﷺ للأنصار رضي الله عنهم إنكم ستلقون بعدي أثرة

فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثني البرني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يا نبي الله عامدا نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار أو لا تدخل يا رسول الله فدخل فقدمت إليه حيسا فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك لأهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وعرضه يعني أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اه قلت وقد ذكرنا منها ما تيسر وفي الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم نذكرها ولهم روايات في الأصول التي عزونا اليها غير ما سقنا وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار ولله الحمد والمنة.

فصل

في الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

كذا له لواء حمد ينشر وتحته الرسل جميعا تحشر قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم على ربي ولا فخر هذا حديث حسن غريب وقال رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عامر العقدي أنبأنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع تلك اللبنة وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر هذا حديث حسن صحيح غريب حدثنا ابن أبي عمر أنبأنا سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وفي الحديث قصة هذا حديث حسن وقال رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي أنبأنا عبيد الله بن عبد المجيد أنبأنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال

بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر هذا حديث غريب قلت ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم.

فصل
في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

كــذا لــه الشــفاعة العظمــى كمــا قــد خصــه الله بهــا تكرمًــا
مــن بعــد إذن الله لا كمــا يــرى كــل قبــوري علــى الله افتــرى

"كذا له" لنبينا ﷺ "الشفاعة العظمى" يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1] ولذا قلنا: "قد خصه الله بها" بالشفاعة "تكرمًا" منه ﷻ عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

فيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ "لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

وفيه عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال "لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة

---

(١) الإسراء:٧٩.

فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا". وفيه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد –وربك أعلم- فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال –وهو أعلم- فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك".

وفيه عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي

إبراهيم: ٣٦.

المائدة: ١١٨.

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾[١] ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٢] ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[٣] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[٥] ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٦] ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٧] ، ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٨] ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾[٩] ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١٠] .

وقال تعالى في الكفار ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[١١] ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[١٢] .

---

(١) البقرة:٢٥٥.
(٢) يونس:٣.
(٣) سبأ:٢٢-٢٣.
(٤) النجم:٢٦.
(٥) الزمر:٤٤.
(٦) الزخرف:٨٦.
(٧) مريم:٨٧.
(٨) النبأ:٣٨.
(٩) طه:١٠٩.
(١٠) الأنبياء:٢٨.
(١١) المدثر:٤٨.
(١٢) غافر:١٨.

وقال عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]. وسيأتي في ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذن ربه عز وجل ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع وأنه يحد له حدا فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له ويحد له حدا حتى ينجو جميع الموحدين وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن له إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة.

"لا كما يرى كل قبوري" نسبة إلى القبور لعبادته أهلها "على الله افترى" في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات وكشف الكربات والمهكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي ولله الحمد والمنة.

[illegible] بين أهل الموقف
[illegible] العزم الهداة الفضلا

---

(1) الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(2) البقرة: ٢٥٤.

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ وهي أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي ذكر الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وقال مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا في سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف قالا حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني

---

(١) الإسراء:٧٩.

عن الشجرة فعضيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى ابراهيم ﷺ فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم ابراهيمﷺ إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد ادخل الجنة من

أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بن مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى قال وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه فنهس نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة ثم نهس أخرى فقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال ألا تقولون كيف قالوا كيف يا رسول الله قال يقوم الناس لرب العالمين وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة وزاد في قصة ابراهيم فقال وذكر قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إني سقيم قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة قال لا أدري أي ذلك قال وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله تعالى أن أقول فذلك المقام المحمود وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث أنس رضي الله عنه قوله ﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي لفظة فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم الحديث وتقدم في حديث الصور قوله ﷺ فتقفون موقفا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر إليكم ولا يقضي بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأتي ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما

جاؤوا نبيا أبي عليهم قال رسول الله ﷺ حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدا قال أبو هريرة يا رسول الله ومالفحص قال قدام العرش حتى يبعث الله إلي ملكا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي يا محمد فأقول نعم يا رب فيقول الله عز وجل ما شأنك وهو أعلم فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال الله تعالى قد شفعتك أنا آتيكم أقضي بينكم الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال حدثني نبي الله ﷺ قال إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم جاءهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق فأما المؤمن فهو عليه كالركمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع إليك فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحي الله عز وجل إلى جبريل أن أذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع الحديث وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ.

فصل

اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

وثانيا يشفع في استفتاح دار النعيم لأولي الفلاح
هذا وهاتان الشفاعتان قد خصتا به بلا نكران

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة وقد جاء في الأحاديث أنها أيضا من المقام المحمود وقال مسلم رحمه الله حدثنا قتيبة بن سعيد واسحق بن ابراهيم قال قتيبة حدثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن المختار بن فلفل قال قال أنس بن مالك قال النبي ﷺ أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد وحدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك قال حدثنا محمد ابن طريف بن خليفة البجلي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قالا قال رسول

الله ﷺ يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب الجنة ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله عز وجل قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك وإنما كنت خليل من وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكلما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه فيقول عيسى عليه السلام لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط فيمر أولكم كالبرق الحديث تقدم باقيه في الصراط.

وقال البخاري رحمه الله حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر قال سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم وقال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ وزاد عبدالله حدثني الليث قال حدثني ابن أبي جعفر فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين الأولى في فصل القضاء والثانية في استفتاح باب الجنة وسمى ذلك كله المقام المحمود.

"هذا" أي ما ذكر "وهاتان الشفاعتان" المذكورتان اللتان هما المقام المحمود "قد خصنا" أي جعلهما الله تعالى خاصتين "به" أي بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره "بلا نكران" بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي المشار إليها بقولنا:

وثالثًا يشفع في أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان - ﷺ ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدينه مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله ﷻ ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[١].

وقوله ﷻ: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[٣] وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة. وقال البخاري

---

(١) ص:٢٨.
(٢) الجاثية:٢١.
(٣) القلم:٣٥-٣٦.

رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيقول لست هناكم قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله تعالى أن يدعني فيقول محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلميه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة قال قتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأخلهم الجنة قال قتادة وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالث فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل

يسمع واشفع تشفع وسل تعط قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي فأخرج فأدخلهم الجنة قال قتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود قال ثم تلا هذه الآية: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ وقال أيضا حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا وذكره مختصرا وقال في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن وكان قتادة يقول عند هذا أي وجب عليه الخلود.

ورواه مسلم من طرق بنحوه وقال رحمه الله حدثنا أبو الربيع العتكي حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي ح.

وحدثنا سعيد بن منصور واللفظ له حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحي فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه واجلس ثابتا معه على سريره فقال يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة قال حدثنا محمد ﷺ قال إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح وكلمته فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول

رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا له فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي عز وجل فأحمده تلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد إرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل.

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة قال هيه فحدثناه الحديث فقال هيه قلنا ما زادنا قال قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئا ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا قلنا له حدثنا فضحك وقال خلق الإنسان من عجل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله قال فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع.

وقال أيضا حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد

بن أبي عروبة وهشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ح وحدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى قالا حدثنا معاذ وهو بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة زاد ابن منهال في روايته قال يزيد فلقيت شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة حدثنا به قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بالحديث إلا أن شعبة جعل مكان الذرة ذرة قال يزيد صحف فيها أبو بسطام.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال حدثني يزيد الفقير قال كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذي تحدثون والله تعالى يقول ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[1] و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[2] فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه قد زعم أن قوما

(١) آل عمران: ١٩٢.

(٢) الحج: ٢٢.

يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنها الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال أبو نعيم.

وقال رحمه الله حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعه من النبي ﷺ بأذنه يقول إن الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة وفي رواية له عن حماد بن زيد قال قلت لعمرو بن دينار أسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث عن رسول الله ﷺ أن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة قال نعم.

ورواه البخاري.

وفي رواية له أن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير قال الضغابيس وكان قد سقط فمه وقال حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين.

وقال رحمه الله حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه وهذه الشفاعة الثالثة قد فسر بها المقام المحمود أيضا كما في حديث أنس وحديث جابر رضي الله عنهما فيكون المقام المحمود عاما لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأولين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره

من عباد الله المكرمين وأما هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقربٌ ولا نبي مرسل ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له أهل ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواما بدون شفاعة الشافعين ولذا قلنا في ذلك:

وبعده يشفع كل مرسل وكل عبد ذي صلاح وولي
ويخرج الله من النيران جميع من مات على الإيمان
في نهر الحياة يطرحونا فحما فيحيون وينبتونا
كأنما ينبت في هيآته حب حميل السيل في حافاته

تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في طريق الرؤية قول النبي ﷺ حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن أدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة الحديث تقدم بطوله وتقدم حديث أبي سعيد المتفق عليه أيضا بطوله وفيه في نعت المرور على الصراط حتى يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة

في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرأوا ﴿**إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**﴾ -فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه وفي لفظ مسلم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من

النساء: ٤٠.

خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا بهم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم **﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[1].

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء في رحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمما قد

---

(١) النساء: ٤٠.

امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية وفي رواية لمسلم كما تنبت الغثاءة في جانب السيل وله عنه ﷺ قال قال رسول الله ﷺ أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية وللترمذي عن أبي أمامة ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي هذا حديث حسن غريب وله عن عبد الله بن شقيق قال كنت مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم سمعت رسول الله ﷺ يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم قيل يا رسول سواك قال سواي فلما قام قلت من هذا قالوا هذا ابن أبي الجذعاء هذا حديث حسن صحيح غريب وابن أبي الجذعاء هو عبد الله وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه وللترمذي أيضا عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس منهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة هذا حديث حسن.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين.

ورواه ابن ماجة وله عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين وله عن

عوف بن مالك ﵁ قال قال رسول الله ﷺ أتدرون ما خيرني ربي الليلة قلنا الله ورسوله ﷺ أعلم قال فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة قلنا يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها قال هي لكل مسلم ورواه الترمذي بلفظ فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا مشهورة مستفيضة بل متواترة وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة وبقي من النصوص في هذا الباب كثير وبالله التوفيق"[١].

---

(١) معارج القبول- (٢٩٢-٣٢٥).

أخي الحبيب سأتركك في هذا الفصل مع قائد حصيف يمر بك على منازل الآخرة منزلا منزلا، ويخيل إليك تلك المشاهد والمنازل كأنما تراها رأي العين، وذلك مع الحارث المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته المسمّاة بالتوهم، وقد قمنا بتحقيق نصها كذلك، فأتركك في صحبة الحارث المحاسبي في هذه الرحلة العلوية، فإلى هناك.

الحمد لله الواحد القهار، العظيم الجبار، الكبير المتعال، الذي جعلنا للبلوى والاختبار، وأعد لنا الجنة والنار، فعظم لذلك الخطر، وطال لذلك الحزن لمن عقل وادّكر، حتى يعلم أين المصير وأين المستقر، لأنه قد عصى الرب وخالف المولى، وأصبح وأمسى بين الغضب والرضا، لا يدري أيّهما قد حلّ ووقع له، فعظم لذلك غمه وطال لذلك حزنه، واشتدّ كربه حتى يعلم كيف عند الله حاله، فإلى الله فارغب في التوفيق، وإياه فسل العفو عن الذنوب، وبه فاستعن في كل الأمور. فعجبت كيف تقرّ عينك أو كيف يزايل الوجلُ والإشفاق قلبك، وقد عصيت ربك واستوجبت بعصيانك غضبه وعقابه، والموت لا محالة نازل بكربه وغصصه ونزعه وسكراته، فكأنك قد نزل بك وشيكًا سريعًا.

فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعةً لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربّك، فتوهم نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمه وقلقه، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثمّ تدارك الجذب واستحث النزع وجُذبت الروح من جميع بدنك، فنشطتْ من

أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه وعمّت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر للبشرى من الله عز وجلّ بالغضب أو الرضا، وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك، فبينا أنت في كربك وغمومك وألم الموت بسكراته وشدّة حزنك لارتقابك إحدى البشريين من ربّك، إذ نظرت إله مادًّا يده إلى فيك ليخرج روحك من بدنك، فذلّت نفسك لما عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبُك بماذا يفجؤك من البشرى منه إذا سمعت صوته بنغمته أبشرْ يا ولي الله برضا الله وثوابه وأبشر يا عدوالله بغضبه وعقابه، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك ويستقرّ الأمر في قلبك فتطمئن إلى الله نفسك، أو تستيقن بعطبك وهلاكك ويحل الإياس قلبك وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك، فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن أو الفرح والسرور قلبَك حين انقضت من الدنيا مدتك وانقطع منها أثرك وحُملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

فتوهم نفسك حين استطار قلبك فرحًا وسرورًا، أو ملئ حزنًا وعبرة، وبفترة القبر وهو مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك، فمثبت من الله جل ثناؤه بالقول الثابت أو متحير شاك مخذول. توهم أصواتها حين يناديانك لتجلس لسؤالهما إياك ليوقفاك على مسائلتهما؛ فتوهم جلستك في ضيق لحدك، وقد سقطت أكفانك على حقوَيك والقطنة من عينيك عند قدميك. فتوهم ذلك ثمّ شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما، فإن رأيتهما بحسن الصورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وإن رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والعطب؛ فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتهما وسؤالهما، ثم هو تثبيت الله إياك إن ثبتك أو تحييره إن خذلك.

فتوهم جوابك باليقين أو بالتحير أو بالتلديد والشك، وتوهم إقبالهما

عليك إن ثبتك الله عز وجل بالسرور وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار بضعفك. ثم توهم وهي تتأرجح بحريقها، وإقبالها عليك بالقول، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك فيزداد لذلك قلبك سرورًا وفرحًا وتوقن بسلامتك من النار بضعفك. ثم توهم ضربهما بأرجلها جوانب قبرك وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك: يا عبدالله انظر إلى ما أعد الله لك؛ فهذا منزلك وهذا مصيرك. فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عاينت من نعيم الجنان وبهجة مُلكها وعلمك أنّك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها. وإن تكن الأخرى فتوهم خلاف ذلك كله من الانتهار لك ومن معاينتك الجنة وقولهما لك: انظر إلى ما حرمك الله عز وجل، ومعاينتك النار وقولهما لك: انظر إلى ما أعد الله لك؛ فهذا منزلك ومصيرك. فأعظم بهذا خطرًا، وأعظم به عليك في الدنيا غمًا وحزنًا حتى تعلم أن الحالتين في القبر حالك، ثم الفناء والبلاء بعد ذلك، حتى تنقطع الأوصال فتفنى عظامُك ويبلى بدنك ولا يبلى حزن البشرى أو الفرح من روحك متوقّعٌ روحك متطلّع للقيام عند النشور إلى غضب الله عز وجل وعقابه، أو إلى رضا الله عز وجل وثوابه، وأنت مع توقع ذلك معروضة روحك على منزلك من الجنة أو مأواك من النار، فيا حسرات روحك وغمومها، ويا غبطتها وسرورها حتى إذا تكاملت عدّة الموتى وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يسمع، ولا شخص يُرى وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزليًا واحدًا منفردًا بعظمته وجلاله، ثم لم يُفْجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم.

فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك وتفهم بعقلك بأنّك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى فطار فؤادك وشاب رأسك للنداء لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء. فبينا أنت فزع

للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبت مغبّرًا من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائم على قدميك شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورةً واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدّة المنادى، والخلائق مقبلون نحوه وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نُزع المُلك من ملوك الأرض ولزمتْهم الذلة والصغار، فهم أذلّ أهل الجمع وأصغرهم خلقةً وقدرًا بعد عتوّهم وتجبرّهم على عباد الله عز وجل في أرضه. ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة بعد توحّشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بليّة نابتها ولا خطيّة أصابتها؛ فتوهم إقبالها بذلها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور، وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذلّ والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوّها وتمرّدها خاشعة لذلّ العرض على الله سبحانه، فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوّحش بعضهم من بعض قد أذلّهم البعث وجمع بينهم النشور، حتى إذا تكاملت عدّة أهل الأرض من إنسها وجنّها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامّها، واستووا جميعًا في موقف العرض والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها. فبينا أنت والخلائق

على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعضها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وهي حافّات ما يتشقّق ويتفطّر، فما ظنّك بهول تنشقّ فيه السماء بعظمها، فأذابها ربّها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة، كما قال الجليل الكبير: فصار وردة كالدهان، ويوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن (قال المفسرون إن المهل هي الفضة المذابة يخالطها صفرة، وإن العهن هو الصوف المنفوش، وقوله ردة كالدها كلون الفرس الورد). فبينا ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافّتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلوّ أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه.

فتوهم تحدّرهم من السحاب بعظيم أخطارهم وكبير أجسامهم وهو أصواتهم وشدة فرقهم منكسين لذلّ العرض على الله عز وجل -كما حدثني يحي بن غيلان قال: حدّثنا رشدين بن سعيد عن أبي السمح عن أبي قبيل عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: "لله مَلَك ما بين مواقي عينيه إلى آخر شفره مسيرة عام؛ حدّثني يحي بن غيلان قال: حدّثنا رشدين بن سعيد عن ابن عباس بن ميمون اللخمي عن أبي قبيل عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: "لله عز وجل مَلَك ما بين شفري عينيه مائة عام -فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، ومسئلتهم إيّاهم: أفيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لمليكهم أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم تنزيهًا لما توّهمه أهل الأرض: سبحان ربنا ليس هو بيننا فهو آتٍ، حتى أخذوا مصافّهم محدقين بالخلائق منكسين رؤسهم لذلّ يومهم.

فتوهم، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربّهم، ثمّ كلّ شيء على ذلك وكذلك إلى السماء السابعة كل أهل سماء مضعفين بالعدد، وعظم الأجسام، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفًا واحدًا، حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حرَّ عشر سنين وادنيتْ من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظلَّ عرش ربّ العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحرّ الشمس، قد صهرته بحرّها واشتد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأم وتدافعت، فدفع فعضها بعضًا وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض ثمّ على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، ومنه من قد كاد أن يغيب في عرقه ومن قد توسّط العرق من دون ذلك منه – عن عمير بن سعيد قال: جلست إلى ابن عمر وأبي سعيد الخدري، وذلك يوم الجمعة فقال أحدهما لصاحبه،: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقولك أين يبلغ العرق من ابن آدم يوم القيامة؟ فقال أحدهم: شحمة أذنه، وقال الآخر: يلجمه، فقال ابن عمر: هكذا وخطّ من فيه إلى شحمة أذنيه، فقال: ما أرى ذلك إلا سواء. عن خيثمة عن عبدالله قال: الأرض كلها نار يوم القيامة، والجنة من ورائها يرون كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبدالله بيده إن الرجل ليفيض عرقًا حتى يسيح في الأرض قامته، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه، وما مسه الحساب، قال فقالوا، مم ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال فقال: مما يرى الناس يلقون. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل (وقال على مرة إن الكافر) ليقوم يوم القيامة في بحر رشحه إلى أنصاف أذنيه من طول القيام. عن عبدالله رفعه إلى

النبي ﷺ إن الكافر يلجم بعرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم، (وقال علي من طول القيام قالا جميعًا) حتى يقول رب أرحني ولو إلى النار -وأنت لا محالة أحدهم؛ فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق وأطبق عليك الغمّ وضاقت نفسك في صدرك من شدّة العرق والفزع والرعب، والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء، حتى إذا بلغ المجهود منك ومن الخلائق منتهاه وطال وقوفهم لا يكلّمون ولا ينظرون في أمورهم، فما ظنك بوقوفهم ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلةً ولا يشربون فيه شربة ولا يلفح وجوههم روح ولا طيب نسيم، ولا يستريحون من تعب قيامهم ونصب وقوفهم حتى بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به.

عن قتادة أو كعب، قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام، قال سمعت الحسن يقول: ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربةً حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار فسُقوا من عين آنيةٍ قد آن حرّها واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلّم بعضهم بعضًا في طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم ووقوفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم، وموسى وعيسى من بعد إبراهيم، كلهم يقول لهم، إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلّهم يذكر شدّة غضب ربه عز وجل وينادي بالشغل بنفسه فيقول: نفسي نفسي، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها وكذلك يقول الله عز وجل: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا** ﴾ فلم يحاسّ من الخلائق أحدًا.

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم

بنفسه ينادي: نفسي نفسي، فلا تسمع إلا قول نفسي نفسي. فيا هول ذلك وأنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنّك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله عز وجل وعظم قد منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادي: نفسي نفسي، شفقًا من شدّة غضب ربه، فأين أنت منهم في إشفاقك في ذلك اليوم وانشغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى إذا أيس الخلائق من شفاعتهم لما رأوا من اشتغالهم لأنفسهم أتوا النبي محمدًا ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له ثم خر لربه عز وجل ساجدًا ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق حتى أجابه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم، والنظر في أمورهم.

فبينما أنت مع الخلائق في ظلم القيامة وشدّى كربها منتظر متوقع لفصل القضاء والحلول في دار النعيم أو الحزن إذ سطع نور العرش وأشرقت الأرض بنور ربها، وأيقن قلبك بالجبار، وقد أتى لعرضك عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحد سواك، ولا ينظر إلا في أمرك.

عن حميد ابن هلال، قال: ذكر لنا أن الرجل يدعى يوم القيامة إلى الحساب فيقال: يا فلان بن فلان هلم إلى الحساب، حتى يقول ما يراد أحد غيري مما يحضر به من الحساب - ثم نادى: يا جبريل ائتني بالنار؛ فتوهمها وقد أتى جبريل فقال لها: با جهنم أجيبي، فتوهم اضطرابها وارتعادها بفرقها أن يكون الله عز وجل خلق خلقًا يعذبها به؛ فتوهمها حين اضطربت وفارت ونارت، ونظرت إلى الخلائق من بعد مكانها فشهقت إليهم وزفرت نحوهم وجذبت خزانها متوثّبةً على الخلائق غضبًا لغضب ربها على من خالف أمره وعصاه؛ فتوهم صوت زفيرها وشهيقها، وترادف قصبتها، وقد امتلأت منه

سمعك، وارتفع له فؤادك وطار فزعًا ورعبًا، ففرّ الخلائق هربًا من زفيرها على وجوههم، وذلك يوم التنادي، لما سمعوا بدور زفيرها ولّوا مدبرين وتساقطوا على ركبهم جثاة حول جهنة فأرسلوا الدموع من أعينهم.

فتوهم اجتماع أصوات بكاء الخلائق عند زفيرها وشهيقها وينادي الظالمون بالويل والثبور، وينادى كل مصطفى وصدّيق ومنتخب وشهيد ومختار وجميع العوام: نفسي نفسي، فتوهم أصوات الخلائق الأنبياء فمن دون كل عبد منهم ينادي: نفسي نفسي أنت قائلها؛ فبينا أنت مع الخلائق في شدّة الأهوال ووجل القلوب إذ زفرت الثانية فيزداد رعبك ورعبهم وخوفك وخوفهم، ثمّ زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وتنتخص بأبصارهم ينظرون من طرف خاشع خفيّ خوفًا أن تلفهم فتأخذهم بحريقها، وانتصفت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين فكظموا عليها وقد غصت في حلوقهم وطارت الألباب وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين فلا يبقى رسول ولا عبد صالح مختار إلا ذهل لذلك عقلُه فأقبل الله عز وجل عند ذلك على رسله وهم أكرم الخلائق عليه وأقربهم إليه لأنه الدعاة إلى الله عز وجل والحجة على عباده، وهم أقرب الخلائق إلى الله عز وجل في الموقف وأكرمهم عليه، فيسئلهم عما أرسلهم به إلى عباده وماذا ردّوا عليهم من الجواب فقال لهم: ماذا أُجِبْتُمْ؟ فردّاوا عليه الجواب عن عقول ذاهلة غير ذاكرة فقالوا: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾.

فأعظم به من هول تبالغ من رسل الله عز وجل في قربهم منه وكرامتهم حتى أذهل عقولهم، فلم يعملوا بماذا أجابتهم أممهم -عن أبي الحسن الدمشقي، قال: قلت لأبي قرة الأزدي كيف صبر قلوبهم على أهوال يوم القيامة؟ قال: إنهم إذا بُعثوا خُلقوا خلقةً يقوون عليها. قال أبو الحسن قلت لإسحاق بن خلف قول الله عز وجل للرسل: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا﴾،

أليس قد علموا ما رُد عليهم في الدنيا؟ قال: من عظم هول السؤال حين يُسألون طاشت عقولهم فلم يدروا أي شيء أجيبوا في الدنيا، فهم صادقون حتى تجلّى عنهم بعد، فعرفوا ما أُجيبوا، قال: فحدّثت به أبا سليمان، فقال: صدق إسحاق هم في ساعتهم تلك صادقون، حتى تجلّى عنهم فعرفوا ما أُجيبوا، فقال أبو سليمان: إذا سمعت الرجل يقول لصاحبه بيني وبينك الصراط فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولو عرفه ما اشتهى أن يتعلق بأحد، فلا يتعلق أحد.

عن مجاهد في قوله: ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ**﴾، قال فيفزعون فيقولون: ﴿**لا عِلْمَ لَنَا**﴾. عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً**﴾ أي مستوفزين على الركب، قال سمعت عبدالله يقول، قال رسول الله ﷺ: كأني أراكم بالكوم داثين دون جهنم، قال سمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت؛ وعن عمرو بن ذرّ قال: من غدا يلتمس الخير وجد الخير، أعلى تحملون جمود أعينكم وقسوة قلوبكم؟ احملوا العيَّ عليَّ إن لم أسمعكم اليوم واعظًا من كتاب الله عز وجل، ثمّ قرأ: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** (١) **وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ** (٢) **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ -حتى إذا بلغ- ﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ (أو قال ختمها)، قال ثم قال: إسمعوا إليَّ يا عرَضَ الدنيا- فأين أنت منهم في ذلك الموقف؟ هل تطمع أن يبلغ لك الهول ما بلغ منهم، بل أعظم مما بلغ منهم ما لا يطيقه قلبك فلا يقوم به بدنك فهذه عقولهم ذاهلة في ذلك الموقف، فكيف بعقلك ما حل بك وأنت الخاطئ العاصي المتمادي فيما يكره ربّك عزّ وجل؟.

فتوهم نفسك لذلك الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير إذا تبرّأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب والعشائر، وفررت أنت منهم أجمعين، فكيف خذلتهم وخذلوك، ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والحفاظ أن

تفرَّ من أمّك وأبيك وصاحبتك وبنيك وأخيك، ولكن عظم الخطر واشتدّ الهول فلا تُلام على فرارك منهم ولا يلامون ولم تخصّهم بالفرار دون الأقرباء لبغضك إياهم، وكيف تبغضهم أو يبغضونك، وكيف خصصتهم بالفرار منهم، أتبغضهم وإنهم لهم الذين كانوا في الدنيا مؤانسيك وقرّة عينك وراحة قلبك، ولكن خشيت أن يكون لأحد عندك منهم تبعةٌ فيتعلّق بك حتى يخاصمك عند ربك عز وجل، ثم لعله أن يحكم له عليك فيأخذ منك ما ترجو أن تنجو به من حسناتك فيفرقك منها فتصير بذلك إلى النار. فبينما أنت في ذلك إذ ارتفعت عُنُقٌ من النار فنطقت بلسان فصيح بمن وُكلت بأخذهم من الخلائق بغير حساب، ثم أقبل ذلك العُنُق فيلقطهم لقط الطير الحبّ ثم انطوت عليهم فألقتهم في النار فابتلعتهم، ثم خنست بهم في جهنم فيُفعل ذلك بهم، ثم ينادي مناد: سيعلم أهلم الجمع من أولى بالكرم ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم يُفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر مولاه حتى إذا دخلت هذه الفرق من أهل الجنة والنار، ثم تطايرت الكتب في الإيمان والشمائل ونصبت الموازين؛ فتوهَّم الميزان بعظمه منصوبًا وتوهَّم الكتب المتطايرة وقلبك واجف متوقّع أي يقع كتابك في يمينك أو في شمالك.

عن الحسن عن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فنعس، فتذكرت الآخرة، فبكت فسالت دموعها علىخدّ النبي ﷺ، فاستيقظ بدموعها فرفع رأسه، فقال: ما يُبكيك يا عائشة؟ فقالت: يا رسول الله ذكر الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإنّ أحدًا لا يذكر إلا نفسه: إذا وُضعت الموازين ووُزنت أعمال بني آدم عند الموازين حتى ينظر أيخفّ ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ أم بشماله، وعند الصراط. عن أنس بن مالك قال: يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين

كفّتي الميزان ويوكّل به مَلَكٌ فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوته بسمع الخلائق: سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوته بسمع الخلائق: شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

فبينا أنت واقف مع الخلائق إذ نظرت إلى الملك وقد أُمِرَ أن يحضر بالزبانية فأقبلوا بأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار، فلما رأيتهم فهبتهم طار قلبك فزعًا ورعبًا؛ فبينا أنت كذلك إذ نودي باسمك فنوديت على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين: أي فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله عز وجل، وقد وكّل الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى ربك فلم يمنعها اشتباه الأسماء باسمك أن تعرفك لما ترى بك أنك المراد بالدعاء المطلوب – قال حدثنا طلحة بن عمرو قال: قال لي عطاء بن أبي رباح: يا طلحة ما أكثر الأسماء على اسمك وما أكثر الأسماء على اسمي؛ فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان فقام الذي يعنى لا يقوم غيره لما لزم قلبك من العلم- فوثبت على قدميك ترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك متغير لونك فزع مرعوب مرتكض قلبك في صدرك بالخفقان، فلما عاينتك الملائكة الموكَّلون بأخذك قد حلّ بك الاضطراب بالارتعاد والمخافة علمت أنك أنت المارد من العبادة فأهوت إليك بأيديها فقبضت عليك بعنفها ثم جذبتك إلى ربك عز وجل كما تجذب الدواب المنقادة تتخطى بك الصفوف محثوثًا إلى العرض على الله عز وجل والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت مجبوذ إلى ربك عز وجل فيما بينهم.

فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك؛ فتوهم نفسك محثوثة في أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف، طائر فؤادك متخلّع قلبك، فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم،

وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه: أُدن مني يا ابن آدم، فغيبك في نوره، فوقفت بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون، وجل مرعوب، وطرف خائف، خاشع ذليل، ولون متغير، وجوارح مرتعدة مضطربة، كالحمل الصغير حين أُمّه، ترتعد بيد صحيفة محبَّرة لا تغادر بليّة كسبتها ولا مخبأة أسررتها، فقرأت ما فيها بلسان كليل وحجة داحضة وقلب منكسر.

فكم لك من حض وخجل وحين من المولى الذي لم يزل إليك محسنًا، وعليك ساترًا؛ فبأي لسان تجيبه حين يسئلك عن قبيح فعلك، وعظيم جرمك، وبأي قدم تقف غدًا بين يديه، وبأي نظر تنظر إليه، وبأي قلب تحتمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه؟ فتوهم نفسك بصغر جسمك، وارتعاد جوارحك، وخفقان قلبك، وقد سمعت كلامه بتذكير ذنوبك، وإظهار مساوئك، وتوقيفك وتقريرك بمخبَّآتك؛ فتوهم نفسك بهذه الهيئة والأهوال بك محدقة من خلفك، فكم من بليّة قد نسيتها، قد ذكَّركها، وكم من سريرة قد كنت كتمتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل قد ظننت أنه قد خلص لك وسلم بالغفلة منك إلى ميل الهوى عما يفسده قد ردَّه في ذلك الموقف عليك وأحبطه؛ بعدما كان تأملك فيه عظيما، فيا حسرات قلبك وتأسفك على ما فرطت في طاعة ربك، حتى إذا كرر عليك السؤال بذكر كل بلية ونشر كل مخبأة فأجهدك الكرب، وبلغ منك الحياء منتهاه لأنه الملك الأعلى فلا حياء يكون من أحد أعظم من الحياء منه لأنه القديم الأول الباقي الذي ليس له مثل، المحسن المتعطف المتحنن الكريم الجواد المنعم المتطول، فما ظنك بسؤال من هو هكذا أبان عن مخالفتك إياه، وقلة هيبتك له، وحياءك منه، ومبارزتك له، فما ظنك بتذكيره إياك مخالفته وقلة اكتراثك في الدنيا بإلطافه عليك ونظرك إليه؛ إذ يقول: يا عبدي أما أجللتني أما استحييت مني استخففت بنظري إليك، ألم أحسن إليك، ألم أنعم عليك، ما غرّك منّي، شبابك فيم أبليته، وعمرك فيم

أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيم أنفقته، وعملك ماذا عملت فيه؟ -قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيسائله رب العالمين، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان. قال سمعت عدي بن حاتم قال: شهدت رسول الله ﷺ في حديث له: ليقفنّ أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه فيقول: ألم أوتك مالاً؟ فيقولنَّ: بلى، فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فيقولنّ: بلى، ثمّ ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثمّ ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتق آلام النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة. قال: سمعت عبدالله بن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث، فقال: ما منك من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البر (أو قال للكلمة)، ثم يقول: يا بن آدم ما ضرك بي، يا ابن آدم ما عملت فيما علمت، يا بن آدم ماذا أجبت المرسلين؟

عن ابن مسعود أنه بدأ باليمين، فقال: والله ما منكم من أحد إلا سيخلو به الله ﷻكما يخلو أحدكم بالقمر ثم يقول: يا بن آدم ما ضرك بي، يا بن آدم ما عملت لي، يا بن آدم ما استحييت مني، يا بن آدم ما أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك،ألم أكن رقيبا على أذنيك وأنت تستمع بهما إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبا على لسانك وأنت تنطق بما لا يحل لك، ألم أكون رقيبا على يديك وأنت تبطش بهما إلا ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبا على رجليك وأنت تمشي بهما إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبا على قلبك وأنت تهم بما لا يحل لك؟ أم أنكرت قربي منك وقدرتي عليك، وأنت يا ابن آدم بين خطرين عظيمين.

إما أن يتلاقاك برحمته، ويتطول عليك بجوده، وإما أن يناقشك الحساب، فيهوي بك إلى الهاوية وبئس المصير.

عن مجاهد قال: لا يزول قدم عبد يوم القيامة من بين يد الله ﷻ حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فما ظنك بنفسك وضعف قلبك، والله ﷻ يكرر عليك ذكر إحسانه إليك، ومخالفتك له، وقلة حيائك منه، فأعظم به موقفا وأعظم به من سائل لاتخفى عليه خافية، وأعظم بما يداخلك من الحزن والغم والتأسف على ما فرطت في طاعته وركوبك معصيته، فإذا تبالغ فيك الجهد من الغم والحزن والحياء بدا لك منه أحد الأمرين: الغضب أو الرضا عنك والحب لك. فإما أن يقول: يا عبدي أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فقد غفرت لك كبير جرمك وكثير سيئاتك، وتقبلت منك يسير إحسانك، فيستطير بالسرور والفرح قلبك فيشرق لذلك وجهك؛ فتوهم نفسك حين قالها لك، فابتدأ إشراق السرور ونوره في وجهك بعد كآبته وتكسفه من الحياء من السؤال والحصر من ذكر مساوئ فعلك، فاستبدلت بالكآبة والحزن سرورًا في قلبك، فأسفر وجهك وأبيض لونك؛ فتوهم رضاه عنك حين سمعته منه، فثار في قلبك، فامتلأ سرورًا وكدت أن تموت فرحا وتطير سرورًا، ويحق لك، فأي سرور أعظم من السرور والفرح برضا الله ﷻ فوالله تعالى لو أنك مت فرحًا في الدنيا حين توهم رضاه في الآخرة لكنت بذلك حريا، وإن كنت لم تستيقن برضاه في الآخرة، ولكن آملا لذلك، فكيف بك مستيقنا له في الآخرة؛ ولو توهمت نفسك، وقد بدا لك منه الرحمة والمغفرة كنت حقيقا أن تطير روحك من بدنك فرحا، فكيف إن لو قد سمعت من الله ﷻ الرضا عنك والمغفرة لك فأمن خوفك وسكن حذرك، وتحقق أملك ورجاؤك بخلود الأبد، وأيقنت بفوزك ونعميك أبدًا لا يفنى ولا يبيد بغير تنقيص ولا تكذيب؛ فتوهم نفسك بين يدي الله ﷻ وقد بدا لك منه الرضا، وطار قلبك فرحا، وابيض وجهك، وأشرق وأنار وأحال عن خلقته، فصار كأنه

القمر ليل البدر، ثم خرجت على الخلائق مسرورًا بوجه محبور قد حل به أكمل الجمال والحسن، يسطع نورًا مشرقًا بتلألاته تتخطاهمبالجمال والحسن والنور والضياء كتابك بيمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، لقد شهرك ربك ﷻ بالرضا عنك عند خلقه، ولقد حقق حسن ظن الظانين وأبطل تهم المتهمين لك، وإن في هذه المنزلة غدًا على رؤوس الخلائق لعوضا من المنزلة عند العباد بطاعته والتصنع لهم زهدًا في المنزلة عندهم، والتعظيم عندهم بطاعة ربه ﷻ بصدق معاملته وحده لا شريك له، عوضك المنزلة الكبرى على رؤوس الخلائق فشهرك برضاه عنك وموالاته إياك؛ فتوهم نفسك وأنت تتخطى الخلائق، وكتابك في يمينك بجمال وجهك ونوره، وفرح قلبك وسروره، وقد شخصت أبصارهم إليك غيظة لك وتأسفًا على أن ينالوا من الله ﷻ ما نلت، فليعظم من الله ﷻ في طلب ذلك أملك ورجاؤك فإنه ﷻ إن تفضل عليك نلت ذلك؛ فهذا أحد الأمرين الذي أنت بينهما على خطر .

عن صفوان بن مجوز قال: كنت آخذًا بيد عبدالله بن عمر، فأتاه رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ﷻ يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس، فيقول: يا عبيد أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، ثم يقول: يا عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: إني قد سترتها عليك في الدنيا وقدغفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول: الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. قال بينا عبدالله بن عمر يطوف بالبيت إذ عارضه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فذكر مثله. قال سعيد، قال قتادة. فلم يحزن يومئذ أحد فخفى حزنه على أحد من

الخلائق.

عن ابن مسعود قال: ينشر الله ﷻ كنفه يوم القيامة على عبده المؤمن، ويبسط كفه لظهرها، فيقول: يا ابن آدم هذه حسنة قد عملتها في يوم كذا وكذا قد قبلتها، وهذه خطية قد عملتها في يوم كذا وكذا قد غفرتها لك فيسجد، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الصالح الذي لم يجد في صحيفته إلا حسنة (أو قال في كتابه).

عن عبدالله بن حنظلة قال: إن الله ﷻ يقف عبده يوم القيامة فيبدي حسناته فيظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا، فيقول: نعم أي رب، فيقول: إني لم أفضحك به اليوم وإني قد غفرت لك اليوم، فيقول عندها: هلموا اقرأوا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه، حين نجا من فضيحة يوم القيامة.

وأما الأمر الآخر فإما أن يقول لك: عبدي أنا غضبان عليك فعليك لعنتي، فلن أغفر لك عظيم ما آتيت، ولن أتقبل منك ما عملت؛ فيقول لك في ذلك عند بعض ذنوبك العظيمة (أن يقول لك): أتعرفها؟ فتقول: نعم وعزتك، فيغضب عليك فيقول: وعزتي لا تذهب بها مني؛ فنادى الزبانية فيقول: خذوه؛ فما ظنك بالله ﷻ يقولها بعظيم كلامه وهيبته وجلاله. فتوهم إن لم يعف عنك، وقد سمعتها من الله ﷻ بالغضب، وأسند إليك الزبانية بغضاضتها وغلظ أكفها مستدفرة بأزمة من النيران غضابا لغضب الله ﷻ بالعنف عليك والغلظ الشديد، فلم تشعر حين قالها إلا بوجسة غلظ أكفهم في قفاك وعنقك؛ فتوهم غلظ أكفهم حين قبضوا على عنقك بالعنف يتقربون إلى الله ﷻ بعذابك وهوانك. فتوهم نفسك مستجذبًا ذليلا موقنا بالهلاك وأنت في أيديهم وهم ذاهبون بك إلى النار مسود وجهك تتخطى الخلائق بسواد وجهك وكتابك في شمالك تنادي بالويل والثبور، والملك آخذ بضبعيك ينادي: هذا فلان بن فلان شقي

شقاء لا يسعد بعده أبدًا. لقد شهرك بالغضب والسخط عليك، ولقد تمت فضيحتك عند خلقه، فأخلف حسن ظن الظانين بك، وحقق تهما لمتهمين لك، ولعله إن فعل ذلك بك فعله بتصنعك لطاعته عند عباده بطلب المنزلة عندهم بسقوط المنزلة والجاه عنده، ففضحك عند من آثرته عليه في المعاملة، ورضيت بحمده على طاعة ربك ﷻ عوضا ممن حمده إياك تبارك وتعالى.

فتوهم ذلك ثم توهمه واذكر هذا الخطر، وكن مفكرًا حذرًا أي الأمرين يرتفع بك وأي الأمرين قد أعد لك.

عن كعب قال: إن الرجل ليؤمر به إلى النار فيبتدره مائة ألف ملك.

قال أبوعبدالله: وقد بلغني أنه إذا وقف العبد بين يدي الله ﷻ فطال وقوفه، تقول الملائكة: مالك من عبد عليك لعنة الله أبكل هذا بارزت الله ﷻ وقد كنت تظهر في الدنيا علانية حسنة؟

قال أبوعبدالله: ولقد بلغني أيضا أنه إذا حوسب فوبخ بكثرة أعماله الخبيثة، تقول الملائكة: مالك من آدمي عليك لعنة الله، أبكل هذا بارزت الله ﷻ وقد كنت تظهر الحسن في الدنيا؟ قال: من تحبب إلى الناس بما لا يحب الله ﷻ وبارز الله ﷻ بما يكره لقي الله ﷻ وهو عليه ساخط وله ماقت، ثم قال أبوعبدالله وهو يحدث: والله ﷻ ما أمسيت آسفا علي وعليكم.

ومع ذلك الجسر بدقته وزلله وهوله وعظيم خطره قدامك.

فتوهم ما حل من الوجل بفؤادك حين رفعت طرفك فنظرت إليه مضروبا على جهنم بدقته ودحوضه، وجهنم تخفق بأمواجها من تحته، فياله من منظر ما أفظعه وأهوله، وقد علمت أنك راكب فوقه وأنت تنظر إلى سواد جهنم من تحته، وتسمع قصيف أمواجها وجبلة ثورانها من أسفلها، والملائكة تنادي: ربنا من تريد أن تجيزه على هذا؟ وتنادي: ربنا ربنا سلم سلم؛ فبينا أنت تنظر

إليه بفظاعة منظره إذ نودي مروا الساهرة، فلم تشعر إلا وقد رفعت الأرض من تحتك وتحت الخلائق لأن تبدل، ثم بدلت بأرض من فضة فإذا الخلائق منشورون على أرض من فضة بيضاء، ثم قيل لك وأنت تنظر إلى الجسر بفظاظته وقيل للخلق معك: اركبوا الجسر. فتوهم خفقان فؤادك وفزعه، وقد قيل لك اركب الجسر، فطار عقلك رعبا وفزعا، ثم رفعت أحد قدميك لتركبه فوجدت بباطن قدميك حدته ودقته فطار قلبك فزعا، ثم ثنيت الأخرى فاستويت عليه راكبا وقد أثقلتك أوزارك وأنت حاملها على ظهرك، ثم صاعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته والخلائق من بين يديك ومن ورائك عرفا واحدا فصاعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته، ثم انحدرت باضطرابه بك والخلائق عليه عرف واحد يضطرب بهم خفقان جهنم تحته، فتهافت الناس من بين يديك ومن ورائك؛ فتوهم صعودك بضعفك عليه، وقد نظرت إلى الزالين والزالات من بين يديك ومن خلفك وقد تنكست هاماتهم وارتفعت على الصراط أرجلهم وأخذت الملائكة بلحى الرجال وذوائب النساء من الموحدين إذ الأغلال في أعناقهم، وثارت النار بطلبتها وفارت وشهقت على هاماتهم، ورمتهم الملائكة بالكلاليب فجذبتهم وثارت إليهم النار بطلبتها وحريقها، وزفرت وشهقت على هاماتهم وبادرت شرر النار إلى هاماتهم فتناولتها ثم جذبت هاماتهم إلى جوفها، وهم ينادون ويصرخون وقد أيسوا من أنفسهم، وهم لاجتذاب النار لهاماتهم فيها ينحدرون وهم بالويل ينادون، وأنت تنظر إليهم مرعوب خائف أن تتبعهم فتزل قدمك فتهوى من الجسر وتنكسر قامتك وترتفع على الصراط رجلاك.

فتوهم ذلك بعقل فارغ وشفقة على ضعف بدنك مخفف في الدنيا للمرور عليه، فإن أهوال القيامة إنما تخفف على أولياء الله ﷻ الذين توهموها في الدنيا بعقولهم فعظم خطر النجاة عندهم، فتحملوا من ثقل همومها في الدنيا

على قلوبهم وحرقة خوفها على ضرورتهم فخففها في القيامة بذلك عليهم مولاهم، فألزم قلبك توهمها والخوف منها والغم بها لأن يخففها عليك بذلك ويهونها لأنه آلى على نفسه ألا يجمع على أوليائه الخوف في الدنيا والآخرة.

فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن، وإن يكن مغضوبا عليك غير معفي عنك، ولم تشعر إلا وقد زلت قدمك عن الصراط؛ فتوهم نفسك إن لم يعف عنك أن زلت رجلك عن الصراط فقلت في نفسك مع ذلك ذهبت أبدا هذا الذي كنت أحاذر وأخاف، وطار عقلك، ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك، وارتفعت عن الصراط رجلاك فلم تشعر إلا والكلوب قد دخل في جلدك ولحمك، فجذبت به وبادرت إليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها، فهي تجذبك وأنت تهوي من الجسر وتنادي حين وجدت مس نفحها: ويلي ويلي، وقد غلب على قلبك الندم والتأسف إلا كنت أرضيت الله ﷻ فرضي عنك وأقلعت عما يكره قبل أن تموت، فغفر لك، حتى إذا صرت في خوفها التحمت عليك بحريقها، وقلبك قد بلغ غاية حرقته ومضيضه، فتورمت في أول ما ألقيت فيها، ونادى الله ﷻ النار وأنت مكبوب على وجهك تنادي بالويل والثبور، فناداها: هل امتلأت؟ فسمعت نداءه وسمعت إجابتها له: هل من مزيد؟ يقول هل من سعة وأنت في قعرها، وهي تتلهب في بدنك، لها قصيف في جسدك، ثم لم تلبث أن تقطر بدنك وتساقط لحمك، وبقيت عظامك، ثم أطلقت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه، فتوهم كبدك والنار تداخل فيها وأنت تنادي فلا ترحم، وتبكي وتعطي الندم، إن رددت ألا تعود؛ فلا تقبل توبتك، ولا يجاب نداؤك.

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب، فبلغت غاية الكرب، واشتد بك العطش فذكرت الشراب في الدنيا، ففزعت إلى الجحيم، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بعذابك، فلما أخذته نشت كفك من تحته،

وتفسخت لحرارته، وهيج حريقه، ثم قربته إلى فيك فشوي وجهك، ثم تجرعته فسلخ حلقك، ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك، فناديت بالويل والثبور، وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته، ثم أقلعت الحريق، فبادرت إلى حياط الحميم لتبرد بها، كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذا اشتد عليك الحر فلما اغتمست في الحميم تسلخ من قرنك إلى قدمك، فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك، ثم اشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن، وهو الذي قد انتهى حره، وتطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين النار، تطلب الروح فلا روح أبدًا. فلما اشتد بك الكرب والعطش وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان فهاجت غضة من فؤادك إلى حلقك أسفا على جوار الله ﷻ وحزنا على نعيم الجنة؛ ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها، فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك؛ ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أب أو أم أو أخ، وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق: يا أماه أو يا أبتاه أو يا أخاه أو يا خالاه أو يا عماه أو يا أختي شربة من ماء، فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك حسرة بما خيبوا من أملك، وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل، ففزعت إلى الله بالنداء بالمرجع والعتبى أن يردك إلى الدنيا، فمكث عنك دهرًا طويلا لا يجيبك هوانا بك وإن صوتك عنده ممقوت، وجاهك عنده ساقط، ثم ناداك بالخيبة منه أن اخسئوا فيها ولا تكلمون؛ فلما سمعت نداءه بجلال كلامه بالتخسية لك ابتداء فمثلك؟ لا تجاب ومناخرك وفيك ملجوم بلجام، فبقى نفسك مترددا في جوفك لا مخرج له، فضاقت نفسك في صدرك وبقيت قلقًا تزفر لا تطيق الكلام ولا يخرج منك نفس؛ ثم أراد أن يزيدك إياسا وحسرة، فأطبق أبوب النار عليك وعلى أعدائه فيها. فما ظنك إن لم يعف عنك، وقد سمعت رجوف بابها قد أغلق؟ فياإياسك ويا إياس سكن جهنم حين سمعوا

وقع أبوابها تطبق عليهم فعلموا عند ذلك أن الله ﷻ إنما أطبقها لئلا يخرج منها أحدًا أبدًا؛ فتقطعت قلوبهم إياسًا وانقطع الرجاء منهم ألا فرج أبدًا لا مخرج منها ولا محيص لهم من عذاب الله ﷻ أبدًا خلود فلا موت، وعذا لا زوال له عن أبدانهم، ودوام حرق قلوبهم ومضيضها، فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبدًا، أحزان لا تنقضي، وغموم لا تنفد، وسقم لا يبرأ، وقيود لا تحل، وأغلال لا تفك أبدا، وعطش لا يروون بعده أبدًا، وكرب لا يهدأ أبدًا، وجوع لا يشبعون بعده أبدًا إلا بالزقوم ينشب في حلوقهم فيستغيثون بالشراب ليسوغوا به غصصهم فيقطع أمعاءهم، وحسرة فوت رضوان الله ﷻ في قلوبهم، وكمد وحرمان جوار الله ﷻ يتردد في صدورهم، لا يرحم بكاؤهم، ولا يجاب دعاؤهم، ولا يغاثون عند تضرعهم، ولا تقبل توبتهم، ولا تقال عثرتهم غضب الله ﷻ عليهم فلا يرضى عنهم أبدا؛ إذ أبغضهم ومقتهم، وسقطوا من عينه، وهانوا عليه فأعرض عنهم. فلو رأيتهم وقد عطشوا وجاعوا فنادوا من أهل الجنة الأقرباء فقالوا جميعا: يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات والأخوة والأخوات خرجنا من قبورنا عطاشا وأوقعنا بين يدي الله ﷻ عطاشا، وأمر بنا إلى النار عطاشا، أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فأجابوهم بالتخسية فتراجع في قلوبهم الحسرة والندامة فهم فيها يتقلقون لا ينفح وجوههم روح أبدًا، ولا يذوقون منها باردًا أبدًا ولا يطبقون جفونهم على غمض نوم أبدًا، فهم في عذاب دائم وهوان لا ينقطع، فمثل نفسك بهذا الوصف إن لم يعف عنك.

فلو رأيت المعذبيت في خلقهم وقد أكلت النار لحومهم ومحت محاسن وجوههم واندرس تخطيطهم، فبقيت العظام مواصلة محترقة موسدة وقد قلقوا واضطربوا في قيودهم وأغلالهم وهم ينادون بالويل والثبور، ويصرخون بالبكاء والعويل، إذًا لذاب قلبك فزعًا من سوء خلقهم وتضعفت من رائحة نتنهم ولما بقي روحك في بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم. فكيف بك إن

نظرت إلى نفسك فيها وأنت أحدهم، وقد زال من قلبك الأمل والرجال ولزمه القنوط والإنسا وعطفت على بدنك فتقحمت على الحدقتين فسمعت تفضيضهما انتقامًا وبدلا من نظرك إلى ما لا يحب ولا يرضى، ودخلت النار في مسامعك فتسمع لها فيه قصيفا وجبلة، التحفت عليك فنفضت منك العظام ودوبت اللحام، واطلعت إلى الجوف فأكلت الكبد والأحشاء فغلبت على قلبك الحسرة والندامة والتأسف.

فتوهم ذلك بعقل فارغ، وقد هاجت منه رحمة لضعفك وارجع عما يكره مولاك وترضى عسى أن يرضى عنك وأعذ به عقلك واستقله يقلك عثراتك، وابك من خشيته عسى أن يرحمك ويقيل عثراتك، فإن الخطر عظيم وإن البدن ضعيف والموت منك قريب، والله جل جلاله مع ذلك مطلع يراك، وناظر لا يخفى عليه منك سر ولا علانية، فاحذر نظره بالمقت والبغضة والغضب والقلاء، وأنت لا تشعر فرحا أو قرير العين، فاحذر الله ﷻ وخفه واستحي منه وأجله، ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه، وأجل مقامه عليك وعلمه بك وافرقه واخشه قبل أن يأخذك بغتة، وليرَ أثر مصيبة مخالفتك له يعلم ما قد بلغ منك خلافه، فيعظم حزنك ويشتد غمك بمخالفته، وليعلم أنه قد بلغ إليك خلافه، فإن علم ذلك منك صفح عنك وعفى عنك، فلا تتعرض لله ﷻ فإنه لا طاقة لك بغضبه ولا قوة لعذابه، ولا صبر لك على عقابه، ولا صبر عنك عن جواره فتدارك نفسك قبل لقائه، فكأنك بالموت قد نزل بك بغتة، الموت فكأن قد نزل... فتوهم ما وصفت لك فإنما وصت بعض الجمل، فتوهم ذلك بعقل فارغ موقن عارف بما قد جنيت على نفسك وما استوجبت بجناياتك، وفكر في مصيبتك في دينك، وليرَ الله ﷻ عليك أثر المصيبة لعله أن يرحمك فيتجاوز عنك لمغفرته وعصمته، فإن كنت من أهل العفو والتجاوز فتوهم إن تفضل الله ﷻ عليك بالعفو والتجاوز ممرك على الصراط ونورك معك يسعى بين يديك

وعن يمينك وكتابك بيمينك مبيض وجهك وقد فصلت من بين يدي الله ﷻ وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين، والملائكة تنادي سلم سلم، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين، تنادي وينادون: ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، فتدبر حين رأوا المنافقين طفئ نورهم وهاج الوجل في قلوبهم فدعوا بتمام النور والمغفرة.

فتوهم نفسك وأنت تمر خفيفا مع الوجل، فتوهم ممرك على قدر خفة أوزارك وثقلها، فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفق، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط، فحق قلبك على جوار الله ﷻ واشتاق إلى رضا الله حتى إذا صرت إلى آخره خطوت بأحد رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط، وبقيت القدم الأخرى على الصراط، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة، وزلت عن الجسم ببدنك، وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثب على من زل عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق إليه، ثم التفت إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها في رؤوسهم وأنجاثهم قصيف، فطار قلبك فرحا إذ رأيت عظيم ما نجاك الله منه، فحمدت الله وازددت له شكرا إذ نجوت بضعفك من النار وخلفت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجها إلى جوار ربك، ثم خطوت آمنا إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك سرورا وفرحا، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلك بحسنه فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور

ومتعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن. فتوهم نفسك في ذلك الموكب وهم أهل كرامة الله ورضوانه مبيضة وجوههم مشرقة برضا الله مسرورون فرحون مستبشرون، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك، وحر المقام ووهج تعب ما مر بك، فنظرت إلى العين التي أعدها الله لأوليائه وإلى حسن مائها، فانغمست فيها مسرورا لما وجدت من برد مائها وطيبه، فوجدت له بردًا وطيبا، فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وغبار وأنت مسرور لما وجدت من طيب مائها لما باشرته وقد أفلت من وهج الصراط وحره لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلحفها وقد بلغت منه، فما ظنك وقد انفلت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق، ومن شدة توهج حر الصراط فوافيت باب الجنة بذلك، فلما نظرت إلى العين قذفت بنفسك فيها؛ فتوهم فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك بعد حر الصراط ووهج القيامة وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها، فأنت تغتسل منها دائبا ولونك متغير حسنا وجسدك يزداد نضرة وبهجة ونعيما، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم النور؛ فتوهم فرح قلبك حين خرجت منها فنظرت إلى كمال جمالك ونضارة وجهك وحسنه وأنت عالم موقن بأنك تتنظف للدخول إلى جوار ربك. ثم تقصد إلى العين الأخرى فتناول من بعض آنيتها؛ فتوهم نظرك إلى حسن الإناء وإلى حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل وجسدك ناعم أبدا، حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله ولم تعود شربه فيسلس من فيك إلى جوفك فطار قلبك سرورا لما وجدت من لذته، ثم نقى جوفك من كل آفة، فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى الغموم والهموم والحرص والشدة والغضب والغل، فيا برد طهارة صدرك، ويا روح ذلك على فؤادك، حتى إذ استكملت

طهارة القلب والبدن واستكمل أحباء الله ذلك معك، والله مطلع يراك ويراهم، أمر مولاك الجواد المتحنن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظامًا له وإجلالا وهيبة له وحذرًا من نقمه، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لأوليائه فانحدروا من دارها وبادروا من ساحتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها، وأيقنت بذلك فطار قلبك سرورًا وامتلأت فرحا وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك، فيا سرور قلوب المفتوح لهم باب جنة رب العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جرى مائها فنح وجهك وجميع بدنك وثارت أريج الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب وأرياح طيب ثمارها وأشجارها وما فيها من نسيمها، فتداخلت تلك الأريج في مشامك حتى نوصلت إلى دماغك وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ونظرت بعينك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طريق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه، فقد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان، ونظرت إلى حجب الله وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فإن لك فيها الزيادات والنظر إلى وجه ربك، فاجتمع طيب أراييح الجنة وحسن بهجة منظرها وطيب نسيمها وبرد جوها وذلك أول روح وطيب لا تفيض فيه نفح وجهك.

فتوهم نفسك مسرورا بالدخول لعلمك أنها يفتح بابها لك والذين معك أولياء الله وفرحك بما تنظر إليه من حسن بهجتها وما وصل إلى فؤادك من طيب رائحتها وما باشر وجهك وبدنك من طيب جوها وبرد نسيمها. فتوهم نفسك أن تفضل الله عليك بهذه الهيئة فلو مت فرحا لكان ذلك يحق لك حتى إذا فتحوا بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه أولياء الله معك، ثم

رفعوا أصواتهم يحلفون بعزه ما ضحكنا قط منذ خلقنا إلا إليكم، ونادوكم سلام عليكم؛ فتوهم حسن نغماتهم وطيب كلامهم وحسن تسليمهم في كمال صورهم وشدة نورهم، ثم أتبعوا السلام بقولهم: طبتم فادخلوها خالدين، فأثنوا عليهم بالطيب والتهذيب من كل دنس ودرن وغل وغش، وكل آفة في دين أو دنيا، ثم أذنوا لهم على الله بالدخول في جواره، ثم أخبروهم أنهم باقون فيها أبدا، فقالوا طبتم فادخلوها خالدين، فلما سمعت الإذن وأولياء الله معك بادرتم الباب بالدخول فكظت الأبواب من الزحام.

كما قال عتبة بن غزوان وكما قال النبي ﷺ: لانقصافهم على باب الجنة أهم إلي من شفاعتي، فكظ من الزحام.

فما ظنك بباب مسيرة أربعين عامًا كظيظه من زحام أولياء الرحمن فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد عاينوا من حسن القصور من الياقوت والدر. فتوهم نفسك أن عفا الله عنك في تلك الزحمة مبادرًا مع مبادرين مسرورا مسرورين بأبدان قد طهرت ووجوه قد أشرقت وأنارت فيه كالبدر، قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس، فلما جاوزت بابها وضعت قدميك على تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المونع والمسك مصبوب على أرض من فضة والزعفران نابت حولها فذلك أول خطوة خطوتها في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت، فأنت تتخطى في ترب المسك ورياض الزعفران، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرها، فبينا أنت تتخطى في عرصات الجنان في رياض الزعفران وكثبات المسك إذ نودي في أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك وقهارمتك إن فلانا قد أقبل فأجابوا واستبشروا لقدومك كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه.

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبينما أنت تنظر إلى قصورك إذ سمعت

جلبتهم وتبشيشهم فاستطرت لذلك فرحا، فبينما أنت فرق مسرور بغبطتهم لقدومك لما سمعت إجلابهم فرحا بك إذ ابتدرت القهارمة إليك وقامت الولدان صفوفا لقدومك، فبينما أتت القهارمة مقبلة إليك إذ استخف أزواجك للعجلة فبعثت كل واحدة منهن بعض خدمها لينظر إليك مقبلا ويسرع بالرجوع إليها بقدومك لتطمئن إليه فرحا وتسكن إلى ذلك سرورا فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك قهارمتك، ثم بادر رسول كل واحدة منهن إليها فلما أخبرها بقدومك قالت كل واحدة منهن لرسولها أنت رأيته من شدة فرحها بذلك ثم أرسلت كل واحدة منهن رسولا آخر فلما جاءت البشارات بقدومك إليهن لم يتمالكن فرحا فأردن الخروج إليك مبادرات إلى لقائك لولا أن الله كتب القصر لهن في الخيام إلى قدومك كما قال مليك: حور مقصورات في الخيام، فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن وأذرعن برؤوسهن ينظرن متى تبدو لهن صفحة وجهك فيسكن طول حنينهن وشدة شوقهن إليك وينظرن إلى قرير أعينهن ومعدن راحتهن وأنسهن إلى ولي ربهن وخبيب مولاهن؛ فبينا أنت ترفل في كثبان المسك ورياض الزعفران وقد رميت ببصرك إلى حسن بهجة قصورك إذ استقبلك قهارمتك بنورهم وبهائهم فاستقبلك أول قهرمان لك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة ربك فقال لك: يا ولي الله إنما أنا قهرمانك وكلت بأمرك ولك سبعون ألف قهرمان سواي، ثم تتابعه القهارمة ببهائم ونورهم كل يعظمك ويسلم عليك بالتعظيم لك.

فتوهم قلبك في الجنان وقد قامت بين يديك قهارمتك معظمين لك ثم الوصفاء والخدام فاستقبلوا كأنهم اللؤلؤ المكنون فسلموا عليك، ثم أقبلوا بين يديك؛ فتوهم تبخترك في موكب من قهارمتك وخدامك يزفونك زفا إلى قصورك وما أعد لك مولاك ومليكك، فلما أتيت باب قصرك فتحت الحجاب أبوابك ورفعت لك الستور وهم قيام على أقدامهم لك معظمين، فتوهم ما

عاينت حين فتحت أبواب قصورك ورفعت ستوره من حسن بهجة مقاصيره وزينة أشجاره وحسن رياضه وتلألؤ صحته ونور ساحاته؛ فبينا أنت تنظر إلى ذلك إذ بادرت البشرى من خدامك ينادون أزواجك: هذا فلان بن فلان قد دخل من باب قصره، فلما سمعن نداء البشراء بقدومك ودخولك توثبن من الفرش على الأسرة في الحجال وعينك ناظرة إليهن في جوف الخيام والقباب فنظرت إلى وثوبهن مستعجلات قد استخفهن الفرح والشوق إلى رؤيتك؛ فتوهم تلك الأبدان الرخيمة الرعبوبة الخريدة الناعمة يتوثبن بالتهادي والتبختر، فتوهم كل واحدة منهن حين وثبت في حسن حالها وحليتها بصباحة وجهها، وتثني بدنها بنعمته، فتوهم انحدارها مسرعة بكمال بدنها نازلة عن سريرها إلى صحن قبتها وقرار خيمتها فوثبن حين أتين أبواب خيامهن وقبابهن، ثم أخذن بأيديهن عضائد أبواب خيامهن للقصر الذي ضرب عليهم إلى قدومك فقمن آخذات بعضائد أبوابهن، ثم خرجن برؤوسهن ووجوههن ينحدرن من أبواب قبابهن متطلعات ينظرن إليك مقبلا قد ملئن منك فرحا وسرورًا.

فتوهم نفسك بسرور قلبك وفرحه وقد رمقتهن ببصرك ووقع ناظرك على حسن وجوههن وغنج أعينهن فلما قابلت وجوههن حار طرفك وهاج قلبك بالسرور فبقيت كالمبهوت الذاهل من عظيم ما هاج في قلبك من سرور ما رأت عيناك وسكنت إليه نفسك، فبينما أنت ترفل إليهن إذ دنوت من أبواب الخيام فأسرعن مبادرات قد استخفهن العشق مسرعات يتثنين من نعيم الأبدان ويتهادون من كمال الأجسام ثم نادتك كل واحدة منهن: يا حبيبي ما أبطأك علينا؟ فأجبتها بأن قلت: يا حبيبة ما زال الله ﷻ يوقفني على ذنب كذا وكذا حتى خشيت أن لا أصل إليكن فمشين نحوك في السندس والحرير يثرن المسك ويحركن نبت الزعفران بأذيال حللهن وخلاخيلهن استعجالا إليك وشوقا وعشقا لك، فأول من تقدمت منهن إليك مدت إليك بنانها ومعصمها

وخاتمها كما قال النبي ﷺ، فتوهم حسن بنان أنشيء من الزعفران والكافور، ونعم في الجنان الألف من الدهور، فتوهمه حين مدته إليك يتلألأ نورًا ويضيء إشراقًا، فلما وضعت بنانها في بنانك وجدت مجسة لينة بنعيمه وكاد أن ينسل من يديك للينه، وكاد عقلك أن يزول فرحًا بما وصل إلى قلبك من طيب مسيس بنانها، ثم مدت يدك إلى جسمها الرخيم الناعم فضمتك إلى نحرها فانثنيت عليه بكفك وساعدك حتى وضعته على قلائدها من حلقها، ثم ضممتها إليك وضمتك إليها؛ فتوهم نعيم بدنها لما ضمتك إليها كاد أن يداخل بدنك بدنها من لينه ونعيمه، فتوهم ما باشر صدرك من حسن نهودها ولذة معانقتها، ثم شممت طيب عوارضها فذهب قلبك من كل شيء سواها حتى غرق في السرور وامتلأ فرحا لما وصل إلى روحك من طيب مسيسها ولذة روائح عوارضها؛ فبينا أنت كذلك إذ تمايعن عليك فانكببن عليك يلثمنك ويعانقنك فملأن وجهك بأفواههن ملتثمات وملأن صدرك بنهودهن فأحدقن بك بحسن وجوههن وغطين بدنك وجللنه بذوائبهن واستجمعت في مشامك أريبح طيب عوارضهن؛ فتوهم نفسك وهنعليك منكبات بفيك ملتثمات متشممات عليك مشتنيات بنعيم أبدانهن، لهن استراحة عند ضمك إليهن لشدة العشق وطول الشوق إليك متشبثات بجسمك ومتنعمات بنسيم أراييح عوارضك، فلما استمكنت خفة السرور من قلبك وعمت لذة الفرح جميع بدنك وموعد الله ﷻ في سرورك فناديت بالحمد لله الذي صدقك الوعد وأنجز لك الموعد، ثم ذكرت طلبك إلى ربك إياهن بالدؤوب والتشمير، فأين أنت في عاقبة ذلك العمل الذي استقبلته وأنت تلثمهن وتشم عوارضهن لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم أثنين عليك وأثنيت عليهن، ثم رفعن أصواتهن ليؤمنك بذلك من المعرفة لهن بحوادث الأزمان وتنغيص عيشك بأخلاقهن فنادين جميعا بأصواتهن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا، ونحن المقيمات فلا نظعن

أبدا، ونحن الخالدات فلا نبيد أبدا، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدا، طوباك أنت لنا ونحن لك؛ ثم مضيت معهن فيا حسن منظرك وأنت في موكبك من حورك وولدانك وخدامك، حتى انتهيت إلى بعض خيامك فنظرت إلى خيمة من درة مجوفة مفصصة بالياقوت والزمرد فنظرت إلى حسن أبوابها وبهجة ستورها، ثم رميت ببصرك إلى داخلها فنظرت إلى فرشها ونجدها وزرابيها وحسن تأسيس بنيانها قد بنيت طرائق على جنادل الدر والياقوت، ثم نظرت إلى سريرك في ارتفاعه وعليه فرشه، من الحرير والاستبرق بطائنهن، قد علا ظواهرهن من النور المتكثف وعلى أطرافهن من فوق الحرير والديباج وحسن الرفرف الأخضر وهي فصول المجالس، فلما تأملت تلك الفرش بحسنها وفوقها المرافق قد ثنتها حار طرفك فيها، ثم نظرت إلى حجلتها من فوق سريرها قد أحدقت بالعرش من فوقها.

فتوهم حسن الأبواب وحسن الستور وحسن عرصة القبة بحسن فرشها وحسن السرير وحسن قوائمه وارتفاعه وحسن الفرش فوقه والمرافق فوق فرشه والحجلة المضروبة من فوق ذلك كلخ فتماثل ذلك كله ببصرك، فلما دنوت من فرشك تطأمنت مع سريرك فارتفعت الحوراء وارتقيت معها. فتوهم صعودها عليه بعظيم بدنها ونعيمه حتى استوت عليه جالسة، ثم ارتقيت على السرير فاستويت عليه معها فقابلتك وأنت مقابلها، فيا حسن منظرك إليها جالسة في حللها وحليها بصباحة وجهها ونعيم جسمها، الأساور في معاصمها والخواتم في أكفها والخلاخيل في أسواقها والحقاب في حقوها والوشاح قد تنظر نهديها وجال بخصرها والقلائد في عنقها والشحب على نحرها والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها والتاج من فوق ذلك على رأسها والذوائب من تحت التاج قد حل من مناكبها وبلغ أردافها وأنعالها، ترى وجهك في نحرها وهي تنظر إلى وجهها في نحرك، وقد أحدق الولدان بقبتك

وقد قام الوهط بين يديك ويديها، وقد تدلت الأشجار بثمارها من جوانب حجلتك واطردت الأنهار حول قصرك واستعلى الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل وقد كمل حسنك وحسنها وأنت لابس الحرير والسندس وأساور الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك، وتاج الدر والياقوت منتصب فوق رأسك، وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك، وقد أضاءت الجنة وجميع قصورك من إشراق بدنك ونور وجهك وأنت تعاين من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية مقاصيرك، وقد تدلت عليك ثمار أشجارك واطردت أنهارك من الخمر واللبن من تحتك والماء والعسل من فوقك وأنت جالس مع زوجاتك على أريكتك، وقد فتحت مصاريع أبوابك وأرخيت عليك حجال خيمتك وحفت الخدام والولدان بقبتك وسمعت زجلهم بالتقديس لربك، وقد اطلعوا على ضمير قلبك فسارعوا إلى كل ما حدثت به نفسك من أنواع كرامتك وسرورك وأمانيك فأتوتك بكل أمنيتك، وأنت وزوجك بأكمل الهيئة وأتم النعمة، وقد حار فيها طرفك تنظر إليها متعجبا من جمالها وكمالها طرب قلبك بملاحتها وأنس قلبك بها من حسنها، فهي منادمة لك على أريكتك تنازعك وتعاطيك الخمر والسلسبيل والتسنيم في كأسات الدر وأكاويب قوارير الفضة. فتوهم الكأس من اليقاوت والدر في بنانها، وقد قربت إليك ضاحكة بحسن ثغرها فسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها ونور الجنان ونور وجهك وأنت مقابلها، واجتمع في الكأس الذي في بنانها نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها، فما ظنك بذوائب شاب أمرد كامل الخلق، أنور الوجه، أبيض الجسم، أنضر الثياب أصفر الحلي من ذهب الجنان يشوبه حمرة الياقوت وبياض الدر وحسن العقيان، فيا لك عروس ويا تلك عروس طفلة أنيسة عربوبة كامل خلقها، ويا جمال وجهها، ويا بياض نهودها وتثنى جسمها،

يكسوها التأنيث ويلينها النعيم تنظر إليك بغنج الحور وتكلمك بملاحة المنطق وتداعبك بالدلائل وتلاعبك بالعشق والطرب، بيدها كأس در لا ظل له أو ياقوت لا شبه له من صفائه ورقة جسمه، قد جملته بحسن كفها وزميرتها ونور خواتهما فيه؛ فتوهم حسن الكأس مع بياضه مع بياض الشراب مع بياض كفيها وحسنه، فتوهم كأس الدر والياقوت أو الفضة في صفاء ذلك في بنانها الكامل، وقد اقتربت إليك ضاحكة بحسن ثغرها وسطع نور بنانها في الشراب مع نور وجهها ونحرها وأنت مقابلها فضحكت أيضا إليها فاجتمع في الكأس الذي في بنانها نورك مع نورها مع نور الكأس ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها ونور الجنان؛ فتوهمه بهذه الأنوار في ضيائه يلمع بصفائه في كفها، وقد مدت به إليك يدها بخواتهما وأساورها في معاصمها فناولتك الكأس بكفها، فيا حسن مناولتها ويا حسنها من يد، ثم تعاطتك كأسات الخمر في دار الأمن واللذان والسرور، فتناولته منها ثم وضعته على فيك ثم سلسلته في فيك، فسار سروره في قلبك وعمت لذته جوارحك فوجدت منه طما أطيب طعما وألذه فشربته والولدان قيام بين يديك. فتوهم ذلك وقد شربت الكأس من يدها، ثم ناولتها من يدك فتناولته بحسن كفها وهي ضاحكة، فيا حسن مضحكها فشربته من يدك حتى إذا تعاطيتها الكأس ودار فيما بينكما وشاع نور الشراب في وجنتيها ورفعتما أصواتكما بالتحميد والتقديس لمولاكما وسيدكما ورفعت الولدان والخدام أصواتهم تسبيحا وتهليلا مجاوبة لكما فيا حسن تلك الأصوات بتلك النغمات في تلك القصور وتلك الخيمات؛ فبينما أنتما في ذاتكما وسروركما وقد مضت الأحقاب من الدهور وما تشعران من اشتغال قلوبكما بنعيمكما إذ هجمت الملائكة بالسلام عليك وأتتك بالتحف والألطاف من عند ربك حتى إذا انتهت رسل ربكإلى الحجبة الذين دونك والقهارمة الموكلين بك فطلبوا إليهم الإذن عليك ليوصلوا ما أتوا به من عند مولاك إليك

فقالت عند ذلك حجبتك لملائكة ربك: إن ولي الله مشغول مع أزواجه وإنا لنكره الإذن عليه إعظامًا وإجلاله له، وكذلك يقول الله ربك تبارك وتعالى: في شغل فاكهون وبذلك جاء التفسير فأعظم به من شغل وأعظم بك من ملك تستأذن عليك رسل ربك، وكذلك يقول الرافع قدر أوليائه في جواره تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[1] فقيل في التفسير إن ذلك استئذان الملائكة عليهم فقيل له رسول الله بالباب يا ولي الله لا يدخل عليك إلا بإذن يا ولي الله فقد نلت من الله الرضا وبلغت غاية الملك والمنى.

فتوهم الملائكة وهي قائلة حين أبت حجابك أن تستأذن لهم عليك: إنا رسل الله إليه بهدايا وتحف من عند ربه، فوثبت عند ذلك حجابك تستأذن لهم عليك. فتوهم أيدي الحجاب وقد مدوا بها إلى حلق الياقوت بالدر على صفائح الذهب الأحمر فقرعوا حلق أبواب قصرك، فلما اصطك حلق الياقوت بأبواب قصرك من الدر والزمرد طنت الحلق على الأبواب بأحسن طنين تلذ به الأسماع وتسر به قلوب المستمعين، فلما سمعت الأشجار طنينها تمايلت ثمارها على بعضها بعضا فهبت بذلك أراييح طيبها ونسيمها، ثم أشرقت من قبتك بجمال وجهك وإشراق نورك فبادرت الحجبة إليك بالقول مسرعة وهي مع ذلك غاضة أبصارها تعظيما لك، ولما رمق أبصارهم من إشراق نور وجهك: أن يا ولي الله رسل الله إليك بالباب ومعهم التحف من عند ربك، فرجعت إليهم بالجواب: أن أذنوا لرسل مولاي، فتتحت الحجبة عند إذنك لهم أبواب قصرك وأنت متكئ، فدخلوا على أريكتك والولدان قد صفوا بين يديك فأقبلت الملائكة بحسن صورهم والهدايا تلمع وتسطع نورًا في أيديهم، فدخلوا عليك من أبواب متفرقة لينجز لك ربك ما وعدك من كل باب سلام

---

(١) سورة الإنسان:٧٦-٢٠.

عليك، فبادروا بالسلام عليكم بحسن نغماتهم من كل أبوابك، ثم أتبعوا تسليمهم: يا ولي الله إن ربك يقول عليك السلام، وقد أرسل إليك بهذه الهدايا والتحف.

فتوهم سرور قلبك بتحف ربك ولطفه إياك، حتى إذا خرجوا من عندك أقبلت على نعمتك مع زوجتك قد حار فيها طرفك واشتد بها سرورك؛ فبينا أنت معها في غاية السرور والحبور إذ أتى النداء بأحسن نغمة وأحلى كلام من بعض ما أعد الله من أزواجك: يا ولي الله أما لنا منك دولة؟ أما آن لك أن تنظر إلينا؟ فلما امتلأت مسامعك من حسن كلامها طار قلبك عشقًا لحسن نغمتها فأجبتها ومن أنت بارك الله فيك؟ فردت الجواب إليك: أنا من اللواتي قال الله عز وجل: **﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**. فتوهم وُثوبك من سريرك إلى صحن قلبك، ثم مشيت مع ولدانك وخدمك وقرن ولدانها وخدامها يستقبلونك واستقبلوك ومشوا بين يديك حتى أتيت قبّة من ياقوتة حمراء في قصر من در وياقوت، فلما دنوت من باب قصرها قامت قهارمتك وخدامك رافعي ستور قصرك فدخلته ممتلئا سرورًا. فتوهم باب القصر وحسن الستر وحسن الحجاب والقهارمة والخدام، ثم دخلت من باب قصرك الذي نادتك منه زوجتك، فلما دخلت من بابه وقع بصرك على حسن جدرانه من الزمرد الأخضر، وحسن رياضه، وبهجة بنائه، وإشراق عرصاته، ونظرت إلى قبتك التي فيها زوجتك يلألأ نور القبة نورًا وضوءًا وإشراقًا بنور وجهك ونور وجه زوجتك، فلما نظرت إليك نظرت من فرش الحرير والإستبرق والأرجوان فنزلت عن سريرها مبادرة قد استخفها شدة الشوق إليك وأزعجها العشق فاستقبلتك بالترحيب والتبجيل ثم عطفت عليك لمعانقتك.

وكذلك روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ إن الحوراء تستقبل ولي الله فتصافحه - فتوهم مجَّسة لين كفها وخواتمها في كفك، وقد شخصت

كالمبهوت تعجبًا من حسن وجهها ونعيم جسمها وتلألؤ النور من عوارضها، ثم وضعت كفها في كفك حتى أتيتما سريرك مضروبة عليك أريكتك فارتقيتما جميعًا على أريكتك واستدلت عليك جلال حجلتك وعانقت على فرشها زوجتك فمضت بك الأزمنة الطويلة، ثم أقبلت الولدان بالكاسات والأكواب فاصطفت قبالتكما، ثم أدرتما الكأس فيما بينكما، فبينا أنتما قد ملئتما فرحًا وسرورًا إذ نادتك أخرىمن قصر من قصورك: يا ولي الله أما لنا منك دولة؟ أما آن لك أن تشتاق إلينا؟ فأجبتها: ومن أنت بارك الله فيك؟ فرجعت إليك القول أنا من اللواتي قال الله عز وجل: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، فتحولت إليها وأنت تنتقل فيما بين أزواجك في قصورك وخدامك وولدانك في غاية النعيم وكمال السرور، وقد زحزحت عنك كل آفة، وأزيل عنك كل نقص، وطهرت من كل دنس، وأمنت فيها الفراق؛ لأن الله تعالى قد قصد قلبك فقال للهموم زولي عنه فلا تخطري له أبدًا، وقال للسرور تمكن منه فلا تزول منه أبدًا، وقال للأسقام زولي عن جسمه فلا تعرضي له أبدًا، وقال للصحة أقيمي في بدنه فلا تبرحي أبدًا، وذبح الموت وأنت تنظر إليه، فأمنت الموت فلا تخافه أبدًا، ولا زوال ترتقيه ولا سقم يعتريك أبدًا، ولا موت يعرض لك أبدًا، قد منحت جوار ربك ترفل في أذيالك لا تخاف سخطه أبدًا بعد رضاه عنك، فلا تخاف نقمه فيما تتقلب فيه من نعيمه، وأنت عالم بأن الله عز وجل محب لك مسرور بك وبما تتقلّب فيه من سرورك، فأعظم بدار الله دارًا، وأعظم بجوار الله جوارًا، فالعرش قد أظلك بظله، والملائكة تختلف إليك بالألطاف من عند ربك في حياة لا يزيلها موت، ونعيم لا تخاف له فوتا، آمنا من عذاب ربك، قد أيقنت برضاه عنك، ووجدت برد عفوه في قلبك مقيمًا دائمًا في الخلود مع الأمان لنوائب الدهر وحوادث الأزمان لك ولجميع أوليائه، متحدثًا بجمعهم تحت ظل طوبى؛ فبينا أولياؤه وأنت فيهم تحت ظل طوبى يتحدثون إذ أمر الله مناديًا من

ملائكته فنادى أولياءه لينجز لأوليائه ما وعدهم من غاية كرامته وعظيم مسرته بأن يقربهم منه ويناجيهم بترحيبه ويريهم وجهه الكريم ليبلغوا بذلك أشرف المنازل وغاية السرور ومنتهى الرغبة، فلم تشعر إلا ونداء الملك: أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله لموعدًا لم تروه، فيرجعون إليه القول استعظامًا لما أُعطوا؛ فإن لا عطية فوق ما أُعطوا بعد ذلك، أدخلوا في جواره وأمنوا من عذابه وأنت قائلها معهم: ألم ينظر وجوهنا، ألم يدخلنا الجنة، أم يزحزحنا عن النار، فناداهم أن الله يستزيركم فزوروه، فبينما هم كذلك وقد كادت قلوبهم أن تطير بأرواحهم في أبدانهم فرحًا وسرورًا، إذ أقبلت الملائكة يقودون نجائب بخت خلقت من الياقوت، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن وجوههم المصابيح نضارة وحسنًا، لا تروث ولا تبول، ذوات أجنحة، قد علاها خز من خز الجنة أحمر، ومرعز من مرعزها أبيض مشرق في بياضه، على ظهرها خطان حمرة في بياض على هيئة وتر النجائب في الدنيا، لم ينظر الخلائق إلى مثله وحسن لونه.

فتوهم حسن تلك النجائب وحسن صورها، نجائب من ياقوت الجنة في حمرته وصفائه وإشراق نوره وتلألؤه حين مشي في تحركه، فتوهمها بحسنها وحسن وجوه الملائكة وحسن أزمتها بسلاسل من ذهب الجنان وهي تقودها وتقبل بها إلى أولياء الله وأنت فيهم معتدلة في خببها بحسن سيرها لأنها نجب خلقت على حسن والسير غير تعليم من العباد، فهي نجب من غير رياضة، ذلل بسلاسلها منقادة من غير مهنة؛ فتوهم إقبال الملائكة بها إليهم حتى إذا دنوا من أوليائه أناخوها، فتوهم بركوبها في حسنها وهيئة خلقها وقلبك عارف أنك ستركب بعضها إلى ربك منطلقًا في الزائرين له، فلما أناخوها فبركت على كثبان المسك من رياض الزعفران تحت طوبى ومستراح العابدين أقبلت الملائكة على أولياء الله فقالوا بحسن نغماتهم: يا أولياء الرحمن إن الله ربكم

يقريكم السلام ويستزيركم فزوروه لينظر إليكم وتظروا إليه، ويكلمكم وتكلموه، ويجيبكم وتجيبوه ويزيدكم من فضله ورحمته، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم. فلما سمعها أولياء الله وسمعتها معهم وثبوا مسارعين إلى ركوبها حبا وشوقا إلى ربهم؛ فتوهم سرعة توثبهم وأنت معهم بحسن وجوههم ونورها وإشراقها سرورًا بقرب ربهم ورؤية حبيبهم، فتوهم هيبتهم حين رفعوا أيمان أرجلهم إلى ركب الياقوت والزمرد والدر، فتوهم حسن أقدامهم ونعيمها، إنها أقدام غيرت عن خلقها فأكسيت في الحسن بخلاف ما كانت عليه في دار الدنيا، ثم أكنها الله في جنته من كل آفة فغير خلقتها متخضبه، لها أحقاب الدهور في كثبان المسك ورياض الزعفران؛ فتوهم حسن نورها وقد رفعها أولياء الله إلى ركب الياقوت والدر، فتوهمها بحسنها في أحسن ركب نجائب الجنان، ثم ثنوا من غير عنف لا مشقة حتى استووا على رحائل من الدر والياقوت مفضضة بالعبقري والأرجوان؛ فيا حسن بياض الدر في حمرة الأرجوان، فلما استووا عليها واستويت علىنجيبك معهم أثاروا نجائبهم فثارت، فثار عجاج المسك لوثوبها علا ذلك ثيابهم وجمامهم، ثم استوت النجائب صفًا واحدًا معتدلاً فصاورا موكبًا معتدلاً لا عوج فيه، ولا يتقدم بعضها بعضًا، فأعظم به من موكب وأعظم به من ركبان؛ فتوهم امتداد صفهم في اعتداله واصطفاف وجوههم معتدلة في اصطفافها، وعلى جباههم الأكاليل، من فوق رؤوسهم تيجان من الدر والياقوت، فما ظنك باجتماع وجوه أهل الجنان كلها، عليهم الأكاليل والتيجان مصطفة متحاذية، فما ظنك بأكثر من ألف ألف ألف ألف، وما تقدر القلوب على إحصاء عدد من تيجان الدر والياقوت مطنطنة على وجوههم نضرة ضاحكة فرحة مستبرة. فلو توهمت هذا الموكب بنجبائبه واعتدال ركبانه واصطفاف تيجانه على وجوه أولياء الله المشرقة الناعمة من تحته، ثم رهقت نفسك اشتياقا لكنت لذلك حقيقا، ولكنت به حريا إن عقلت

ذلك شوقا من قلبك بإيقان بإنجاز من موعد ربك لذلك لأوليائه، فلما اعتدل الصف واصطفت التيجان تبادروا بينهم: سيروا إلى ربنا.

فتوهم النجائب حين أخذت في السير بأخفاف من الياقوت سيرا واحدا بخط واحد لا يتقدم بعضها بعضًا، تهتز أجسام أولياء الله عليها من نعيمها وأكتافهم متحاذية في سيرهم وأخفاف رواحلهم وركبها متحاذية في خيبها، فانطلقوا كذلك تثير رواحلهم المسك بأخفافها، وتهتز رياض الزعفران بأرجلها، فلما دنوا من أشجار الجنة رمت الأشجار إليهم من ثمارها فصارت الثمار وهم يسيرون في أيديهم، فيا حسن تلك الثمار في أكفهم، وتزحزحت وتنحت الأشجار عن طريقهم لما ألهمها مولاها أن لا يتثلم صفهم فيتعوج بعد استوائه، ويختلف بعد اعتداله، ويفرق بين ولي الله ورفيقه لأنهم رفقاء في الجنان لتحابهم في الدنيا في ربهم، فالرفقاء مشهورون كل رفيقين قد شهرا بالمراققة، وجعل زيهما ولباسهما لونًا واحدًا، ولون رواحها لونًا واحدًا.

فتوهم نفسك إذ من عليك ربك وأنت لاصق برفيقك منكبك بمنكبه، وقد دنوتما من أشجار الجنة فنفضت ثمرها فوقعت الثمار في أيديكما وأيدي أولياء الرحمن، ثم تنحت بأصولها عن طريقهم فهم يسيرون فرحين، وقد شخصت قلوبهم بالتعلق إلى نظر حبيبهم فهم يسيرون بالسرور ويلتفت بعضهم إلى بعض يتحادثون ويضحك بعضهم إلى بعض، يتداعبون في سيرهم، يحمدون ربهم على ما صدقهم على ما أباح لهم من جواره؛ فبينا هم في سيرهم إذ دنوا من عرش ربهم وعاينوا أحسن حجبه ونوره واستحثوا السير شوقًا وحبا وفرحا به. فتوهم نجائبهم تطير في سيرها باعتدال موكبهم وإشراق وجوههم والملائكة قد أحدقت بالنجائب تزفهم زفا إلى ربهم حتى انتهوا إلى فصحة عرش مولاهم، فتوهم سعة تلك الفحصة وحسن نورها ببهجتها وزهرتها، وقد وضعت الزرابي والنمارق على كثبان المسك، عرف كل فتى منهم ما أعد له،

والكراسي لأهل صفوته من عباده، وأحبائه من خلقه، لما دنوا إلى ما أعد لهم من المنابر والكراسي والزرابي والنمارق، فنثي رجله الحسنة من الركاب إلى منبر أو كرسي أو زربة؛ فتوهم ثنيهم أرجلهم إلى كراسيهم، حتى استووا عليها، فتوهم نعيم تلك الأفخاذ والأوراك المرتفعة على الكراسي بالدر والياقوت، فأعظم به من مقعد وأعظم بولي الله متربعًا. فلما أخذ القوم مجالسهم واطمأنوا في مقعهدهم والحجب تسطع نورها فيا لذة أعينهم، وقد أصغوا بمسامعهم منتظرين لاستماع الكلام من حبيبهم؛ فتوهم في مقعدهم الصدق الذي وعدهم مولاهم ومليكهم في القرب منه على قدر منازلهم، فهم في القرب منه على قدر مراتبهم، فالمحبون له أقربهم إليه قربًا إذ كانوا له في الدنيا أشد حبا، وأقرب إلى عرشه منهم القائمون بحجته عند خلقه، ثم الأنبياء. عليهم السلام ثم الصديقون على قدر ذلك في القرب من العزيز الرحيم، فأعظم به من مزور، وجل وتكبر من مزور.

فتوهم مجلسهم بحسن كرامتهم وجمال وجوههم وإشراقها لما رهقها نور عرشه ﷻ وإشراق حجبه فلو صح لك عقلك ثم توهمت مجلسهم وإشراق كراسيهم ومنابرهم وما ينتظرون من رؤية ربهم، ثم طار روحك شوقًا إليه لكنت بذلك حقيقا. فلما عظم ذلك عند عاقل عن الله، مشتاق إلى ربه ورؤيته، فتوهم ذلك بعقل فارغ لعل نفسك أن تسخى بقطع كل قاطع يقطعك عنه، وترك كل سبب يشغلك عن التقرب فيه إلى ربك. فلما استوى بهم المجلس واطمأن بهم المقعد وضعت لهم الموائد ليكرم الله ﷻ زواره بالإطعام والتفكيه لهم، ووضعت الموائد لزوار الله ﷻ وأحبائه من خلقه، قامت الملائكة على رؤوسهم معظمين لزوار الرحمن، فوضعت الصحاف من الذهب فيها الأطعمة وطرائف الفاكهة مما لم يحسنوا أن يتمنوا، فقدموا أيديهم مسرورين بإكرام ربهم لهم، لأن حقًا على كل مزور أن يكرم زائره فكيف بالمزور الكريم الواحد

الجواد الماجد العظيم. فتوهم وهم يأكلون فرحين مستبشرين بإكرام مولاهم لهم، حتى إذا فرغوا من أكلهم قال الجليل لملائكته: اسقوهم، فأتتهم الملائكة، لا الخدام والولدان، بأكواب الدر وكؤوس الياقوت، فيها الخمر والعسل والماء والألبان؛ فتوهم تلك الكأسات وتلك الأكواب بأيدي ملائكة الرحمن، فتناولوها أولياء الله فشربوها، فتنازع حسن الشراب في وجوه الزوار، فلما سقتهم الملائكة ما أمرهم الله به من الأشربة قال الجليل: اسكوا أوليائي، فتوهم الملائكة، وقد جاءت بالحلل التي لم يلبسوا في الجنة مثلها، ثم قاموا على رؤوسهم فألبسوها أهل كرامة الله ورضوانه، فتوهم وقد صيروها من فوق رؤوسهم حتى صارت على أقدامهم فأشرقت بحسنها وجوههم، ثم أمر الجليل تبارك وتعالى أن طيبوهم، فارتفعت السحاب بحسنها وشدة ضيائها ونورها لحمل ألوان الطيب من المسك وجميع طيب الجنان ما لم يجدوا مثل رائحته، فتوهمها تمطر عليهم الطيب يتساقط عليهم مطرًا حتى علا جباههم وثيابهم، فلما أكلوا وشربوا وخلعت الملائكة الخلع وطيب مطر السحاب، شخصت أبصارهم وتعلقت قلوبهم ثم رفع الحجب؛ فبينا هم في ذلك إذ رفعت الحجب فبدا لهم ربهم بكماله، فلما نظروا إليه وإلى ما لم يحسنوا أن يتوهموه ولا يحسنون ذلك أبدًا لأنه القديم الذي لا يشبهه شيء من خلقه، فلما نظروا إليه ناداهم حبيبهم بالترحيب منهم وقال لهم: مرحبا بعبادي، فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور ما لم يجدوا مثله في الدنيا ولا في الجنة، لأنهم يسمعون كلام من لا يشبه شيئا من الأشياء. فتوهمهم، وقد أطرقوا وأصغوا بمسامعهم لاستماع كلامه، وقد علا وجوههم نور السرور لكلام حبيبهم وقرير أعينهم، فلو توهمت نفسك وقد سمعت قول الله لأوليائه مرحبا بهم، ثم طار روحك فرحًا به وحبا له لكان ذلك منه حقيرًا وصغيرًا عندما توهمته من نفسك عند استماع كلامه، فحياهم بالسلام فردوا

عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام. فمرحبا بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني في الغيب وقاموا مني على كل حال مشفقين، وقد رأيت الجهد منهم في أبدانهم أثرة لرضاي عنهم، قد رأيت ما صنع بكم أهل زمانكم فلم يمنعكم جفاء الناس عن حقي، تمنوا علي ما شئتم.

فلو رأيتهم وقد سمعوا ذلك من حبيبهم يذكرهم ما كانوا عليه في دنياهم من رعاية عهده وحفظه ودوام خوفهم منه، وقد استطاروا فرحا لما شكر لهم رعايتهم حقه، وحفظ منهم خوفهم، ورحب بهم محبة لهم، إذ كانوا بذلك إياه في الدنيا يعبدونه؛ استطارت قلوبهم فرحًا وسرورًا إذ لم يفرطوا في طاعته ولم يقصروا في مخافته، فاغتبطوا لما كانوا به لله في الدنيا يدينون من شدة خوفهم ورعاية حقه وحفظه، فردوا إليه الجواب مع سرور قلوبهم بالقسم لعظمته وجلاله، أنهم قد قصروا عما كان يحق له عليهم إعظامًا له واستكثارًا، إذ أثابهم جنته وأكرمهم بزيارته وقربه واستماع كلامه، قالوا عند ذلك: وعزتك وجلالك وعظمتك وارتفاع مكانك ما قدرناك حق قدرك، ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود، فقال لهم ربهم: إني قد وضعت عنكم مؤونة العبادة وأرحت لكم أبدانكم فطالما أتعبتم الأبدان وأكنتم لي الوجوه، فالآن أفضتم إلى كرامتي ورحمتي فتمنوا علي ما شئتم.

وفي بعض الحديث أنهم إذا نظروا إليه خروا فيناديهم بكلامه تبارك وتعالى: ارفعوا رؤوسكم، ليس هذا حين عمل، هذا حين سرور ونظر.

فتوهم بعقلك نور وجوههم وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم، وسمعوا كلام حبيبهم، وأنيس قلوبهم، وقره أعينهم، ورضا أفئدتهم، وسكن أنفسهم، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم، فنظروا إلى من لا يشبهه شيء

بأبصارهم، فبلغوا بذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة. فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجيل الذي لا يقع عليهم الأوهام، ولا يحيط به الأذهان، ولا تكيفه الفكر، ولا تحده الفطن، الذي لا تأويه الأرحام، ولم تنقله الأصلاب، ولا يبدو فيكون مطبوعًا منتقلا؛ الأزلي القديم الذي حارت العقول عن إدراكه، فكلت الألسنة عن تمثيله بصفاته، فهو المنفرد بذاته عن شبه الذوات، المتعالي بجلاله على مساواة المخلوقين؛ فسبحانه لا شيء يعادله، ولا شريك يشاركه، ولا شيء يريده فيستصعب عليه أو يعجزه إنشاؤه، استسلم لعظمته الجبارون، وذل لقضائه الأولون والآخرون، نفذ في الأشياء علمه بما كان وبما لا يكون، وبما لو كان كيف كان يكون، فأحاط بالأشياء علما، وسمع أصواتها سمعا، وأدرك أشخاصها... ونفذ فيها إرادته، وأمضى فيها مشيئته، فهي مدبرة وقربها اختراعا فكانت عن إرادته، لم يتقدم منها شيء قبل وقته الذي أراد فيه كونه، ولم يتأخر فيه عن نهيه، وكيف يستصعب عليه من لم يكن شيئا مذكورًا حتى كونه سبحانه الواحد القهار.

فلما سر أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعم قلوبهم بمناجاته، واستماع كلامه، أذن لهم بالانصراف إلى ما أعد لهم من كرامته ونعيمهم ولذاتهم، فانصرفوا على خيل الدر والياقوت على الأسرة فوقها الحجال ترف وتطير في رياض الجنان. فما ظنك بوجوه نظرت إلى الله ﷻ وسمعت كلامه كيف ضاعف حسنها وجمالها، وزاد ذلك في إشراقها ونورها، فلم تزل في مسيرها حتى أشرفت على قصورها، فلما بدت لخدامها وقهارمتها وولدانه مستقبلة من أبواب قصوره حتى أحدقوا به يزفونه إلى قصوره وخيامه، فلما دنا من باب قصره وخيامه قامت الحجاب ارفعي ستور أبواب قصره معظمين مجلين له وبادرت إليه أزواجه، فلما نظرت زوجته إلى جمال وجهه قد ضوعف في حسنه وإشراقه ونوره، ازدادت له حبا وعشقا، وأشرقت قصوره وقبابه وخيامه

وأزواجه من نور وجهه وجماله، وازدادت أزواجه حسنا وجمالا ووجاهة وحشمة، ثم نزلوا عن خيولهم إلى صحون قصورهم، ثم اطمأنوا على فرشهم وعادوا إلى نعيمهم واشتاقوا إلى منادمة إخوانهم فركبوا النجائب والخيل عليها يتزاورون، حتى التقوا على أنهار الجنة ففرشت لهم نمارق الجنان وزرابيها على كثبان المسك والكافور، وتقابل الإخوان على السرور والشراب، فقامت الولدان بالكأسات والأباريق والأكواب يغترفون من أنهار الجنة، أنهارهم الخمر والسلسبيل والتسنيم، فلما أخذت الولدان الكأسات واغترفوا ليسقوا أولياء الرحمن، لم يشعروا إلا بنداء الله ﷻ: يا أوليائي طالما رأيتكم في الدنيا وقد ذبلت شفاهكم ويبست حلوقكم من العطش، فتعاطوا اليوم الكأس فيما بينكم وعودوا في نعيمكم فكلوا واشربوا هنيئا مريئا بما أسلفتم في الأيام الخالية. فلا يقدر الخلائق أن يصفوا سرور قلوبهم حين سمعوا كلام مولاهم يذكر أعمالهم شكرا منه لهم، وغبطة منه لهم لما ناداهم إلى معاطاة الكأس للمنادمة بينهم بعد معرفتهم في الدنيا... منادمة أهل الدنيا على خمورهم. فلو رأيت وجوههم وقد أشرقت بسرور كلام مولاهم واغتباطه لما ذكرهم أعمالهم الصالحة من صيامهم، وتركهم منادمة أهل الدنيا لمرضاته، وما عوضهم من المنادمة في جواره، وما أيقنوا به من سرورهم بمنادمتهم على الخمر العسل والألبان، فأعظم به من مجلس وأعظم به من جمع، وأعظم به من منادمين في جوار الرحمن الرحيم. فكن إلى ربك مشتاقا وإليه متحببا، ولما حال بينك وبينه قاطعًا وعنه معرضا، وابتهل في الطلب إلى الله بفضله وإحسانه، وأن لا يقطع بك عنهم. وبالله التوفيق وإليه المصير، والجنة مثوى المؤمنين وثواب المتقين وشرور المحزونين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسباب النيران

أسباب النجاة من النيران

أخي الحبيب اعلم أن أكبر الأسباب التي تدخل النيران هي الشرك بالله تعالى، اعلم يا عبدالله أن أكبر الكبائر وأعظمها خطرًا هو الشرك بالله، أعاذنا الله وإياك من قليله وكثيره، ودقِّه وجلِّه. وذلك أنه يمنع العبد دخول الجنة، ويوجب عليه دخول النار.

قال تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾**[1].

وقال: **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾**[2].

وعن جابر، قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ، فقال يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: "**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**"[3].

فاعلم -رحمك الله- أن توحيد الله تعالى هو أول الواجبات على العبد، فإنك إذا ما عرفت الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنى فإن الواجب عليك هو توحيده في ذاته وفي صفاته وأفعاله، بأن تعتقد أن الله تعالى له الوحدانية التامة في ذاته وصفاته وأفعاله، فالله تعالى لا يشبهه أحد في ذاته ولا في أفعاله ولا

---

[1] المائدة: ٧٢.

[2] الحج: ٣١.

[3] أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار، (ح٩٣).

في شيء من صفاته سبحانه.

فمن توحيده في ذاته سبحانه أن تعتقد أنه سبحانه واحد أحد فرد صمد ليس مركبًا مع غيره كما يعتقد النصارى الضالون، فهم كفار مشركون لاعتقادهم أن عيسى بن الله أو أنه هو الله، ولجعلهم إياه سبحانه أبًا لعيسى إذ يقولون في تراتيلهم: (بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين) فيجعلون الثلاثة إلهًا واحدًا، وقد حكى القرآن قولهم وكفرهم به فقال سبحانه: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾**[1].

وقال أيضًا: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾**[2].

وقال أيضًا: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[3].

وشبيه بقولهم أو هو أغلظ منه في الكفر قول من يعتقد أن الله يحل في أحد من خلقه نبي أو ولي أو غير ذلك فكل ذلك عين الشرك والضلال، وكذلك قول من يعتقد أن الرسول محمد ﷺ مخلوق من نور الله، وذلك لأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد ليس بمركب ولا بمجزأ، وليس له أبناء ولا أجزاء، وليس له صاحبة ولا ولد، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

أما توحيده في صفاته سبحانه فهو بأن تعتقد أنه سبحانه هو وحده المتصف بما وصف به نفسه لا يشاركه في ذلك أحد في الحقيقة، فالله سبحانه هو الخالق وحده، هو الرازق وحده، هو مالك الملك وحده لا يشاركه في

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) التوبة: ٣٠.

ذلك أحد، وقد يتصف المخلوق ببعض ما وصف الله تعالى به نفسه، ولكن لا يشابهه في صفاته سبحانه أحد من خلقه.

فالله تعالى هو الحي السميع البصير العليم، والمخلوق يوصف بأنه حي سميع بصير عليم.

ولكن صفات الله تعالى لا يشابهه فيها أحد، فليست حياة الله تعالى كحياة المخلوقين وليس سمعه وبصره كسمعهم وأبصارهم، وليس علمه كعلمهم، فالعبد وإن اتصف بالحياة فحياته ليست دائمة وليست أزلية فهو مخلوق بعد أن لم يكن وهو ميت، والله تعالى حي لا يموت أبدًا هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، فشتان بين حياة المخلوق وحياة الخالق.

وكذلك سمع العبد وبصره محدود لا يسمع كل شيء ولا يبصر كل شيء، والله سبحانه لا يغيب عنه شيء ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، مطلع على كل شيء لا تخفى عليه خافية.

وكذلك قد يتصف بعض الناس بالعلم وأنه عالم ولكنه لا يعلم كل شيء، بل يعلم القليل ويخفى عليه الكثير، وما علم الناس جميعًا في علم الله إلا كما أخذ طائر من البحر بمنقاره.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ .

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

كذلك فقد يدعي بعض الناس كالكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين

الكهف: ١٠٩.
لقمان: ٢٧.

وغيرهم أنه يعلم الغيب ولكن المؤمن يعتقد أنه لا يعلم الغيب حقيقة إلا الله تعالى.

فالله سبحانه هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[١].

فإذا اعتقدت أن الله تعالى هو الفاعل وحده، وأنه سبحانه هو النافع والضار وحده، وأنه سبحانه الرازق وحده والشافي وحده لا شفاء إلا شفاؤه، وأنه هو سبحانه مدبر الأمر وحده، لا يملك أحد معه من الأمر شيئًا، إذا اعتقدت ذلك فقد وجب عليك ألا تأتي ساحرًا تعتقد أن بيده نفعًا لك أو ضرًّا لأحد من خلق الله تعالى، بل لابد أن تعتقد أن الساحر لا يؤثر في الشيء بنفسه ولا بسحره ولا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، وقد قال الله تعالى في كتابه عن السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

فاعلم يا عبدالله، أن الذهاب إلى السحرة من أكبر الكبائر، هذا لمن يعلم أن الساحر لا يملك شيئًا وأنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، فمن اعتقد أن السحر مؤثر بنفسه، وأن الساحر قادر بنفسه على فعل ما يريد بغير إذن الله فقد كفر وأشرك بالله العظيم، كفرًا أكبر يخرجه من ملة الإسلام؛ لأنه قد نسب بعض صفات الله تعالى لغير الله.

فإذا علم العبد ذلك وجب عليه ألا يصدق كاهنًا أو عرافًا ممن يضرب الحصى أو ينظر في النجوم أو غير ذلك ممن يدعون علم الغيب، وليعلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله، أما الكهان فلا يعلمون من الغيب إلا ما يسترقه الشياطين؛ إذ يسمَّعون إلى الملأ الأعلى، فيقذفون بالشهب من كل جانب وقد

---

(١) الجن:٢٦-٢٧.

(٢) البقرة:١٠٢.

أخبر الصادق المصدوق فيما صح عنه أن الشياطين يركب بعضهم بعضًا حتى يسترق أحدهم السمع فيخطف كلمة من كلام الملائكة في الملأ الأعلى، فقد يلقي الكلمة إلى من هو أسفل منه من قبل أن يلقي الكلمة[1]، فتنقل الشياطين هذه الكلمة إلى الكاهن أو الساحر ويزيدون فيها مائة كذبة، فمن أجل ذلك قد يصدق الكاهن والساحر من أجل هذه الكلمة التي تأتيه بها الشياطين من حديث الملأ الأعلى فيصدقه الناس، وإن كان أغلب ما يقوله الكذب ولا يقدر على علم شيء من الغيب إلا ما شاء الله أن تسترق الشياطين وتلقيه إليه كي يكون فتنة للناس ليميز الله بين من يوحد الله تعالى ومن يشرك به غيره.

وفي الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ما يزجر عن ذلك فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "**من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدق ما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**"[2]. وصح عنه ﷺ كذلك أنه قال: "**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**"[3].

فإذا علمت أن الله تعالى هو المتصرف في الكون وحده وأنه لا شيء ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى فقد وجب عليك كذلك أن تعتقد أنه لا يجوز لك أن تعلق تميمة[4] أو تتخذ خيطًا أو حلقة أو تتبرك بقبر أو قبة من قباب

---

(1) جاء ذلك في حديث طويل أخرجه البخاري وغيره، فتح الباري (٢٩٨/٨)، (ح٤٨٠٠).

(2) صحيح الجامع وعزاه إلى صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة.

(3) صحيح الجامع وعزاه إلى صحيح مسلم ومسند أحمد عن بعض أمهات المؤمنين.

(4) والتميمة هي ما يسميها العامة حجابًا وهي ورقة يكتبها بعض الدجالين لمن يأتونهم بغرض الشفاء أو قضاء الحوائج أو رد المحبوب أو جلب الرزق أو غير ذلك فيكتبون لهم فيها كلامًا سريانيًا أو عبريًا أو غير ذلك أو يكتبون حروفًا عربية أو كلامًا غير مفهوم فهذا كله لا يجوز اتخاذه لأنه غالبًا ما يكون شركًا أو سحرًا تأمر به الشياطين أربابها من الكهنة والدجالين. أما التمائم التي لا يكتب فيها إلا القرآن، فقد اختلف السلف في جوازها فمنهم

الصالحين أو تتبرك بحجر أو شجر أو غير ذلك. أو ترتقي بكلام لا تعلمه، إلا أن يكون قرآنًا أو رقية نبوية أو رقية بكلام عربي مفهوم ليس فيه شرك أو سحر أو طاعة للشياطين، فإن ذلك كله مما ينافي التوحيد، وهو من الكبائر التي تخل بتوحيد المرء، ومن اعتقد أنها تنفع بنفسها فقد كفر وأشرك.

وكذلك من توحيده في ربوبيته سبحانه توحيده في أفعاله بأن تعتقد أنه هو الفاعل في الكون وحده فهو خالق كل شيء خلق الخير والشر والحياة والموت، وبيده النفع والضر وليس له من خلقه شركاء ولا وزراء وليس له في الدنيا من خلقه شفعاء يشفعون في خلقه أو يتوسطون عنده في قضاء حوائجهم، فالشفاعة لا تكون إلا في الآخرة ولا تكون إلا بإذنه سبحانه لمن رضي له قولاً، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾[1].

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾[2].

أما في الدنيا فلا يشفع أحد عند الله ولا يتوسط لقضاء حوائج عباده، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك في ربوبية الله تعالى لخلقه، كما أشرك المشركون الأوائل.

هذا ومما يدخل في شرك الربوبية والشرك في صفات الله تعالى كذلك الاعتقاد بأن شريعة الله الغرّاء لا تصلح لهذا الزمان، وأن أهل هذا الزمان قادرون على معرفة ما يصلحهم وينفعهم، وأن قوانينهم الوضعية الأرضية هي أنسب للعصر وأصلح له من كتاب رب العالمين وسنة رسوله الأمين.

فمن اعتقد هذا فقد أتى بالكفر والشرك الواضح المستبين لأنه إن رجع إلى

من جوّزها ومنهم من منع ذلك.

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) طه: ١٠٩.

الشك في علم الله تعالى بما ينفع العباد وما يصلحهم في كل زمان ومكان فهو راجع إلى الشرك في الربوبية وإلا فهو راجع إلى الشرك في عبودية الله وهو طاعة غير الله فيما يخالف شرع الله، وسيأتي بيانه.

وجوب توحيد الله في عبادته سبحانه

إذا علم العبد أن الله تعالى هو الخالق وحده، وهو مدبر الأمر وحده، وهو الرازق وحده، فليعلم أنه يجب عليه أن يعبده وحده، وألا يشرك به في عبادته شيئًا، وهذا هو توحيد العبادة وهو التوحيد الحق الفاصل بين الموحدين والمشركين، فإن المشركين في زمان النبي ﷺ كانوا يقرون لله تعالى بوحدانيته في صفاته، ولكن كانوا يشركون في عبادته، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [(١)].

وقال أيضًا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [(٢)].

وكانوا يقولون في سبب عبادتهم للأصنام التي هي تماثيل، وصور للأولياء والصالحين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [(٣)]. أي قربى وواسطة.

فكفرهم الله بذلك، وحكم على قولهم بأنه كفر وكذب وضلال فقال: ﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [(٤)].

فالمشركون كانوا مقرين بأن الله تعالى هو الخالق والرازق ومدبر الأمر ومالكه وحده، ومع ذلك كانوا يدعون الأولياء والصالحين متوجهين إلى صورهم وتماثيلهم، ليقربوهم إلى الله وليستشفعوا بهم عند الله في قضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ

---

(١) الزخرف:٩.
(٢) الزخرف:٨٧.
(٣) الزمر:٣.
(٤) الزمر:٣.

وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ الله بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

والعبادة تشمل جميع ما شرعه الله تعالى لعباده ليتقربوا به إليه من الدعاء والذكر والاستغفار والصلاة والصيام والزكاة والحج والطواف والنذر وتلاوة القرآن.. إلى آخر ما شرعه الله تعالى لعباده فكل ذلك وغيره من العبادات التي لا يجوز أن يصرفها العبد لغير الله تعالى.

(فالدعاء هو العبادة) . كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ فمن دعا نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو رجلاً صالحًا من الأموات أو غير ذلك ليجلب له نفعًا أو يكشف عنه ضرًّا فقد أشرك بالله تعالى لأنه قدم العبادة لغيره سبحانه.

فليكن دعاؤك لله وحده في حاجتك كلها.

ولا يلبسنَّ عليك مضلل من المضللين بأنك كثير الذنوب والمعاصي فلابد أن تتقرب إلى الموتى من أولياء الله الصالحين بالدعاء لهم أو الذبح أو النذر أو الطواف أو التمسح حول أضرحتهم أو غير ذلك من الوسائل الشركية الباطلة زعمًا منهم أن من فعل ذلك توسطوا له عند الله في قضاء حوائجه ألا فاعلم أن ذلك هو عين الشرك الذي بعث محمد ﷺ للقضاء عليه.

واعلم أن الله تعالى لا يردك أبدًا مهما عظمت ذنوبك وخطاياك، وفي الحديث القدسي عن رب العزة جل وعلا: "ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك

يونس:١٨.

انظر صحيح الجامع للشيخ الألباني وعزاه إلى البخاري في الأدب وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"[١].

وكما أن الدعاء عبادة لا تجوز إلا لله تعالى كذلك فإن الخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغيرها من أعمال القلوب هي من العبادات الباطنة، فمن صرفها إلى غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة وذلك بأن يعتقد أن غير الله تعالى يقدر على ضره بغير إذن الله تعالى فيخافه كما يخاف الله، أو يعتقد أنه قادر على نفعه بغير إذن الله فيرجوه كما يرجو الله تعالى ويحبه ويتذلل إليه ويتوجه إليه من دون الله، فهذا كله من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

كذلك فإن الذبح والنذر والطواف عبادات لا تقدم إلا لله تعالى فمن ذبح أو نذر أو طاف حول وثن أو قبر ولي أو غيره يدعوه من دون الله، أو يتخذه واسطة تقربه عند الله فقد أشرك كشرك المشركين الأوائل الذين بعث إليهم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكذلك كل من توجه إلى أي شيء كان من دون الله كأن يتوجه إلى الشمس أو النجوم أو الكواكب أو إلى حيوان بقرة أو عجل أو ثور أو صقر أو غير ذلك أو شجرة يعتقد بركتها أو حجر أو قبر أو تمثال أو صورة أو غير ذلك سواء اعتقد أنه ينفعه أو يضره أو اعتقد أنه مما يقربه إلى الله فكل ذلك من الشرك الأكبر المستبين الذي يخرج من الملة ويفسد الدين فاحذره يا عبدالله تكن من الناجين!

اجتناب الكبائر:

اعلم أنك إذا ما هداك الله تعالى إلى توحيده، واجتنبت الإشراك به، فإن أعظم الأسباب المنجية لك من النار بعد أداء الفرائض من الصلاة والزكاة والصوم

---

(١) صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٢٧)، وعزاه إلى الترمذي (٢/٢٧)، وذكر له شواهد قواه بها.

والحج هو اجتناب الكبائر الموبقات أي: المهلكات للعبد التي أخبر بها الله تعالى وأخبر بها رسولهﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾ .

وقال في صفة عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(٦٩) إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا(٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا(٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا(٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا(٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ .

فانظر كيف وصف الله تعالى عباده الذين وعدهم الغرفة العليا في الجنة بأنهم خائفون وجلون من عذاب جهنم يحترزون من أسبابها ويجتنبون أبوابها.

وانظر كيف بين اجتنابهم للإشراك به سبحانه، وكذلك اجتنابهم للكبائر

النساء: ٣١.

الفرقان: ٦٣ - ٧٧.

التي حرمها الله تعالى كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، فقد أخبر النبي ﷺ: "إن العبد لا يزال في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا"[١].

كما أخبر سبحانه أنهم يجتنبون الزنا، الذي أمر الله تعالى بعدم قربانه فقال: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾[٢] ونهى عن أسبابه ومقدماته من النظر والمس والخضوع بالقول من النساء للرجال وعكسه، كما نهى عن التبرج والاختلاط، وسماع الغناء الفاحش، لأن ذلك كله من أسباب تلك الفاحشة المقيتة.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٣] الآية.

وقال ﷺ "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، يصدق ذلك الفرج ويكذبه"[٤].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب: "يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة"[٥].

وأما الخضوع في القول، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

---

(١) أخرجه البخاري في أول كتاب "الديات"، (ح٦٨٦٢) عن ابن عمر.

(٢) الإسراء:٣٢.

(٣) النور:٣٠-٣١.

(٤) أخرجه مسلم في "القدر"، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (ح٢٦٥٧).

(٥) حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن بريدة، انظر صحيح الجامع (ح٧٩٥٣).

مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا(٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ﴾[1] الآية.

وفي التبرج قال ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[2].

وقال في الاختلاط: "لا يخلون رجل بامرأة..."[3] الحديث.

وعن ابن عمر، قال ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان"[4].

وفي الغناء قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5].

وقال ﷺ: "ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر

---

(١) الأحزاب:٣٢-٣٣.

(٢) أخرجه مسلم في "اللباس"، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، (ح٢١٢٨) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في "الجهاد" (٦/١٠٠)، وفي غير موضع، ومسلم في "الحج" (ح١٣٤١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه وأحمد والحاكم وقال الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة (ح٣١١٨): "إسناده صحيح".

(٥) لقمان:٦-٧.

والمعازف..."[1] الحديث.

وقال أيضًا: "ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات، وضربوا بالمعازف"[2].

ومن الكبائر كذلك شرب الخمر وكل مسكر أو مفتر للجسد مضعف لقواه وضار به كالسجائر وما فوقها من المخدرات والمفترات.

فمن الكبائر قذف المحصنات العفيفات أي رميهن بالفاحشة والخوض في أعراض المؤمنين والمؤمنات بالغيبة والنميمة والبهتان وغير ذلك.

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[3].

وقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات". قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[4].

وفي حديث جعفر بن أبي طالب مع النجاشي، قال: ونهانا -أي رسول الله ﷺ- عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا

---

(١) أخرجه البخاري في "الأشربة" (١٠/٥٣)، (ح٥٥٩٠) معلقًا، باب: "ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه". وقد وصله الطبراني والبيهقي وابن عساكر وغيرهم من طرق عن هشام بن عمار به، وراجع الصحيحة (ح٩١).

(٢) صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا في "ذم الملاهي"، عن أنس، انظر صحيح الجامع (ح٥٤٦٧)، وراجع الصحيحة (ح٢٢٠٣)

(٣) النور:٢٣.

(٤) أخرجه البخاري في "الوصايا"، (ح٢٧٦٦)، وفي مواضع أخر، ومسلم في "الإيمان"، (ح٨٩).

أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا..." .

وقال تعالى في الربا: ﴿وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ .

وقال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وقال في التطفيف: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

وقال ﷺ في الغش والمكر والخداع وغيره: "من غشنا فليس منا" .

وقال: "من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار" .

ومن الكبائر كذلك أكل الربا والميسر وهو القمار، والرشوة، والغش في المعاملات، وتطفيف الكيل والميزان وغير ذلك من الكبائر المذكورة في هذا الكتاب فاحذر ذلك كله يا عبدالله فتلك سبل النجاة من النار، والحمد لله العزيز الغفار.

موقف أهل السنة والجماعة من مرتكب الكبيرة:

لقد أجمل اللالكائي عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك فعقد بابًا في أن

أخرجه أحمد في "المسند"، (ح١٧٤٠) بترتيب الشيخ شاكر، وقال: "إسناده صحيح".

البقرة: ٢٧٥.

آل عمران: ١٣٠.

المطففين: ١-٥.

أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة.

صحيح أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود، انظر صحيح الجامع (ح٦٤٠٨).

المسلمين لا تضرهم الذنوب التي هي الكبائر إذا ماتوا عن توبة من غير إصرار ولا يوجب التكفير، وإن ماتوا عن غير توبة فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ثم ذكر الأدلة على ذلك مدعمًا إياها بأقوال السلف الكرام[١].

ويزيده هذه العقيدة الطحاوي وضوحًا بقوله: وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٢] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته[٣].

---

(١) اللالكائي في أصول الاعتقاد (٦/١٠٥٩-١٠٨٣).

(٢) النساء:٤٨، ١١٦.

(٣) متن الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (٣٦٩، ٣٧٠).

فصل

في الطريق إلى الجنة

لقد راعني وأفزعني حديث جرى بيني وبين بعض الشباب أردت دعوتهم إلى سبيل النجاة بعبادة الواحد القهار واتباع سنة حبيبه محمد ﷺ، وتركزت دعوتي لهؤلاء الشباب حول أهمية إقامة الصلاة، والتحذير من تركها أو التهاون في أدائها.

ولكن أخذ هؤلاء الشباب يتعللون بعلل وأعذار واهية، قمت بدحضها لهم، وبينت لهم أن لا عذر للمسلم في ترك الصلاة والتهاون فيها.

وهنا أراد هؤلاء الشباب أن يتخلصوا من المأزق الذي وقعوا فيه، فحولوا الأمر إلى تندر وسخرية بعاقبة الطاعة، وما أعده الله لعباده المتقين في جنات النعيم.

فإذا بأحدهم يقول لي: يا عم الشيخ أرح نفسك، أنت فاكر أن أحدًا سيدخل الجنة؟!!

وتعجبت لذلك جدًّا، ومع ذلك أكدت له أن دخول الجنة وعد صادق من الله تعالى لعباده المتقين.

وهنا تعالت صيحات السخرية من صاحبنا قائلا: المتقين! وأين هم المتقون؟

وهل يستطيع أحد في هذا الزمان أن يكون من المتقين؟

فأجبته قائلا: إن الله تعالى بعباده غفور رحيم، والمطلوب منك أن تبذل ما في وسعك لإنقاذ نفسك من سخط الله تعالى وعقابه؛ فإن قصرت في شيء بعد

ذلك مع إقبالك على الله تعالى وإنابتك إليه فاعلم أن الله تعالى لن يخيب سعيك، فالله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهو القائل: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١).

ولكن يبدو أن اليأس والإعراض قد استولى على نفوس أكثر البشر فيئسوا من رحمة الله: ﴿لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

وسبب ذلك أنهم أعرضوا عن عبادة الرحمن، وأقبلوا على طاعة الشيطان، وكلما دعاهم داعي الخير أن ينيبوا إلى ربهم لينالوا رحمته ورضوانه، أيأسهم الشيطان من ذلك، وباعد بينهم وبينه، ووسوس إليهم أن الله تعالى لا يقبلهم، وأنهم لا يطيقون ترك المعصية، ولن يصبروا على الطاعة، وأنهم مهما فعلوا وحاولوا فإن الطريق إلى الجنة بعيد ولا يصل إليه إلا الأنبياء وثلة قليلة من الأولين.

كما يصور لهم ذلك اللعين أن وعد الله تعالى بالجنة هو عين المحال، وأنه لا يناله إلا المقربون الذين كتب الله تعالى لهم السعادة من الأزل.

ويصور لهم كذلك أن سبيل الجنة لا تطيقه النفوس ولا تصبر عليه، وأن سعادة النفس ونشوتها في نيل المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولذا فإنك ترى أكثر الخلق معرضين عن سبيل النجاة مستوحشين من السير فيه، ويرونه عناء وشقاء في غير طائل، حتى ليخيل لهم أن الذي يطلب الجنة كالذي يطلب السراب.

وأقول لهؤلاء: إن الحقيقة بعكس ذلك، فإن هؤلاء الذين تلهوا بالحياة الدنيا عن الآخرة هم الذين يلهثون وراء السراب، وصدق الله تعالى إذ يقول

---

(١) التغابن:١٦.
(٢) يوسف:٨٧.

مصورًا حال هؤلاء التائهين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ الله عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَالله سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ .

وعن هؤلاء الذين لا يرجون رحمة الله تعالى، ولا يرجون لقاءه، يخبرنا الله تعالى عن جزائهم في الآخرة، فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

وحينما يعاين هؤلاء المعرضون عن طاعة الله تعالى جزاءهم في الآخرة، ويرون ما أعده الله تعالى للمتقين من جنات النعيم، وكيف تجاوز الله تعالى عن زلاتهم وغفر ذنوبهم، وأدخلهم في رحمته.

حينئذ يخبرنا الحق تبارك وتعالى عن حال هؤلاء المجرمين: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

اعلم أخي الحبيب أن الجنة قريبة منا فوق ما نتصور، فقد صح عن الحبيب ﷺ أنه قال: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك" .

النور: ٣٩-٤٠.

يونس: ٢٧.

الحجر: ٢-٣.

أخرجه البخاري في الرقاق، باب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار

فما أقرب الوصول إلى الجنة!

ولكن ما هو السبل الموصلة إليها؟

تعالوا نتأمل سبيلها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

بداية الطريق:

اعلم رحمك الله أن بداية طريقك إلى الجنة هو أن تتذكر الغاية التي خلقك الله تعالى لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

فالعبد إذا نسي الغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها، والهدف الذي يراد منه تحقيقه -فإنه سوف يضل بلاشك ويهلك في أودية الدنيا ودروبها الملتوية، وحينئذ لا يبالي الله تعالى به في أي أودية الدنيا هلك.

ففي الحديث عن النبي ﷺ: "من جعل الهموم همًّا واحدًا - هم المعاد- كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم-من أحوال الدنيا- لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك"[(٢)].

وهذه الغاية لاشك أنها واضحة جلية لدى كل مسلم، ولكننا نحتاج في هذا المقام إلى تذكيره فقط بتلك الغاية، وهي عبر عنها الله تعالى واضحة جلية، في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده

مثل ذلك (١١/٣٢٨)، (ح٦٤٨٨)، من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (٢/٤٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) الذاريات: ٥٦-٥٧.

لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم، وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك"(١).

قال تعالى ما خلق الخلق إلا لغاية واحدة وهي أن يعبدوه سبحانهن هذا يقتضي أن تكون كل أعمال العبد، بل كل حياته عبادة لله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾(٢).

ولكن كيف يمكن أن يجعل العبد حياته كلها عبادة لله عز وجل؟ وكيف يجمع بين تلك العبادة وحاجات نفسه؟!

وللإجابة على هذا السؤال، لابد أن نعرف أولا ما هو معنى العبادة، وذلك لأن المعنى الصحيح للعبادة التي خلقنا الله تعالى لأجلها قد انحرف لدى كثير من الناس.

وإيجازًا للقول، نقول:

لقد انحصر مفهوم العبادة لدى كثير من الناس اليوم في دائرة النسك الظاهر من صلاة وصيام وزكاة وحج وتلاوة قرآن ونحوها.

والحقيقة التي خفيت على كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم أن العبادة هي الالتزام والتقيد بما شرعه الله ﷻ في جميع مجالات الحياة، وفي كل لحظة من لحظات العمر، فالعبد مطالب بأن يجعل جميع حياته عبادة لله، لا بمعنى

---

(١) تفسير ابن كثير آية ٥٦-٥٧ من سورة الذاريات، والحديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة- (ح١٣٥٩).

(٢) الأنعام:١٦٢-١٦٣

أن يقضي حياته كلها في الصلاة والصيام والحج فهذا تكليف بما لا يطاق، وإنما بمعنى أن يلتزم فرائض الله وواجباته التي أوجبها عليه في كل أمور حياته.

فعليه أن يجعل سعيه وعلمه في الدنيا عبادة، بأن يجعله وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل تعامله مع الناس عبادة، بأن يجعلها وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل معاشرته لأهله عبادة، بأن يجعله وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل أكله وشربه ولبسه عبادة.

وهكذا في سائر أموره.

فمعنى العبادة ألا تتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل تفعله من عند نفسك، قبل أن تعلم حكم الله وحكم رسوله ﷺ فيه.

قال تعالى في كتابه: ﴿**يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(١).

فمعنى العبادة هي المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين.

فإذا علمت هذا فاعلم أن الرسول ﷺ الذي أمرنا باتباعه لتحقيق معنى العبودية لله رب العالمين، هو بشر مثلنا، وقد استطاع أن يقوم في أرقى مقامات العبودية لله رب العالمين، وأن حياته كلها كانت عبادة لله رب العالمين إذا عرفت هذا أيضًا، فإنك تقف بذلك على أصل آخر وهو أن المتابعة التامة للنبي ﷺ هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين، مع الوفاء بحاجاتنا البشرية على أكمل وجه ممكن.

---

(١) الحجرات:١.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ .

فهذا هو سبيل الجنة، الذي لا سبيل غيره، ألا وهو تقوى الله! فالفائزون بالجنة هم المتقون.

والمتقون هم الذين وصفهم الله تعالى بتلك الصفات الجليلة من الإنفاق في سبيله وكظم الغيظ والعفو عن الناس، والإحسان إليهم.

وقد يتصور أن هؤلاء المتقين هم الذين لا يخطئون ولا يعصون الله تعالى أبدًا.

ولكن الله تعالى يبين أن المتقين هم بشر يصيبون ويخطئون، قد ركبت فيهم نوازع الشر، وغرائز الشهوات، فقد تغلبهم تلك النوازع والغرائز فيقعون فيما حرم الله تعالى عن غفلة منهم، وتزيين من الشيطان، ولكنهم سرعان ما يرجعون إلى الله تعالى وينيبون إليه.

فلا تعجب أخي الحبيب إذا سمعت الحق تبارك وتعالى يصف هؤلاء المتقين بأنهم: ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

آل عمران: ١٣٣-١٣٦

آل عمران: ١٣٥.

إنهم كما وصفهم الله تعالى أيضًا حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١].

ولكن لعلك أخي الحبيب تسأل وتقول: ما معنى تقوى الله تعالى إذًا؟

فاعلم أخي في الله: أن التقوى هي طاعة الله تعالى واجتناب محارمه.

هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وإذا كانت التقوى جامعة لأبواب الطاعات الموصلة إلى الجنات، فلنذكر من تلك الأبواب أهمها وأوسعها مدخلاً إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين:

فلم يشترط الله سبحانه شرطًا لرحمته ومغفرته ونيل جنته سوى الإنابة إليه، والإسلام له بمعنى الانقياد لطاعته سبحانه.

إقامة الصلاة:

اعلم يا عبد الله أن الصلاة هي أعظم الطاعات، وأقرب القربات، وأنها الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٢].

قال أيضًا: "أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة"[٣].

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حيث جابر بن عبدالله -رضي الله عنه.

(٣) "صحيح"، وقد جاء من عدة طرق، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي هريرة، والنسائي عن ابن مسعود، والطبراني في الأوسط والضياء عن أنس، وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن تميم الداري، وانظر صحيح الجامع (٢٥٧١، ٢٥٧٢،

فإذا كانت هذه منزلة الصلاة فلا عجب إذًا أن تكون تلك الصلاة ذات الخشوع والخضوع طريقك إلى الله.

قال رسول الله ﷺ: "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح" .

وكذلك الصوم فإنه أحد أبواب الجنة، ففي الجنة باب يقال له (الريان) لا يدخل منه إلا الصائمون" .

كما أخبر الحبيب محمد ﷺ وكذلك سائر الأركان من الزكاة والحج والجهاد في سبيل الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فلكل طاعة من الطاعات باب من أبواب الجنة، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام أو الصدقة أو الجهاد أو غير ذلك دعي من الباب المختص بتلك العبادة كما صح به الحديث عن النبي ﷺ.

١-تلاوة القرآن:

اعلم أخي في الله أن قراءة القرآن وتلاوته على الوجه الذي يحب ربنا ويرضى بتعلمه وتلقيه من القراء، وإقرائه والعمل به، هو من أعظم النوافل والمستحبات التي تقربك إلى الله زلفى.

ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل،

٢٥٧٣، ٢٥٧٤).

الحديث متفق على صحته من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

أخرجه البخاري في الصوم، باب: الريان للصائمين، (١٣٣/٤)، (ح١٨٩٦)، وفي غير موضع، ومسلم في "الصيام"، باب: فضل الصيام (ح١١٥٢).

كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[١].

وقد صح أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يصلي بأصحابه صلاة إلا قرأ فيها بسورة الإخلاص فشكى الصحابة ذلك إلى النبي ﷺ فسأله عن ذلك، فقال الرجل: إني أحبها!

قال النبي ﷺ: "حُبُك إياها أدخلك الجنة"[٢].

فانظر يا عبدالله كيف أن محبة سورة واحدة من كتاب الله تعالى من القصار يكون سببًا في دخول الجنة، فكيف بمن قرأ القرآن كله وقام على تلاوته والعمل به آناء الليل وأطراف النهار؟!

٢-طلب العلم الشرعي:

قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"[٣].

فالجزاء من جنس العمل، فكما أن العلم هو الذي يوصل في الدنيا إلى الطاعات التي جعلها الله تعالى طريقًا إلى الجنة، فكذلك يكون في الآخرة طريقًا إلى الجنة.

٣-بر الوالدين وصلة الأرحام:

قال رسول الله ﷺ: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه

---

[١] "صحيح" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم كلهم عن ابن عمرو وبنحو من هذا اللفظ أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد وانظر صحيح الجامع- (ح٨١٢١، ٨١٢٢).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٢١٣، ٢١٤)، تعليقًا عن عبيدالله بن عمر عن ثابت عن أنس، وقد وصله الترمذي عن البخاري.

[٣] "صحيح" أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وبأطول من هذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان، عن أبي الدرداء، وانظر الجامع.

عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة"[١].

فالنبي ﷺ يبين أن بر الوالدين من أعظم أسباب دخول الجنة، ويدعو على من لا يحصل ذلك السبب أن يرغم الله أنفه أي يذله الله تعالى كما أساء إلى والديه ولم يكرمهما.

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار. فقال النبي ﷺ: "تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم"[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع" قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: "جناها"[٣].

٤-الحب في الله:

قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار"[٤].

وقال: "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء"[٥].

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "ما من مسلم يعود

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥١).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة (ح١٣).

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب: فضل عيادة المريض- (ح٢٥٦٨).

(٤) أخرجاه في الصحيحين من حديث أنس –رضي الله عنه.

(٥) "صحيح" أخرجه الترمذي عن معاذ. وانظر صحيح الجامع (٤٣١٢).

مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة"[(١)].

و"**الخريف**": الثمر المخروف أي: المجتنى.

وقال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله" وصدق رسول الله ﷺ **فالحب في الله هو أعظم وثاق يوثق به المؤمن في طاعة الله تعالى!**

وكيف لا والمتحابون في الله يذكر بعضهم بعضًا بطاعة الله، ويعين بعضهم بعضًا على طاعة الله تعالى، ويثبت الواحد منهم إخوانه عند المحن والشدائد، ويكون عونًا له على الشيطان وهوى نفسه الأمارة بالسوء؟!

٥-الإكثار من النوافل:

قال رسول ﷺ: "من صلى لله اثنتى عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة" قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة[(٢)].

وقال: "من حافظ على أربع ركعات من الضحى، وقبل الأولى أربعًا، بنى له بيت في الجنة"[(٣)].

فانظر يا عبدالله كيف تبني جنتك بنفسك، بطاعتك لربك!

---

(١) "صحيح" أخرجه الطبراني عن ابن عباس، والطبراني والحاكم عن ابن مسعود وأحمد وابن أبي شيبة عن البراء، وانظر صحيح الجامع (ح٢٥٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب المساجد ومواضع الصلاة"، باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن، (ح٧٢٨).

(٣) "حسن" بنحوه أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي موسى -رضي الله عنه، وراجع الصحيحة (ح٢٣٤٩).

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي إنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تبتغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي**".

فهذه منازل الشهداء المجاهدين في سبيل الله تعالى في خيمة تحت عرش الرحمن تتلألأ نورًا وجمالا، لا يعلم سعتها وزخرفها وجمالها إلا الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ : "**أنا زعيم والزعيم الحميل (أي الضامن والكفيل) لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا، ،لا من الشر مهربا، يموت حيث يشاء أن يموت**"[1].

فهذا منزل من جاهد في سبيل الله، وإن لم يلق الشهادة، بيت في ربض الجنة، أي في فنائها وما حولها، وبيت في وسطها، وبيت في أعلاها.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان**

---

[1] صحيح الجامع (١٤٦٥).

مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"[١].

فهذا البيت في ربض الجنة لمن ترك الجدال وهو محق أي صاحب حق، إنه بيت عظيم لصاحب خلق عظيم، يمتاز بالسماحة وطيب النفس، ولين القلب، ودماثة الخلق.

٤- بيت الوفاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**"[٢].

فهذا البيت لؤلؤة مجوفة واسعة، وهو كالقصر العظيم المنيف جعله الله لخديجة زوج النبي ﷺ على ما كان من وفائها لزوجها وقيامها بحقه، وكذلك يكون جزاء كل زوجة وفية.

٥- قصر الغيرة والنخوة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ قال: "**بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا. فبكي عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله**"[٣].

فهذا قصر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر النبي ﷺ غيرته ونخوته، فكأن هذا القصر كان جزاء له على غيرته على محارم الله تعالى، وكذلك يكون أجر

---

(١) صحيح أبي داود (٤٠١٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٢).

كل مسلم غيور، يغار أن تنتهك محارم الله.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبوموسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن ألان الكلام وأطعم الطعام، وبات قائما والناس نيام**" .

فهذه الغرفة العجيبة التي يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها إنما هي لمن كانت فيه هذه الخصال...

أ- **حسن الخلق**... وذلك بالتكلم بالكلام الطيب اللين الحسن فلا يغلظ القول لإخوانه ولا يتعمد إساءتهم بالكلام القبيح الجارح.

ب- **إطعام الطعام**... وهو من تمام حسن الخلق، لأنه دال على كرم المرء وإحسانه إلى إخوانه وأهله وعشيرته وتواضعه بمحبة الفقراء والمساكين والإحسان إليهم، وإطعامهم.

ج- **قيام الليل**...وقديما قالوا: "الصلاة بالليل شرف المؤمن "فهذه الصفة تدل على صلاح باطنه، وصلاح ما بينه وبين الله تعالى، والصفات السابقة تلد على صلاح ظاهره، وصلاح ما بينه وبين الناس.

هذا بيت في الجنة لمن بني لله مسجدًا، أو شارك في بنائه أو جزء عنه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: عند قول الناس فيه حين بني مسجد الرسول ﷺ: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: "**من بنى لله مسجدا -قال بكير:**

صحيح الجامع (٢١٢٣).

حسبت أنه قال.. يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة"[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من بنى مسجدًا يذكر فيه اسم الله، بنى الله له بيتا في الجنة"**[٢].

٨- بيت الضحى:

هذا البيت لمن حافظ على صلاة الضحى وهي ركعتان أو أربع أو ست أو ثمانية، تصلى كل يوم فيما بعد طلوع الشمس قدر رمح أو رمحين إلى قبل صلاة الظهر.

عن أبوموسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من صلى الضحى أربعا، وقبل الأولى أربعا بنى له بيت في الجنة"**[٣].

٩- بيت النوافل:

هذا البيت لمن حافظ على اثنتي عشرة ركعة كل يوم تطوعًا غير الفريضة.

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من صلى اثنتي عشر ركعة في يوم وليلة بني له بيت في الجنة"** قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتمهن من رسول الله ﷺ، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمر بن أوس ماتركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمر بن أوس، وفي لفظ قال ﷺ: **"من صلى في يوم ثنتي عشرة سجدة تطوعًا بني له بيت في الجنة"**، وفي لفظ: **"ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بني الله له بيتًا في الجنة أو إلا بن له بيت في الجنة"** قالت أم حبيبة: فما برحت أصليهن

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠).
(٢) صحيح ابن ماجه (٦٠١).
(٣) صحيح الجامع (٦٣٤٠).

بعد...الحديث .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"من ثابر على ثنتي عشر ركعة من السنة بني له بيتًا في الجنة.. أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر"**[٢].

وفي رواية أم حبيبة: **"من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، بني له بيت في الجنة.. أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر- صلاة الغداء"** .

هذا باب بيت لا يدخل منه إلا الصائمون، وسمي بالريان من الري فهو جزاء العطش في سبيل الله، والجزاء من جنس العمل.

عن سهل بن سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، ولا يدخل منه أحد غيرهم، ويقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد"** .

إن هذا البيت لمن فجع في ولده أو حبيب له فحمد الله واسترجع فهو قصر الصبر، وهو قصر الحمد فطوبى للصابرين الحامدين.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا ماتولد العبد،**

أخرجه مسلم (٧٢٨).

صحيح الجامع (٦١٨٣).

صحيح الجامع (٦٣٦٢).

أخرجه البخاري (١٨٩٦).

قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول الله: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد"[1].

١٢- بيت الصدق:

هذا البيت لمن اعتاد الصدق، وترك الكذب فيكل حال، ولو كان مازحًا، فجزاؤه بيت في وسط الجنة.

عن أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"**[2].

١٣- بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه:

قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعيم ببيت في ربض الجنة... وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"**.

فهذا أخي المسلم بيت عظيم عظيم، ومنزلة عظيمة عالية ولا عجب فإنها لصاحب الخلق العظيم.

١٤- درج الجنة لحافظ القرآن وقارئه:

من هذا الذي يمتلك درج الجنة... فيصعد فيه ما شاء أن يصعد، حتى يصعد إلى أعلى عليين؟!

إنه حافظ القرآن القائم به ليله، التالي له نهاره، العامل به دهره، الحافظ لحدوده، المتدبر لمعانيه، هنيئا له، فليصعد في درج الجنة إلى أعلى عليين، فإن منزلته عند آخر آية يقرؤها.

---

(١) صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) صحيح الجامع (١٤٦٤).

عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: "**يقال -يعني لصاحب القرآن-: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**" .

عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: "**إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل في حرفة**[٢] **الجنة حتى يرجع**" .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**من عاد مريضا نادى منادٍ من السماء: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا**"[٤] .

هذه منابر الشرف، ومنابر النور يوم القيامة!

إنها خاصة بالمتحابين في الله عز وجل والمتآخين فيه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "**إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: المتحابون في الله -عز وجل** .

إنها بيوت الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.. إنهم أناس لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فهم يذكرون الله تعالى في كل مكان، إنهم الذاكرون الله تعالى في الأسواق، ومواضع اللهو حيث ينشغل الناس عن ذكر الله تعالى.

"حسن صحيح" صحيح الترمذي(٢٣٢٩).

خرفة الجنة: أي جناها.

أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

صحيح الترمذي (١٦٣٣).

المسند (٨٧/٣) ورجاله رجال الصحيح.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيت في الجنة"**[(١)].

١٨ - قصر التفويض والتوكل:

هذا البيت للمتوكلين على الله تعالى، المفوضين إليه أمورهم.

عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: **"إذا اضطجع الرجل فتوسد يمينه ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، ووجهت وجهي إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، ومات على ذلك بني له بيت في الجنة، أو بوئ له بيت في الجنة"**[(٢)].

١٩ - دار عامة المؤمنين:

إنها دار عامة المؤمنين!

إنها لكل موحد بالله، مؤمن برسوله، مطيع لربه، مقيم لفرائضه، مجتنب لنواهيه.

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعيم.. والزعيم الحميل (أي الضامن والكفيل).. لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيت في ربض الجنة"**[(٣)].

وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن سمرة بن جندب قال:

---

(١) صحيح الجامع (٦٢٣١).

(٢) المسند (٤/٢٩٦) وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح الجامع (١٤٦٥).

كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: "من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يوما فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: ولكني رأيت الليلة رجلين أتياني... إلى قوله: فصعدا بي الشجرة وأدخلاني فأدخلاني دارًا أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم. أما الذي رأيته... إلى قولهما والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار عامة الشهداء" [1].

---

[1] البخاري:١٣٨٦.

الموضوع	الصفحة